

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
كلية الدعوة والإعلام  
الدراسات العليا  
قسم الدعوة والاحتساب

## الحوار

# في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم (دراسة دعوية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد:

عبدالرحمن بن يوسف الملاحي

المحاضر في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي

١٤٢١هـ

الجزء الأول

# المقدمة

---

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة المنهجية

الحمد لله الذي خلق الإنسان ووهبه أدوات الفهم والإدراك وكرمه بحسن البيان، والصلاة والسلام على إمام الدعوة وقدوتهم، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه مقدمة رسالة دكتوراه بعنوان:

”الحوار في دعوة النبي ﷺ – دراسة دعوية“.

والحديث في هذه المقدمة سيتضمن مايلي:

- التعريف بمصطلحات البحث.
- مدخل الدراسة.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- تحديد المشكلة البحثية.
- التساؤلات البحثية.
- منهج البحث.
- تقسيم الدراسة.

## التعريف بمصطلحات البحث:

### التعريف بالحوار:

#### ١ - لغة:

بالعودة إلى قواميس اللغة العربية يجد المطلع في مادة «حور» معان عديدة منها:

- ١ - النقصان .
- ٢ - وما تحت الكور من العمامة .
- ٣ - والتحير، والقعر، والرجوع<sup>(١)</sup> .
- ٤ - الرجوع عن الشيء وإلى الشيء<sup>(٢)</sup> .
- ٥ - استحاره: استنطقه .
- ٦ - والتحاور: التجاوب<sup>(٣)</sup> .

وعند النظر وتكرار المطالعة للمعاني اللغوية في مظانها يلاحظ أن أقرب المعاني لمادة هذا البحث هما المعنيان الأخيران، إذ فيهما إشارة إلى المعنى الاصطلاحي، ويزيد الإمام الأصفهاني المعنى وضوحاً إذ يقول: «والمحاورة والحوار: المرادة في الكلام ومنه التحاور»<sup>(٤)</sup> فإضافة إلى

(١) الفيروز آبادي. انظر القاموس المحيط. مادة «حور» ص ٤٨٦ .

(٢) ابن منظور، انظر لسان العرب. مادة «حور» ج، ١ ص ٧٥١ .

(٣) الفيروز آبادي، انظر القاموس المحيط. (مرجع سابق) مادة «حور» ص ٤٨٧ .

(٤) الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. مادة: «حور» ص ١٣٥ .

إشارته للمعنى السابق زاد في الإشارة إلى أركان الحوار .

ويجد المطلع في كتب التفسير أن الحوار عندهم هو : مراجعة الكلام<sup>(١)</sup>  
بيد أن ابن عاشور رحمه الله أضاف إلى قولهم «بين متكلمين»<sup>(٢)</sup> .  
وهو بهذا صرح بأركان الحوار : الموضوع ، المحاور والمحاوَر .

## ٢ - في الاصطلاح:

لقد حاولت بعض الدراسات الحديثة تحديد معنى للحوار ومن ذلك  
قولهم : إن الحوار : «مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ، ينتقل من الأول  
إلى الثاني ثم يعود إلى الأول دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل  
بالضرورة على وجود الخصومة»<sup>(٣)</sup> .

ويرى عبدالحليم حفني أن الحوار هو «مراجعة الكلام وتداوله بين  
طرفين»<sup>(٤)</sup> .

ولا فرق بين هذين وما ذكره علماء التفسير موجزاً عدا أن الأول من  
الأخيرين زاد أن الحوار لا يلزم وجود مخاصمة .

أما التعريف الذي يستخلص من مفهوم التعريفات اللغوية  
والاصطلاحية ، والذي يتناسب مع طبيعة هذا البحث فهو :

(١) الرازي . انظر التفسير الكبير . ج ١٥ / ٢٩ ص ٢١٨ ، وابن الجوزي ، زاد المسير في

علم التفسير . . ح ٨ ص ١٨٢ ، وتفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) ابن عاشور . التحرير والتنوير . ج ١٥ ص ٣١٩ .

(٣) أصول الحوار . جمع الندوة العالمية للشباب الإسلامي . ص ٩ .

(٤) عبدالحليم حفني أسلوب المحاورَة في القرآن الكريم . ص ١٤ .

«مراجعة الكلام بين الداعي والمدعو بهدف بيان الحق أو تقريره لاتباعه،  
أو بيان الباطل لاجتنابه».

ولعله من المناسب التعرف على بعض الألفاظ والمصطلحات القريبة  
من الحوار:

## ١ - الجدل:

### في اللغة:

يدل على: شدة الفتل وجدلت الحبل أجده جدلاً إذا شددت فتله،  
وفتله فتلاً محكماً<sup>(١)</sup> ومن معانيه: الصرع<sup>(٢)</sup> وأيضاً الجدل: اللدد في  
الخصومة والقدرة عليها<sup>(٣)</sup>، ويلاحظ أن هذه المعاني تدل على الشدة  
والقوة والاحكام.

### في الاصطلاح:

استفاد أهل الاصطلاح من جملة المعاني اللغوية فعرفوه بما يتناسب  
معها؛ فقد عرفه الإمام ابن العربي بقوله هو: «دفع القول على القول  
على طريق الحجّة بالقوة»<sup>(٤)</sup> وعرفه الشيخ ابن عاشور بقوله: المجادلة  
هي: «منازعة بالقول لا قناع الغير برأيك»<sup>(٥)</sup> وعرفه آخرون فقالوا:

(١) ابن منظور انظر لسان العرب . مادة: «جدل» . ج ١ ، ص ٤١٩ .

(٢) الفيروزآبادي ، انظر القاموس المحيط . مادة «جدلة» . ص ١٢٦١ .

(٣) انظر المراجع السابق ، ص ١٢٦١ .

(٤) القرطبي ، أحكام القرآن . ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير . ج ٥ ص ١٩٤ .

«المنازعة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم»<sup>(١)</sup>.

وكما أشير سابقاً فإن أكثر التعريفات يتضح منها أثر المعنى اللغوي وكذلك الغرض من الجدل وهو الغلبة وإفحام الآخرين.

## ٢ - المناظرة:

### وهي في اللغة:

تدل على: الابصار والتأمل بالعين، كما تدل على التفكير والتدبر، وعلى الحكم والفصل<sup>(٢)</sup>، وتدل أيضاً على النظر، والمباراة في المحاجة<sup>(٣)</sup>، ومن معانيها: المجادل المحتاج<sup>(٤)</sup> وبمعنى: الند<sup>(٥)</sup>.

### في الاصطلاح:

عرفها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بقوله: «المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»<sup>(٦)</sup>.

(١) محمد محيي الدين عبد الحميد، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة. ص ١٧٥. وانظر أيضاً: الجرجاني، التعريفات. ط. ص ١٠٣. ود. زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن. ص ٢٤.

(٢) أنيس منصور، وآخرون، انظر المعجم الوسيط. مادة: «نظر»، ص ٩٣١.

(٣) انظر المرجع السابق. ص ٩٣٢.

(٤) انظر نفسه، ص ٩٣٢.

(٥) انظر لسان العرب. مادة: «نظر»، ج ٣ ص ٦٦٦.

(٦) محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة: ، ٣/٢ ص ٣. دار ابن تيمية - القاهرة (ب:ت). وانظر: الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: ط، ص ٣٨١، دار القلم. دمشق (ط: ٢) ١٤٠١هـ.

وجاء في كشف اصطلاحات الفنون أنها: «توجه الخصمين في النسبة بين الشيتين إظهاراً للصواب»<sup>(١)</sup>.

فهناك من يخلط بين هذه المصطلحات<sup>(٢)</sup> وقد يرى البعض أن الحوار أصلها<sup>(٣)</sup>.

ومما يستفاد من التعريفات السابقة أن الجدل والمناظرة فيهما القوة والإلزام والندية والخصومة.

مع أن الحوار بمعناه العام يفهم منه أنه مجاوبة الكلام وتردده فهما يدخلان ضمناً في معنى الحوار مما يعني أنهما من أنواعه وقد يكونان مرحلة من مراحل<sup>(٤)</sup>.

### التعريف الإجرائي للعنوان:

لا بد من إيضاح أن المقصود الحوارات في دعوة النبي ﷺ وهذا يعني تتبع الحوارات النبوية وتلمسها من خلال القرآن والسنة المطهرة والسيرة النبوية.

---

(١) كشف اصطلاحات الفنون . ٦ / ١٣٩١ . شركة خياط للكتب والنشر - بيروت - لبنان .

(ب:ت).

(٢) محمد أبو زهرة، انظر تاريخ الجدل . ص ٥ . دار الفكر العربي . (ب:ت).

(٣) د . حسن الشرفاوي، انظر الجدل في القرآن . ص ٧ ، منشأة المعارف - الإسكندرية .

(ب:ت).

(٤) انظر تاريخ الجدل ، ص ٥ (مرجع سابق).



## مدخل الدراسة:

إن الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته، وتحكيم شريعته هي من أعظم الوظائف وأجلها، وكلف الله تعالى رسله الكرام بهذا الأمر العظيم مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥)، ويقول تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٢).

فسار موكب الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - وخاتمهم محمد ﷺ في طريق الدعوة بكل صدق وإخلاص متلمسين كل طريق يصل بالناس إلى ربهم .

وأمر الله رسوله الأمين محمداً ﷺ بالندارة، وكلفه بتبليغ الدعوة المباركة إلى الناس كافة، واشتركت أمته معه في حمل هذه المسؤولية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)، ويقول تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤)، وفي هذا الزمان المتأخر ازدادت المسؤولية على عاتق الأمة

(١) سورة النساء - ١٦٥ . .

(٢) سورة إبراهيم - ١ . .

(٣) سورة يوسف - ١٠٨ . .

(٤) سورة آل عمران - ١٠٤ . . وانظر تفسير ابن كثير، ج ١ ص ٥٨٣ . وانظر الجامع لأحكام

القرآن ٢/٤ ص ١٦٥ .

الإسلامية، مع انتشار المبادئ الهدامة، وأصبح لها جولة وصول، ودول كبرى تعين على انتشار الرذيلة.

وقد انتبه لذلك علماء الإسلام الغيورون، وأحسوا بخطورة تبعاته، ولذا نبه العلامة الشيخ ابن باز الأمة إلى تضاعف مسؤوليتها في وقتنا الحاضر مذكراً كل مسلم بحقيقة رسالته فقال: «ف عند قلة الدعاة، وكثرة المنكرات، وتفشي الجهل، وغلبة الهوى، تصبح الدعوة فرض عين على كل بحسبه»<sup>(١)</sup>.

فالدعوة إذاً ليست حكراً على صنف معين من الناس فالمرأة والرجل بحسب قدرتهما وما استرعوا مسئولان عن الدعوة، والطبيب، والصيدلاني، والجغرافي، والمؤرخ، والتاجر، والمهني . . . إلخ فهؤلاء وغيرهم في مواقع أعمالهم لابد أن يمارسوا - إلى جوار أعمالهم الاعتيادية - عمل الدعوة إلى الله.

ومن هنا تتضح أهمية تنويع إيصال هذه الدعوة إلى الناس عبر قنوات عديدة، وطرق متنوعة، وعندئذ يبرز طريق الحوار بشكل واضح، وقدرته على إيصال الفكرة بطريق مباشر بلا حواجز تحول بين الداعي والمدعويين.

فلو أتقن كل مسلم أيّاً كانت مهنته فن الحوار، وأسسها لازدادت فرص نجاح الدعوة، وازداد عدد أفرادها بفضل الله تعالى.

فالساحة الدعوية إذاً بحاجة ماسة إلى التعرف على هذا الأسلوب

---

(١) الشيخ ابن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة. ص ١٦.

الدعوي الهام من جميع جوانبه .

ودعاة الحق ، لاشك مرجعهم في ذلك قدوتهم محمد ﷺ وسيرته  
بحمد الله تعالى سطرت بأكبر الخطوط وأدقها في حياته العامة والخاصة .  
فيتلمس من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة النبوية أنواع  
الحوارات النبوية ، وأهدافها ، وفنونها ، وموضوعاتها ، ويحيط بالحوار  
من جميع جوانبه ، بهدف الوصول إلى منهج دعوي أصيل .  
وهو بعودته تلك يكون بفضل الله تعالى ، واثق الخطى من سلامة  
سيره في حواراته ، وبأمن من الانزلاق ، سواء في تحديد هدفه أو اختياره  
لموضوعاته ، أو رسم لأساليبه ، أو غير ذلك من أمور الحوار .

## أسباب اختيار الموضوع:

مما سبق تبين أهمية الموضوع وضرورة البحث فيه، مما يعد سبباً لاختياره وبالإضافة إلى ذلك فهناك أسباب كثيرة تلح على بذل الجهد العلمي المضني في سبر أغوار هذا الأسلوب الدعوي وأجمل تلك الأسباب - بفضل الله تعالى - على النحو التالي :

- محاولة جمع ما جاء عن الحوار من ثنايا القرآن والسنة النبوية والسيرة العطرة، لتقديمها بصورة منتظمة بين دفتي بحث واحد، ليكون مرجعاً موثقاً يفيد الدعاة من خلاله في خط دعوتهم لتصبح أكثر وقعاً في النفوس وأقرب إلى نيل رضا الله جلا وعلا .

- هذه الدراسة محاولة متواضعة في توضيح وتجلية آفاق الحوار النبوي وأساليبه وقواعده، ودراسة معطاته العملية إذ تخلو المكتبة الإسلامية على حسب علم الباحث من دراسة علمية متكاملة تشمل هذا الموضوع المهم من جميع جوانبه الدعوية .

- كثرة الحوار في الساحة عبر قضايا تطرح، وإحجام كثير من الدعاة عن مواجهتها، مما ترتب عليه النظرة الدونية لهم في الحوار وإجراءاته، وعودة الحوار إلى الساحة اليوم هي إحدى الهموم الكبيرة التي تشغل بال الدعاة العاملين في سبيل الدعوة الإسلامية لتعمل في اتجاهين :

- تحطيم الحواجز النفسية التي تحول بين الجيل المفتون بالحضارة الغربية وبين الحوار معهم لمحاولة دفعه عن طريق الحوار إلى التفكير بإيجابيات الفكر الإسلامي .

- إثارة روح الحوار في داخل المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم العاملين على دعوة الناس إلى الإسلام ليستثمروا خصائص هذا الأسلوب الدعوي لدعوة الآخرين للدخول في دين الله .

## الدراسات السابقة:

### ١ - الرسائل العلمية:

بالرجوع إلى المكتبات، يلاحظ ندرة الكتابة في هذا الأسلوب الدعوي الهام، ومن أهم الكتب التي اطلعت عليها هي:

- رسالة ماجستير للباحث خالد بن عبدالله القاسم بعنوان «الحوار مع أهل الكتاب - أسسه ومناهجه - في الكتاب والسنة»<sup>(١)</sup>.

قسم الباحث رسالته إلى أربعة أبواب على النحو التالي:

### الباب الأول أسماء:

ما قبل الحوار أراد بهذا الباب تمهيداً فتحدث عن خصائص الإسلام وعن الحرية في الشريعة الإسلامية. ويلاحظ أن هذا بعيد عن بحث ومادة الرسالة.

ثم انتقل إلى الباب الثاني الذي عنوانه «أهداف الحوار» وقسم إلى:

١ - أهداف مشروعة .

٢ - أهداف غير مشروعة .

٣ - هدف أهل الكتاب .

ولأن هذا الباب أهم أبواب الرسالة والتي تشترك فيه الدراسة التي

---

(١) خالد بن عبدالله القاسم، الحوار مع أهل الكتاب - أسسه ومناهجه - في الكتاب والسنة .

ط: ١ (١٤١٤هـ) دار المسلم . الرياض .

بصددها هذا البحث فأرجيء الحديث بالتفصيل عن ذلك بعد سرد بقية أبواب الدراسة وما اشتملت عليه .

**الباب الثالث :** أركان الحوار وقسم إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : شروط المحاور المسلم .

الفصل الثاني : المحاور الكتابي وشروطه .

الفصل الثالث : موضوعات الحوار .

وموضوعات الحوار يشترك فيها الباحثان ، وخاصة في الموضوع الأول وهو الدعوة إلى توحيد الله ومع خطورة هذا الموضوع فإنه تحدث عنه بوجازة إذ لم يتجاوز صفحتين ولم يستشهد من السنة ولا بحديث واحد، مما يترتب عليه أنه يحتاج إلى إيضاح وتفصيل أدق وأكثر في رسالة أكبر حجماً وأوسع مجالاً .

**الباب الرابع :** مناهج الحوار مع أهل الكتاب . وقسم إلى فصلين :

الأول : حكم الجدل واستخدامات مناهجه مع أهل الكتاب .

الثاني : منهج القرآن في محاوراة أهل الكتاب .

والثاني قد يقع فيه اشتراك ولكنه نص بأنه سيتبع هذا المنهج من خلال القرآن وترك السنة ، وذكر بعض الأساليب ، وهي تختلف عن الأساليب التي ذكرت في تقسيم الدراسة هذه ، عدا حرص الباحث بأن يستخرج ويتبع ذلك من خلال السنة النبوية المشرفة ومن خلال الحوارات والتي لم يتطرق إليها الباحث إلى جانب أنه يستشهد بأدلة سردية ليست من الحوار .

ومع أهمية هذا البحث في عنوانه الهام فإنه قصر في جمع نصوص السنة والتي تحوي حوارات هائلة ومع أهل الكتاب أنفسهم، إذ في بعض الأحاديث يصل إلى صفتين فيها من الفوائد الدعوية ما الله به عليم، ومع ذلك فهذا البحث يتناول جزءاً من هذا المشروع الجديد، وأمر ذوبال ينبغي الإشارة إليه وهو أن الرسالة خلت من اللفتات الدعوية مع وفرتها في الحوارات التي هي أصلاً نشأت من أجل الدعوة.

ولعله من الملاحظ أن من أهم الفصول التي اتفق الباحث فيها مع هذه الرسالة ما كتبه في الباب الثاني «أهداف الحوار» وقد قسم هذا الباب إلى المباحث التالية:

١- الأهداف المشروعة في ذاتها.

٢- الأهداف غير المشروعة.

٣- هدف أهل الكتاب من الحوار.

ومن الواضح أن الهدفين الأخيرين خارجان عن نطاق الدراسة التي بصددتها هذا البحث.

أما البحث الأول فقد حصره في ست صفحات، ذكر فيها أن هناك هدفاً عاماً هو الدعوة إلى الإسلام وينضوي تحت هذا الهدف أهداف أخرى تندرج فيه منها:

الدعوة إلى الإسلام كرر هنا لفظ الدعوة إلى الإسلام مع أنه قرر أنه هدف عام ثم أضاف إليه إقامة الحجّة.



ثم دلت بأدلة وشواهد معظمها من القرآن الكريم بمعدل (١٠) آيات مقابل حديث واحد.

ومع هذا فإنه اختار آيات ليست من الحوار في شيء، ركز فيها على الاستدلال بالدعوة إلى توحيد العبادة الذي خالف فيه الأقوام رسلهم، مع وجود آيات حوار واضحة المعالم فيما يريده كقصة مؤمن سورة «يس» مع قومه وغيرها كثير.

وهناك من الأحاديث النبوية الشيء الكثير الذي يدل ومن ثانياً الحوار على ما يريده، من ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حضرت عصابة من اليهود لنبى الله ﷺ يوماً فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى. قال: سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعنني على الإسلام»<sup>(١)</sup> فمن ثانياً الحوار بوضوح بين ﷺ والهدف من حوارهم سؤال وجواب، والكتاب بأكمله لا يحتوي على (١٠) أحاديث في الحوار عدا كون هذه الأحاديث تحوي أصولاً وفوائد دعوية لم يشر لها الباحث.

## ٢ - التراكمات المعرفية:

من أهم ما عثرت عليه من نوع هذه الدراسات ما يلي:

١ - كتاب مطبوع لمؤلفه أحمد الصويان عنوانه «الحوار - أصوله المنهجية

(١) المسند ج ٤ ص ١٧٦-١٧٧. حديث رقم (٢٥١٤).

وآدابه السلوكية»<sup>(١)</sup>.

تحدث فيه المؤلف عن تعريف الحوار ومشروعيته وأهميته ثم تحدث عن منهجية الحوار وآداب الحوار.

ولا يوجد في الكتاب مواقف دعوية، كما يلاحظ عليه الاستشهادات من الأحاديث والمواقف النبوية.

٢- أسلوب المحاور في القرآن الكريم وهو من تأليف: د. عبدالحليم حفني<sup>(٢)</sup> وهو كتاب يقع في «٢٢٨» صفحة.

حاول فيه أن يبين صيغة الحوار في القرآن الكريم وساق بعض الأمثلة، ثم انتقل إلى أنواع المحاور في القرآن.

وهو لا يخلو من اللفظات الإعلامية والذي يظهر أن هذا تخصص مؤلفه.

ومن المهم أن أبين أن هذه الدراسات لم تعتن باستخراج الفوائد الدعوية، ولا يستنبط منها شيء من أمور وشؤون الدعوة مما يؤكد أهمية هذه الدراسة وجديتها وجدتها، هذا والله أعلم.

### تحديد المشكلة البحثية:

إدراكاً لأهمية الحوار في الدعوة إلى الله تعالى، فإن الداعي الواعي يرغب بصدق في التعرف على حوار النبي ﷺ، بكل جد وهمة كي

(١) أحمد عبدالرحمن الصويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية. ط دار الوطن. ط: ١٤١٣ هـ.

(٢) د. عبدالحليم حفني، أسلوب المحاور في القرآن الكريم. ط: ٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

يتمكن من كسب فرص النجاح لحواره .

فهذا البحث سيتجه إلى التعريف بحواره ﷺ وبجوانبه المختلفة ، كما يسعى إلى بيان أوجه الاستفادة منه في الوقت الحاضر .

لذا فإن البحث سينصب على الإجابة عن التساؤلات التالية :

- ما الحوار؟ وما مفهومه؟ وما أنواعه؟ .
- ما مكانته في الدعوة إلى الله تعالى؟
- وكيف كان الحوار عند الأنبياء السابقين؟ .
- ما أهداف الحوار النبوي؟ وما موضوعاته؟ .
- وما الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها المحاور؟ .
- وما الأساليب التي تتضمنها الحوارات النبوية؟ .
- وما العوائق التي تمنع الاستفادة من الحوار من خلال حواراته ﷺ؟ .
- ما أهم الآثار التي حققها الحوار النبوي؟ .
- ما القواعد التي يعتمد عليها الحوار النبوي؟ .
- كيف يستخدم الحوار ويستثمر لخدمة الدعوة في العصر الحاضر؟ .

## منهج البحث:

بما أن البحث بالصورة التي ذكرت فإن الباحث سيعتمد بعد فضل الله تعالى للوصول إلى حقائقه على المناهج التي تلائمه وهي<sup>(١)</sup>.

١- المنهج الاستقرائي<sup>(٢)</sup>: حيث يحتاجه الباحث لاستقراء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية من خلال الحوار وجمعها وترتيبها، ليصدر الباحث بناءً على ذلك أحكاماً عامة تشمل ما درسه.

٢- المنهج التاريخي<sup>(٣)</sup>: إذ ينبغي على الباحث استرداد التاريخ لجمع المعلومات وتصنيفها، ومن ثم فحصها وتحليلها.

(١) د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، انظر: البحث العلمي - صياغة جديدة - ص ٢٤. ط: ٣ (١٤٠٨هـ). دار الشروق جدة.

وانظر د. أركان انجل، أساليب البحث العلمي. دراسة مفاهيم البحث لأخصائي العلوم الاجتماعية. . إصدار معهد الإدارة العامة بالرياض.

وانظر د. حلمي محمد فودة. د. عبدالرحمن صالح عبدالله، المرشد في كتابة الأبحاث. . ص ٢٦. ط: ٦. ١٤١٠هـ. دار الشروق، جدة.

(٢) المنهج الاستقرائي: وهو الذي ندرس فيه بعض جزئيات أو أجزاء الشيء الذي هو موضوع البحث.

انظر: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، . ص ١٩٦. ط: ٢. دار القلم، دمشق.

(٣) المنهج التاريخي هو: يقوم فيه الباحث باسترداد الماضي استناداً إلى مخلفات الإنسان من آثار ذات أنواع مختلفة ويتلاءم مع موضوعه.

انظر: . د. حكمت العرابي، البحث الاجتماعي - المنهج وتطبيقاته. ص ١٦. ط: ١. ١٤١٠هـ. (لم يذكر دار للنشر).

تقسيم الدراسة:

عنوان البحث:

”الحوار في دعوة النبي ﷺ – دراسة دعوية“.

- المقدمة .

- التعريف بمصطلحات البحث .

- مدخل الدراسة .

- أسباب اختيار الموضوع .

- الدراسات السابقة .

- تحديد المشكلة البحثية .

- التساؤلات البحثية .

- منهج البحث .

- تقسيم الدراسة .

**الفصل التمهيدي:**

المبحث الأول : مفهوم الحوار .

المبحث الثاني : مكانة الحوار في الدعوة إلى الله من بين الأساليب

القولية .

المبحث الثالث : الحوار عند الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام .

## الفصل الأول: أهداف الحوار النبوي وموضوعاته:

المبحث الأول: أهداف الحوار النبوي:

- المطلب الأول: الدعوة إلى الإسلام.

- المطلب الثاني: إقامة الحجّة.

- المطلب الثالث: دفع الشبه.

المبحث الثاني: موضوعات الحوار النبوي:

المطلب الأول: موضوعات عقديّة.

المطلب الثاني: موضوعات تشريعية.

المطلب الثالث: موضوعات أخلاقية.

## الفصل الثاني: صفات المحاور في الهدي النبوي:

المبحث الأول: العلم والفهم الدقيق.

المبحث الثاني: البلاغة والبيان.

المبحث الثالث: التجرد والانصاف.

المبحث الرابع: الحلم والأناة.

## الفصل الثالث: أساليب الحوار في دعوة النبي ﷺ:

المبحث الأول: التقرير.

المبحث الثاني : التساؤل .

المبحث الثالث : التذكير بالنعيم .

المبحث الرابع : الترغيب والترهيب .

الفصل الرابع : معوقات نجاح الحوار النبوي :

المبحث الأول : التعصب للميراث الفكري .

المبحث الثاني : حب الشرف والرئاسة .

المبحث الثالث : التكبر والغرور .

المبحث الرابع : الجدل والمراء .

المبحث الخامس : الانتصار للنفس .

الفصل الخامس : آثار الحوار النبوي :

المبحث الأول : قبول الدعوة .

المبحث الثاني : كسب مؤيدين جدد للدعوة .

المبحث الثالث : تحييد بعض أصحاب التأثير .

الفصل السادس : سمات الحوار النبوي وأوجه الاستفادة منه :

المبحث الأول : تحديد الهدف .

المبحث الثاني : مراعاة الأولويات .

المبحث الثالث : المخاطبة على قدر العقل .

المبحث الرابع : أوجه الاستفادة من الحوار النبوي .

الخاتمة : أهم النتائج والتوصيات .



## الفصل التمهيدي

---

- المبحث الأول : مفهوم الحوار .
- المبحث الثاني : مكانة الحوار في الدعوة إلى الله من بين الأساليب القولية .
- المبحث الثالث : الحوار عند الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام .

## توطئة:

هذا الفصل هو مفتاح البحث ؛ وليستقيم الحديث في مضامين لب البحث ينبغي معرفة معاني مفرداته، فما الحوار؟ وماهي المصطلحات المرادفة له؟ وما الفرق بينه وبين الجدل والمناظرة؟ .

وأيضاً لتبين أهميته ومكانته ينتقل الحديث إلى موقع هذا الأسلوب الدعوي بين أساليب الدعوة فالأساليب الدعوية، المبثوثة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كثيرة متنوعة، فأين موقع وموضع أسلوب الحوار من بينها؟ وماهي أبرز السمات التي تميز الحوار عن غيره من الأساليب، والأدلة الشرعية التي تدعو إلى استخدامه وتحث عليه، وتعزز مكانته وتثبت أهميته .

ومما يؤكد ذلك، ويبين سلامة السير في طريق الدعوة الطويل أنه أسلوب قديم بقدم الدعوة، حيث بناه الأنبياء- قدوات الدعاة- في استخدامهم له في دعوتهم، والحوار هو أداة الرسل (عليهم السلام) والأسلوب الأول في سعيهم الدعوي، إضافة إلى تضمينه أسس دعوية تفيد الدعاة في كل زمان ومكان، فهذا الفصل سيجيب بوضوح عن هذه التساؤلات الهامة وغيرها مما له علاقة بموضوع البحث، فإلى تفصيل ذلك .

المبحث الأول  
مفهوم الحوار



## مفهوم الحوار

إن المفهوم ذو دلالة واسعة، فهو عام والتعريف خاص، إذ التعريف ينبغي أن يكون حاداً جامعاً مانعاً، وأشار العلماء المتقدمون إلى أن الحد أخص وهو المعنى والحقيقة للمصطلح المراد تعريفه<sup>(١)</sup>.

ولمحاولة استخلاص تعريف واضح للحوار ينبغي أن يتوسع في معرفة ماله علاقة بهذا المصطلح سواء في المدلول أو الأثر.

### ١- الحوار في اللغة:

ذكر اللغويون معان كثيرة للحوار ومن ذلك:

١- أنه يدل على النقصان<sup>(٢)</sup> وهذا المدلول وردت إشارة إليه في حديث السفر ومنه قوله ﷺ: «والحوار بعد الكور»<sup>(٣)</sup>.

٢- ومن معانيه التحير والقعر<sup>(٤)</sup>.

٣- واستحاره: استنطقه، والتحاور: التجاوب<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) انظر على سبيل التمثيل: الجويني. الإمام. الكافية في علم الجدل ص ٣١.  
وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/ ص ٨٨ و ص ٢٥٥ جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. مكتبة المعارف. المغرب بدون تاريخ.  
(٢) انظر الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة «حور» ص ٤٨٦.  
(٣) صحيح مسلم مع النووي ك/ الحج، باب (٧٥): «مايقول إذا ركب الحج وغيره» ٩/ ١١٤، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٨ هـ ط: ٤.  
(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة «حور» ص ٤٨٦.  
(٥) نفسه، ص ٤٨٧.

٤ - ويدل على الرجوع عن الشيء وإلى الشيء<sup>(١)</sup>.

ولعل غالب المعاني اللغوية تؤدي إلى هذا المعنى الأخير والملاحظ أن الاستنطاق والمجاوبة هما أقرب المعاني إلى مادة هذا البحث ومغزاه.

يصفه الأصفهاني بقوله: «المراد في الكلام ومنه التحاور»<sup>(٢)</sup>. فتضمن

كلامه إشارة إلى جوانب الحوار.

### ٢ - معاني الحوار في القرآن الكريم:

لم ترد لفظة «الحوار» في القرآن الكريم وإنما ورد «يحاوره» و

«تحاوركما» و«يحور».

فالأولى وردت مرتين في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ﴾<sup>(٣)</sup>، والثانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾<sup>(٤)</sup>،

والثالثة في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة «حور» ١/٧٥١.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١٣٥.

(٣) الكهف (٣٤، ٣٧).

(٤) الانشقاق (١٤).

(٥) المجادلة (١).

ففي سورة الانشقاق المعنى «الرجوع»<sup>(١)</sup>، أما في الايات الاخرى  
فيذكر أهل التفسير أن المراد: «مراجعة الكلام»<sup>(٢)</sup>، وتابعهم ابن عاشور بيد  
أنه أضاف «بين متكلمين» فحدد بتعريفه أركان الحوار:

المحاور، والمحاوَر، وموضوع الحوار.

### ٣- : الحوار في الاصطلاح:

إن المطلع على المعاني الاصطلاحية لا يلاحظ فرقاً واضحاً بينها وبين  
ما سبق، وإن أضافوا مفهوماً يتناسب مع خصوصية الحوار الفنية فمن ذلك  
قولهم: «مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم  
يعود إلى الأول دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على  
وجود الخصومة»<sup>(٣)</sup>.

وذكروا تعريفاً آخر هو:

«مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين»<sup>(٤)</sup>.

ولعله من المفيد مراجعة معاني المصطلحات المقاربة للحوار توخياً

(١) انظر محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل ١٧/١٠٥، دار الفكر، (ط: ٢)

١٣٩٨ هـ.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٩/١٥. وابن الجوزي، المسير في علم التفسير، ١٨٢/٨.

(٣) أصول الحوار، جمع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٩.

(٤) أسلوب المحاور في القرآن، د. عبدالحليم حفني، ص ١٤ الهيئة المصرية للكتاب.

لسلامة المعالجة ولإثراء هذه المعلومة .

والذي يتبين من خلال المطالعة وتكرار المراجعة أن أهم المصطلحات المرادفة للحوار والتي يشير الباحثون إلى قربها من الحوار هي : الجدل ، المناظرة .

### والجدل في اللغة:

- ١- يدل على : شدة الفتل وعلى إحكام الشيء<sup>(١)</sup> .
- ٢- ومن معانيه : اللدد في الخصومة والقدرة عليها<sup>(٢)</sup> .
- ٣- وأيضاً بمعنى : صرعه وغلبه<sup>(٣)</sup> .

### والجدل في الاصطلاح:

استفاد أهل الاصطلاح من جملة المعاني اللغوية فعرفوه بأنه : «دفع القول على القول على طريق الحجة بالقوة»<sup>(٤)</sup> ويعرفه ابن عاشور بقوله : منازعة

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب مادة (حور) ١/٤١٩ .

وهذا التعريف فيه فائدة إذ أن أكثر المتطرقين لتعريفات الجدل يحاولون أن يبينوا أن الجدل يدل على الشدة والغلظة وهذا التعريف يشير بمعناه إلى أن الجدل يدل على الدقة والحزم والتناسق وعلى التحكم والتمكن .

(٢) انظر القاموس المحيط ، مادة : جدله ص ١٢٦١ .

(٣) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، مادة «جدل ص ١١١ .

(٤) محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، أحكام القرآن ، ٢/٢٧٥ . دار الكتب العلمية ،

بيروت ط : ١ ، ١٤٠٨ هـ .

بالقول لإقناع الغير برأيك»<sup>(١)</sup>. وتعريف ثالث للدكتور زاهر الألمعي قال فيه :  
«الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات  
دعوى المتكلم»<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ على التعريفات الاصطلاحية أن غالبها يركز على إثبات  
جانب الشدة والمخاصمة مما فهم من المدلولات اللغوية التي أشارت إلى  
ذلك، وإن الغرض من الجدل هو الانتصار للرأي وإفحام الآخرين.

### المناظرة: في اللغة تدل على:

١- الابصار والتأمل بالعين<sup>(٣)</sup>.

٢- والتفكير والمباراة في المحاجة<sup>(٤)</sup>.

٣- وتأتي بمعنى: الند<sup>(٥)</sup>.

٤- المجادل المحاج.

ويلاحظ في الأخيرين بوضوح أنهم أوردوها بمعنى الجدل فالندية  
والمحاجة فيهما جميعاً.

(١) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ١٩٤/٥.

(٢) د. زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٢٤. ط: ٣، ١٤٠٤هـ، ولم  
تذكر دار النشر.

(٣) انظر المعجم الوسيط، مادة «نظر» ٩٣١-٩٣٢.

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ٩٣٢.

(٥) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة «نظر» ٦٦٦/٣.



## المنظرة في الاصطلاح:

عرفها العلامة محمد الأمين الشنقيطي بأنها: «المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»<sup>(١)</sup>.

## الفرق بين هذه المصطلحات:

من خلال الإطلاع على مادونه الدارسون في هذا الفرع من المعرفة يلحظ الخلط بين مراداتها لديهم<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من جملة ما سبق ذكره أن هذه المصطلحات بينها تداخل إذ أنها من أصل واحد، فهي كلام جار بين متكلمين، والحوار بمعناه العام كما تبين أنه مجاوبة الكلام وتردده؛ والجدل والمناظرة فيها هذا المعنى.

وإن حاول البعض أن يبين ما قد تفرق به هذه المصطلحات إلا أنه وأثناء محاولته تلك اعترف بقربتها وعلاقتها ببعضها البعض<sup>(٣)</sup>. فبالنظر هي متداخلة ولكن من الناحية الفنية قد تفرق<sup>(٤)</sup>. وزبدة القول أن الجدل

(١) محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة ١/ ٣، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ ورقم للطبعة.

(٢) انظر على سبيل التمثيل: ابن خلدون، المقدمة.

(٣) انظر: أبو زهرة، تاريخ الجدل (٥، ٦)، دار الفكر العربي، بدون تاريخ ورقم للطبعة، وعلي صالح الهزاع، الفاخر في آداب الحوار والمناظرة، ص: ١٣، (ط: ٢) ١٤١٣هـ (بدون ذكر لدار النشر).

(٤) د. حسن الشرقاوي، الجدل في القرآن ٧، منشأة المعارف، الإسكندرية.

والمناظرة يدخلان ضمناً في معنى الحوار .

والذي يظهر أن الحديث يبدأ حواراً هادئاً، وقد يتطور إلى إيراد حجج وبراهين وأدلة وملاحة؛ فيتحول إلى جدل، وقد يتواعد الطرفان بمكان وزمان معلومان، وبحضور جمع من الناس بشكل منظم؛ وهذه هي المناظرة؛ إذ أنها تحتاج إلى ترتيبات مسبقة، وإجراءات نظامية مالا يحتاج إليه الحوار والجدل، وهذا ما أشارت إليه كتب المناظرة<sup>(١)</sup>.

فزبدة القول أنها من حيث النظر متقاربة ومتداخلة ولكنها من الناحية الفنية تفرق .

فيخلص من ذلك أن الجدل والمناظرة يدخلان ضمناً في معنى الحوار العام؛ مما يدل أنهما من أنواعه، وقد يكونان بعض مراحلهم .

والتعريف الذي يتجه إليه هذا البحث هو أن الحوار: «مراجعة الكلام بين الداعي والمدعو بهدف بيان الحق أو تقريره لاتباعه، أو بيان الباطل لاجتنابه» .

---

(١) انظر المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والدكتور فندر، ابن تيمية الرياض . وانظر حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، ابن قدامة، مكتبة الرشد، الرياض . وانظر مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والبايجي، دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٦هـ .

## حكم الحوار:

لم يتحدث أهل العلم عن الحوار بهذا المصطلح الذي شاع استعماله في الوقت الحاضر، ولكنهم تحدثوا عن مرحلتي الجدل والمناظرة بإسهاب وتفصيل، وحاولوا تحديد نشأتهما كعلم قائم بذاته له قواعده وآدابه، ومبلغ حاجة الناس إليه، ومن ذلك قسموا هذه الأساليب إلى قسمين رئيسين من جهة الحكم ممدوح ومذموم.

وأصل هذه الأساليب فطري في الإنسان، إذ وهبه الله اللسان والقدرة على البيان، فنزعة الدفاع عن حقوقه، والانتصار لنفسه قديمة فيه، فالإنسان إذاً يتحدث بطبعه، فلا يمنع من الحديث والإفصاح والإبانة عما يعتمل ويتردد في نفسه في شتى الأمور والقضايا، ولكن الإنسان المسلم يتذكر أنه مرتبط بتعاليم دينه في كل شؤونه القولية والعملية، ومحاسب على ما يصدر عنه ومنه ﴿وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾<sup>(١)</sup>، والرسول الكريم ﷺ كثيراً مانبه وحذر من مغبة اللسان؛ ومن ذلك حديث معاذ - رضي الله عنه - في حوار معه جاء فيه «كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير

(١) ق- ١٨-

على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل»، قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(١)</sup> - حتى بلغ - ﴿يعملون﴾، ثم قال: «ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فأخذ بلسانه، قال: كف عليك هذا»، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم»<sup>(٢)</sup>.

ففي النصين السابقين ما يغني بيان ضبط المسلم لما يخرج من لسانه، وهذا في مطلق الكلام، وفي مجالات الدعوة وأساليبها القولية يكون الأمر ألزم وأحكم فالداعي من أولئ الناس بطيب الكلام مضموناً، وأسلوباً وقدرأ.

ولقد جاءت الأخبار والنصوص في الحوار، إقراراً، وحثاً، وأمرأ،

(١) السجدة- ١٦ - .

(٢) جامع الترمذي، ك/ الإيمان. باب (حرمة الصلاة) حديث رقم (٢٦١٦)، ص: ١٩١٥، وصححه الألباني. انظر: صحيح سنن الترمذي باختصار السند. ٣٢٨/٢، ٣٢٩.

ومن ذلك أن الحوار جاء في القرآن بصور متنوعة، فإن الأنبياء جادلوا أقوامهم وحاوروهم حتى أفحموهم وشهدوا بكثرة حوارات الأنبياء، يقول تعالى عن نوح - عليه السلام - وقومه ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾<sup>(١)</sup>، يقول القرطبي - رحمه الله - «والجدل في الدين محمود، ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبله أنجح وأفلح ومن رده خاب وخسر، وأما الجدل لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم، وصاحبه في الدارين ملوم»<sup>(٢)</sup>.

وجاء ذكر الحوار وإقراره في قصة صاحب الجنتين وصاحبه الذي تحاور معه ﴿ فَقَالَ لِسَابِحِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وسميت سورة من القرآن «بالمجادلة» وفي أولها إثبات لخبر المرأة المجادلة ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾<sup>(٤)</sup>. وفي ذلك ما يكشف ثناء على المجادلة بالحق وإن كان في أمر خاص بالإنسان، وجاء في الحديث قوله ﷺ: «ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين ادخلوا النار...»<sup>(٥)</sup>.

(١) هود - ٣٢ - .

(٢) الجامع لاحكام القرآن، القرطبي.

(٣) الكهف - ٣٤ - .

(٤) المجادلة - ١ - .

(٥) سنن النسائي . ك/ الإيمان . باب (زيادة الإيمان) حديث رقم [٥٠١٣] وصححه الالباني .

انظر : سنن النسائي باختصار السند ٣ / ١٠٣١ .

فإذا كان ذلك في الأمور الخاصة بالإنسان فما بالك إذا كان في نصره الحق في قضايا الدين، ومن النصوص التي تحت وتأمر بهذا الأصل قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

وابن تيمية يعد الجدل مأموراً به مقابل الدعوة، إذ هو أصل مستقل له مجاله ومقامه<sup>(٢)</sup>. ويرى أنه إذا كان للذب عن السنة جهاد في سبيل الله، بل هو أفضل من الجهاد<sup>(٣)</sup>.

والآيات التي تقرر هذا الأسلوب لا حصر لها فكلمة «قل» وهي رأس الحوار وبداية إنشائه كثير ورودها في كتاب الله.

ومناظرات كثيرة ساقها القرآن الكريم من أجلها وأشملها ما جاء في خبر إبراهيم - عليه السلام - ومحاوراته مع عبدة الكواكب وعبدة الأوثان، ومع الملحد المتكبر «النمرود» ويعلق القرطبي بكلام طيب في قصة مناظرة إبراهيم - عليه السلام - مع النمرود في إثبات هذا الأسلوب فيقول «وتدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، وفي القرآن والسنة من هذا كثير لمن تأمله؛ قال الله تعالى ﴿اتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿إِنْ

(١) النحل - ١٢٥ - .

(٢) انظر: الرد على المنطقيين ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٣ / ٤ .

(٤) النمل - ٦٤ - .

عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ ﴿١﴾ أَي: من حجة، وقد وصف خصومة إبراهيم عليه السلام قومه ورده عليهم في عبادة الأوثان كما في سورة «الأنبياء» وغيرها.

وقال في قصة نوح - عليه السلام - ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ (٢) الآيات إلى قوله: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٣). وكذلك مجادلة موسى مع فرعون إلى غير ذلك من الآي، فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والجواب والمجادلة في الدين، لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل.

وجادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وبأهلهم بعد الحجة على ما يأتي بيانه في «آل عمران» وتحاج آدم وموسى فغلبه آدم بالحجة وتجادل أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة وتدافعوا وتفرروا وتناظروا حتى صدر الحق في أهله، وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة إلى غير ذلك...» (٤).

وفي السنة والسيرة جاء إثبات الحوار بصور متنوعة، يصعب حصرها عن سبيل التفصيل، فحياته ﷺ من حين أمر بالندارة إلي أن توفاه الله جل وعلا واختاره إلي جواره وهي مناظرات ومحاورات مع جميع طوائف الناس؛ مع أممي الاجابة والدعوة، وأيضاً صحابته تجادلوا فيما بينهم وحاوروا غيرهم من الطوائف المختلفة فأقرهم وأيدهم في كثير منها.

(١) يونس - ٦٨ - .

(٢) هود - ٣٢ - .

(٣) هود - ٣٥ - .

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٨٦.

إضافة إلى أنه أمر بمجاهدة خصوم الدعوة بكل وسيلة ومن ذلك الدعوة والمجاهدة باللسان؛ يقول ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم»<sup>(١)</sup>، وأيضاً درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرزها درجة التغيير باللسان يقول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

وقد سبقت هذه الأدلة على سبيل الأحجال والاختصار للدلالة على مشروعية هذا الأسلوب البارز في الدعوة والرسالة في جلها تحتوي أدلة ظاهرة في إثبات أسلوب الحوار وتفصيل لما أجمل في الحديث عنه.

وزبدة الحديث أن في الحوار وإمكاناته ظهور لفضيلة أكرم الله بها الإنسان وهي علم البيان، والحكم فيه يدور بدوران علتة، فيظهر حله وجوازه، واستجابته والندب إليه بحسب مضمونه وأهدافه وأسلوبه، فإن صحت صحح وجاز، وإن فسدت فسد بحسب درجة فساده وأمره إلى الله<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن النسائي، ك/ الجهاد، باب (كراهية ترك الغزو) حديث رقم [٢٥٠٤]، ص: ١٤٠٨. انظر: صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٢/ ٤٧٥.

(٢) صحيح مسلم، ك/ الإيمان، باب (كون النهي عن المنكر من الإيمان وأالأر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان) رقم الحديث [٧٨] ص: ٦٨٨.

(٣) انظر للاستزادة: د. زاهر الألمي، مناهج الجدل في القرآن - ٦٣ - ٦٥. ويحيى محمد حسن زمزمي، الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة)، ٦٠ - ٧١، دار التربية والترات. مكة المكرمة بدون رقم وتاريخ للطبعة، وأحمد بن عبدالرحمن الصويان، الحوار (أصوله المنهجية وآدابه السلوكية) ١٨ - ٢٧، دار الوطن للنشر (ط: ١) ١٤١٣هـ.



**المبحث الثاني**  
**مكانة الحوار في الدعوة إلى الله من بين**  
**الأساليب القولية**

---

## مكانة الحوار في الدعوة إلى الله من بين الأساليب القولية

الحوار له مكانته البارزة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والمكانة هي المنزلة والموضع<sup>(١)</sup>. يقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولمعرفة هذه المكانة، ينبغي معرفة معنى الأسلوب الدعوي، فما الأسلوب؟.

### أ - في اللغة:

بالعودة إلى قواميس اللغة العربية يجد المطلع أنه يدل على:

- أ- الطريق والوجه والمذهب، فيقال: هو على أسلوب من أساليب القوم، أي على طريق من طرقهم<sup>(٣)</sup>، ويقال: أنتم في أسلوب سوء<sup>(٤)</sup>.
- ب- الفنون المختلفة<sup>(٥)</sup>، أخذ في أساليب من القول أي في فن من فنونه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: مكن. وانظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط،

مادة: مكن، والمعجم الوسيط، مادة: مكن، ص ٨٨١.

(٢) يوسف - ٥٤ - .

(٣) انظر أحمد الغيبي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مادة: (سلب).

(٤) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلب.

(٥) انظر، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ٨.

ج- عنق الأسد، الشموخ في الأنف<sup>(١)</sup>.

د- ويطلق على السطر من النخيل أسلوب.

هـ- ويطلق على السير السريع<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ التسلسل والتدرج الفني في ترتيب هذه التعريفات مما يسهل الإفادة منها في تحديد معنى الأسلوب في الاصطلاح الدعوي.

فطريقتك التي تريد نشرها تحتاج فناً مناسباً فتنتقي ما أرتفع وبرز، ثم تعتنى بتنظيمه بشكل جذاب، وهذا ما يدل عليه قوله «سطر من النخيل» إذ يدل على التناسق وجمال الشكل مما يدعو للإعجاب ولفت النظر وهذا ما يتغياها الداعي اللبق الحريص على نشر دعوته.

ثم بعد ذلك ينطلق بدعوته فيعرضها على المدعويين بأبهى صورة وأحلى مقال لتلقى القبول والإقبال.

فزبدة القول أنه يدل على النهج الخاص الذي يتخذه للوصول إلى مراده بأحسن طريق في سعيه الدعوي.

### ٣ - الاصطلاح الدعوي:

تختلف تعريفاته باختلاف الفنون وهو اختلاف تنوع لا اختلاف

تضاد<sup>(٣)</sup>.

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: (سلب).

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: (سلب).

(٣) انظر د. حمد بن ناصر العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ٢٨، دار إشبيلية،

الرياض، ط: ١، ١٤١٦هـ.

فمنهم من يرى أنه الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني<sup>(١)</sup>.  
وعند هذا المعنى وقف المعروفون للأسلوب في فن الأدب، إذ تراوحت  
تعاريفهم حول اختيار الألفاظ المناسبة لتأدية المعاني وإيصالها<sup>(٢)</sup> يقصد بها  
صينغ التبليغ وعرفت بأنها الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته<sup>(٣)</sup>.  
ويرى الشيخ ابن حميد أنه مايتعاطاه الداعي من طرق وصينغ لإيصال  
الحق إلى الناس<sup>(٤)</sup>.

### ٣ - أساليب الدعوة:

تكاد تجمع المصادر والمراجع التي تحدثت عن أساليب الدعوة بأنها  
مستقاة ومستوحاة من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ  
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٦٧٥)</sup>. فهذا النص الكريم سهل مهمة حصر

- (١) أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية) ٤٤ ط: ٧ العادة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.  
(٢) علي سبيل التمثيل انظر د. سعد مصلوح، الأسلوب. (دراسة لغوية احصائية) ٣٨،  
ط: ٣، عالم الكتب القاهرة، ١٤١٢هـ. وانظر محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل  
العرفان في علوم القرآن، ١٩٩/٢، ط: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي،  
بدون سنة طبع.  
(٣) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ٤٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١.  
(٤) انظر د. صالح بن عبدالله بن حميد، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله، من إصدارات  
الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط: ٢، ١٤١٥هـ.  
(٥) النحل (١٢٥).  
(٦) انظر د. إبراهيم بن صالح الحميدان، أسلوب المناظرة في دعوة النصاري إلى الإسلام،  
٤٧، رسالة دكتوراة غير منشورة.

الأساليب على كثرتها وتنوعها، فما من أسلوب إلا ويتضمنه هذا النص الكريم نصاً أو ضمناً .

فأساس تلك الأساليب وجماعها هي الأعمدة الثلاثة المذكورة في الآية<sup>(١)</sup> .

فالنص صرح بأن أساليب الدعوة بحسب حال المدعوين تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

١ - أسلوب الدعوة بالحكمة .

٢ - أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة .

٣ - أسلوب الدعوة بالمجادلة الحسنة .

ويحسن في هذا المقام ولتظهر ميزة أسلوب الحوار بين هذه الأساليب، أن يتطرق البحث بتفصيل ملائم لكل أسلوب :

أولاً: الحكمة :

فما هي؟ وما المراد منها بهذا النص؟ :

الحكمة من المصطلحات الشائعة، والتي يكثر الحديث عنها فخلاصة

ماتؤديه التعريفات اللغوية أنها :

١ - المنع من الجهل .

(١) انظر د. سيد الشنقيطي . ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ٤٩٠ (مرجع سابق) .

٢- الحُكْم، الحكمة من العلم، والحكيم العليم وصاحب الحكمة .

٣- معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم<sup>(١)</sup> .

### الحكمة في القرآن الكريم:

يذكر الفيروزآبادي أنها وردت على ستة أوجه<sup>(٢)</sup> :

**الأول:** جاءت بمعنى النبوة، والرسالة ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ .

**الثاني:** جاءت بمعنى القرآن والتفسير، والتأويل وإصابة القول

فيه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> .

**الثالث:** فهم الدقائق والفقهاء في الدين: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(٥)</sup>

**الرابع:** بمعنى الوعظ والتذكير: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٦)</sup> .

**الخامس:** آيات القرآن وأوامره ونواهيه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة: (حكم).

(٢) انظر الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤٨٧/٢ .

(٣) آل عمران (٤٨) .

(٤) البقرة (٢٦٩) .

(٥) مريم (١٢) .

(٦) النساء (٥٤) .

(٧) النحل (١٢٥) .

السادس: حجة العقل على وقف أحكام الشريعة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذه خلاصة ذكرها رحمه الله جملة في تعريفات ومرادات مصطلح الحكمة في القرآن الكريم.

والحديث الآن يتركز على المراد بأسلوب الحكمة الوارد في الآية السابقة التي حددت أساليب الدعوة:

إنَّ العلماء لهم في تعريفها مرادات متنوعة، وإن تشابهت وتداخلت في جلها<sup>(٢)</sup>.

ولأن الحديث يتناول الحكمة في الدعوة إلى الله، فإنه سيقصر في اختيار المعاني المناسبة لذلك.

فمن التعريفات الاصطلاحية للحكمة ما يلي:

١- ما أنزل الله من الوحي على رسوله كتاباً وسنة<sup>(٣)</sup>.

٢- المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد، وقيل لها حكمة، لأنها بمنزلة المانع من الفساد، وما لا ينبغي أن يختار، وهي الحق الصريح<sup>(٤)</sup>.

(١) لقمان (١٢).

(٢) انظر. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ٣/٣٣٠.

(٣) انظر ابن جرير الطبري. جامع البيان ١٣/١٣١ وابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ٢/

٧٨١.

(٤) انظر. البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٤/٢٧٩.

٣- المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة<sup>(١)</sup>.

٤- دعوة كل أحد على حسب حاله وقبوله وانقياده<sup>(٢)</sup>.

وهذه لعلها أبرز التعريفات التي ذكرت في الحكمة في هذا النص، والذي يتناسب مع مقام هذه الجزئية من هذا البحث، وإلا فهي أكثر من ذلك بكثير.

**وأسلوب الدعوة في مقام الحكمة يكون بمراعاة مايلي:**

أ- العلم، والمقصود العلم بالكتاب والسنة والعمل بهما.

فإنما يراد العلم للعمل، وأيضاً فالحكمة، اسم يجمع العلم والعمل<sup>(٣)</sup>.

إضافة إلى أن الداعي مطالب بتطبيق مايقول ليكون القدوة الحسنة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ

اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ .

ب- الدليل الواضح والحجة القطعية؛ فينبغي للداعي أن يكون حاضر

(١) انظر. الزمخشري. الكشاف. ٤٣٥/٢.

(٢) انظر. ابن سعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

(٣) انظر. د. إبراهيم بن صالح الحميدان. أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٥٠ (مرجع سابق).

(٤) الصف (٢، ٣).



الدليل لما يدعو إليه ، وفي القرآن ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

فهذا مما يوضح العرض للمدعو القابل الذي لا يعاند الحق ولا يأباه<sup>(٢)</sup> .

ج- مراعاة مقتضى الحال في الدعوة؛ فالمدعوون يختلفون في مستوياتهم العلمية والفكرية وفي شتى شؤونهم ، فلا بد من مراعاة ذلك فيما يدعون إليه ، وفي كيفية الدعوة .

ومما سبق يتبين ظهور أسلوب الحكمة من بين الأساليب الأخرى ، مما يؤكد أهميتها وأولويتها وضرورة مراعاتها في كل أحوال الداعية<sup>(٣)</sup>

ولعل ما ذكره يبرز أهمية أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

## ثانياً: الموعظة الحسنة.

### أ - الموعظة في اللغة:

بالاطلاع على هذه الكلمة في مصادرها اللغوية لا يتعدى معناها:

النصح والتذكير بالعواقب<sup>(٤)</sup> ، وإن أضاف بعضهم بأن ذلك يكون

(١) البقرة - ١١١ . .

(٢) انظر ابن القيم . التفسير القيم ٣٤٤ .

(٣) انظر د . إبراهيم الحميدان . أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام ٥١ .

(٤) انظر . المعجم الوسيط . مادة: (وعظه) ولسان العرب . مادة: وعظ .

بالقول والفعل<sup>(١)</sup>.

وأجاد الراغب وجمع ذلك بتعريف جامع حيث يقول «الوعظ زجر مقترن بتخويف»<sup>(٢)</sup>.

ب - الموعظة في الاصطلاح:

والتركيز على معناها حيث وردت في النص محل البحث .  
في حقيقة الأمر أن المطلع على التعريفات على كثرتها أنها تعود إلى أصلها اللغوي في أغلبها وإن اختلفت العبارات .

ومن هذه التعريفات :

١ - «العبر الجميلة التي جعلها الله سبحانه عليهم حجة في كتابه وذكرهم بها في تنزيله»<sup>(٣)</sup>.

٢ - الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب<sup>(٤)</sup>.

٣ - الأمر والنهي والترغيب والترهيب<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجعان السابقان .

(٢) الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن ٥٢٥ .

(٣) ابن جرير الطبري . جامع البيان في تفسير القرآن . ١٣١ / ١٤ .

(٤) الخازن . لباب التأويل في معاني التنزيل ١٢٤ / ٤ .

(٥) انظر . شيخ الإسلام ابن تيمية . الرد على المنطقيين ٤٦٧ (مرجع سابق) .

٤ - مافي القرآن من الزواجر والوقائع بالناس<sup>(١)</sup> والأخير لابن كثير وهو كانه أكمل ما ذكره ابن جرير الطبري في القول الأول حيث اغفل جانب الترهيب وفي هذا التعريف ركز ابن كثير على جانب الترهيب .  
فهذه أبرز التعريفات للموعظة المقصودة بهذا الأصل القرآني في أساليب الدعوة .

ويلاحظ أن الموعظة قيدت بالحسنة ، وهذا معلوم بأن الموعظة بالترغيب والترهيب لا بد أن تكون حسنة لأن الأصل في الموعظة أنها تلين نفس المدعو ليستعد لفعل الخير والاستجابة له<sup>(٢)</sup> .

ويقصد بها ومنها غالباً ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه ، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ<sup>(٣)</sup> .

ولأنها كذلك لا بد أن تكون حسنة في أسلوب عرضها ، وهذا يتنافى مع الفظاظة والغلظة ، والمخاشنة في القول والسباب والشتائم ، إلى غير ذلك مما تنفر منه الطباع ولا تتحمل استماعه ولا تتقبله<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٧٨١ / ٢ .

(٢) انظر . د . ابن حميد . مفهوم الحكمة في الدعوة ٨ (مرجع سابق) .

(٣) انظر . المرجع السابق نفسه ٨ .

(٤) انظر . عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني . فقه الدعوة إلى الله . ٦٠٨ / ١ . دار القلم .

دمشق (ط : ١) ١٤١٧ هـ .

ويدل على ذلك قوله تعالى في أمره لموسى عليه السلام: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا نص كريم عظيم الدلالة على ما ذكر، ونفي عما دونه من تقاويل البشر، فهذا كريم الله ورسوله من أولي العزم، يرسل إلى إنسان من أطفئ وأمرد خلق الله، ذي ملك عظيم، ويد طائلة، وأعوان وجند، عدد وعدة، حتى قال تعالى عنه ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة أن هذا الطاغية توافرت وتجمعت دواعي الاستعلاء والتكبر عنده، ومع هذا أمر موسى عليه السلام أن يلاطفه بالقول، فغيره ممن هو دونه أولى بذلك.

وينظم من معاني الموعظة الحسنة المذكورة بالآية أن أهم الملامح التي أشارت إليها هي:

١- الدعوة بالترغيب والترهيب.

٢- الأصل فيها أن تلين نفس المدعو وترققه ليدرك المدعو أن المقصود نصحه ومنفعته<sup>(٣)</sup>.

ولأنه وصفها بالحسن تحريض على أن تكون لينة مقبولة عند الناس.

(١) طه (٤٣، ٤٤).

(٢) الفجر- ١٠.

(٣) انظر. د. الحميدان. أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام ٥٣.

### ثالثاً: المجادلة بالتي هي أحسن.

سبق في مقدمات البحث ذكر تعريفات الجدل عموماً في اللغة وعند أهل الاصطلاح، والحديث هنا يتناول معاني المجادلة في هذا النص الكريم الذي شمل أساليب الدعوة.

واتضح من خلال ما سبق في مفاهيم الحوار والجدل والمناظرة أن الحوار يشملها جميعاً.

وبعض أهل العلم يرون أنهما بمعنى واحد، وهذا ما تدل عليه أقوالهم، وهذا واضح في سورة المجادلة ﴿تجادلك في زوجها﴾<sup>(١)</sup> يقول أبي السعود «أي تراجعك الكلام..»<sup>(٢)</sup> وعند قوله تعالى ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ يذكر نفس المعنى<sup>(٣)</sup> وتابعه الشوكاني<sup>(٤)</sup> وقريب منه عند الزمخشري<sup>(٥)</sup> والقرطبي<sup>(٦)</sup>.

والدكتور ابن حميد يستند بالنص السابق أن الحوار والجدال ذو دلالة واحدة<sup>(٧)</sup>.

(١) المجادلة - ١ .

(٢) أبي السعود. تفسير أبي السعود. ٢١٥/٨.

(٣) انظر. المرجع السابق والمدرك نفسه ٢١٥/٨.

(٤) انظر الشوكاني. فتح القدير ١٨١/٥.

(٥) انظر الزمخشري. الكشاف ٦٩/٤.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٧.

(٧) انظر د. ابن حميد. أصول الحوار وآدابه في الإسلام ٦. دار المنارة. جدة. (ط: ١)

وقد ذكر بعض المفسرين قراءة أخرى في قوله «تجادلك» أنها «تحاورك»<sup>(١)</sup>.

وزبدة مايراد هنا أن الحديث في هذه الآية عن المجادلة بالتي هي أحسن، تتضمن الحوار وتحمل معناه.

فكيف فسر العلماء هذه المجادلة الواردة في هذه الآية؟ وما مراداتهم منها؟.

١- قال ابن جرير الطبري<sup>(٢)</sup> «وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها؛ أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغ رسالة ربك».

٢- وفسرها ابن كثير<sup>(٣)</sup> بقوله «أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن بالرفق واللين وحسن الخطاب».

٣- وقال الشوكاني<sup>(٤)</sup> «أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة».

(١) انظر للتمثيل / الزمخشري . الكشاف . ٦٩ / ٤ . القرطبي . الجامع لاحكام القرآن . ١٧ /

٢٧٢ . أبي السعود . تفسير أبي السعود . ٢١٥ / ٨ (وكلها مراجع سابقة).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن . ١٣١ / ١٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم . ٧٨١ / ٢ .

(٤) فتح القدير ٢٠٣ / ٣ .

٤ - وقال البقاعي<sup>(١)</sup> «وجادلهم أي الذين يحتملون ذلك منهم ، افتلهم عن مذاهبهم الباطلة إلى مذهبك الحق بطريق الحجاج (بالتي هي أحسن) من الطرق بالترفق واللين والوقار والسكينة» .

٥ - وابن عاشور يعرف أولاً المقصود بالمجادلة فيقول «الاحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك» فيبين المقصود بالحسنى فيقول : «إذا الجأتك الدعوة إلى محاجة المشركين فحاججهم بالتى هي أحسن» وخاصة أنه ﷺ قد لقي منهم أذى<sup>(٢)</sup> .

والذى يظهر من جملة التقارير السابقة ، أنهم بينوا كيفية الحوار ، والغرض منه ، وتكشف هذه الآراء عن أسس فى الحوار هى :

أ- أن المدعويين بهذا الأسلوب صنف خاص من الناس .

ب- إن خصامك لا بد أن يكون أحسن من خصامهم أسلوباً ومضموناً .

ج- الإلتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية مهما كان موقف الخصم المعنى هنا ، أما من ظلم فلكل مقام مقال .

د- الغرض من المحاوراة الوصول إلى الحق .

(١) نظم الدرر ١٤ / ٢٩٧ .

(٢) التحرير والتنوير . ١٤ / ٣٢٨ .

يتبين مما سبق أن هذه الأساليب لكل منها خصوصية ومكانة، ولعل في ما ذكر حول هذه الآية ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ما يدل على الترتيب في جانب من جوانب مدلولاتها.

ويزيد الأمر وضوحاً إذا دقق النظر من خلال عرض كلام العلماء، بخصوص مطابقة هذه الأساليب لحال المدعوين، باختلاف أصنافهم أو طبائعهم، وكل ما يتعلق بهم.

فمن أهل العلم من يرى أن الدعوة في هذه الآية بحسب حاجة المدعو باعتبار أصنافهم وخصوصياتهم وما يناسبهم منها<sup>(١)</sup>.

يقول الغزالي<sup>(٢)</sup> «اعلم أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم، فإن الحكمة إن غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير، وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمازوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن الآدمي، وأن من استعمل الجدل مع أهل الجدل لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن لكان كمن غذى البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر، أو البلدي بالتمر وهو لم يألف إلا البر».

(١) انظر د. الحميدان. أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام. ٥٧.

(٢) القسطاس المستقيم. ١٧.



وبغض الطرف عن الألفاظ والمعاني التي استعملها الإمام - رحمه الله -  
فواضح أنه يرى أن لكل صنف أسلوب خاص به لا يتجاوزه .

والبقاعي<sup>(١)</sup> يرى أن في الآية «بياناً لأصناف الدعوة بحسب عقول  
المدعويين ، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورين بأن يخاطبوا الناس  
على قدر عقولهم» .

وفريق آخر يرى أن الدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، أما الجدل  
فلا يكون إلا عند الحاجة .

فابن كثير يرى<sup>(٢)</sup> أن الدعوة بالحكمة «وهو ما أنزله عليه من الكتاب  
والسنة ، «والموعظة الحسنة» أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس . . . إلى  
قوله : وقوله ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي من احتاج منهم إلى مناظرة  
وجدل فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب» .

وابن تيمية يفصل ويوضح حول ذلك فيرى أن الجدل لا يدعى به ؛ بل  
هو من باب دفع الصائل<sup>(٣)</sup> إذ يرى أن المدعو لا يخلو من حالات ثلاث<sup>(٤)</sup>  
هي :

(١) نظم الدرر ١٤ / ٢٨٠ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٨١ .

(٣) انظر ابن تيمية . الرد على المنطقيين ٤٦٨ .

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ٤٦٨ .

١ - صنف يعرف الحق ويعمل به .

٢ - صنف يعرف الحق ولا يعمل به .

٣ - صنف يجحد الحق .

ثم يوزع الأساليب بحسب أصناف المدعوين ؛ فيقول :

«فالنوع الأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به ، فيدعون بالحكمة ، والثاني من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه ؛ فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة .

فهذان هما الطريقتان : الحكمة والموعظة الحسنة ، وعمامة الناس يحتاجون إلى هذا وهذا .

فإن النفس لها هوى يدعوها إلى خلاف الحق وإن عرفتته ، فالناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنة والحكمة ، فلا بد من الدعوة بهذا وهذا .

وأما الجدال فلا يدعى به ؛ بل هو من باب دفع الصائل ، فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن .

ولهذا قال «وجادلهم» فجعله فعلاً مأموراً به مع قوله «ادعهم» .

فأمره بالدعوة بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن ، وقال في الجدال «بالتى هي أحسن» ولم يقل بالحسنة ؛ كما قال في الموعظة ؛ لأن الجدال فيه مدافعة ، ومغاضبة ، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح مافيه من الممانعة والمدافعة ، والموعظة لاتدافع كما يدافع

المجادل»<sup>(١)</sup>.

والرازي والنيسابوري يريان أن الجدل لمجرد الإلزام والافحام وعند الاضطرار يستخدم مع المجادل الألد<sup>(٢)</sup>.

وهذا حديث إذا كان مقصد الجدال الافحام والجدل، وهذا ينافي مقصود المجادلة بالتي هي أحسن فإنما نقصد لإظهار الحق أما إذا كان قصد المجادل المدعو المشاغبة ورفض الحق بعد ظهوره؛ فإن الأمر حينئذ يتحول إلى طريق آخر ولذا فإن الشيخ ابن عثيمين يرى أن المراتب أربع، والرابعة تتناول هذا الصنف المشاغب إذ يرى أن هناك أسلوباً آخر يستخدم مع الظالمين<sup>(٣)</sup>.

وبعد الاستدلال في الآية محل البحث يذكر دليلاً آخر وهو قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وابن القيم أيضاً يعالج هذا الصنف الظالم في مجادلته بوضوح إذ يقول: «وأما المعارضون المدعوون للحق فنوعان؛ نوع يدعون بالمجادلة بالتي هي أحسن، فإن استجابوا وإلا فالمجادلة؛ فهؤلاء لا بد لهم من جدال

(١) ابن تيمية . الرد على المنطقيين ٤٦٨ .

(٢) انظر التفسير الكبير . غرائب القرآن و رغائب الفرقان . ١٣١ / ١٤ .

(٣) ابن عثيمين . زاد الداعية إلى الله ١٧٠ .

(٤) العنكبوت - ٤٦ - .

أو جلاد»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ مما سبق أن قول ورأي ابن كثير أوضح الأقوال باعتبار أسلوب  
المجادلة والتي هي أحسن عند الحاجة<sup>(٢)</sup> وتابعه الباكون وإن اختلفت عباراتهم .

والفريقان يتفقان في اعتبار الجدال والتي هي أحسن من أساليب  
الدعوة، والفرق بينهم أن القسم الأول سكت عن ذكر استخدامه عند  
الحاجة .

والفريق الثاني أبرز ذلك الأسلوب واعتد به<sup>(٣)</sup> .

ويخلص من ذلك أن أسلوب الحوار له مكانته الواضحة بين أساليب  
الدعوة من خلال ما دلت عليه الآية الكريمة وإن تأخرت رتبته عند بعضهم  
عن أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، فلا يبدأ به على وجه العموم<sup>(٣)</sup> .

وبعض أهل العلم يرى أن بينها عموم وخصوص فابن عاشور يرى أن  
الموعظة قد يسلك بها مسلك الإقناع فمن الموعظة، حكمة، ومنها خطابة  
ومنها جدل .

ثم يوجه ذلك فيرى أن الموعظة من حيث ماهيتها بينها وبين الحكمة  
العموم والخصوص من وجه .

ولكن المقصود بها ما لا يخرج عن الحكمة والموعظة الحسنة بقريئة تغيير

(١) ابن القيم . مفتاح دار السعادة . ٢١٧ .

(٢) انظر د . عبدالله الشاذلي . مدخل إلى الاستدلال القرآني ١٥٢ ، ١٥٣ (ط : ١) ١٤٠٧ هـ .

(٣) انظر د . الحميدان . أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام . ٦١ .

الأسلوب<sup>(١)</sup>.

إلى قوله فيما يتعلق بالمجادلة المقصودة بالآية الكريمة «والمجادلة لما كانت بحاجة في فعل أو رأي لقصد الإقناع بوجه الحق فيه، فهي لاتعدو أن تكون من الحكمة أو من الموعدة، ولكنها جعلت قسيماً لها هنا بالنظر إلى الغرض الداعي إليها»<sup>(٢)</sup>.

«والآية تقتضي أن القرآن يشتمل على هذه الطرق الثلاثة من أساليب الدعوة، وأن الرسول ﷺ إذا دعا الناس بغير القرآن من خطبه ومواعظه وإرشاده يسلك معهم هذه الطرق الثلاثة.

وذلك كله بحسب ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة»<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق تظهر مكانة أسلوب الحوار بين أساليب الدعوة.

وبعد بيان حقيقة هذه الأساليب وبيان ترتيبها يتناول الحديث بعض السمات التي تميز الحوار عن غيره من الأساليب وأهميته في الدعوة إلى الله.

---

(١) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير. ١٤/٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) نفسه ١٤/٣٢٩.

(٣) نفسه ١٤/٣٣٠.

## أهم الملامح التي تميز الحوار ومكانته في الدعوة

أولاً: من الملاحظ في الأحاديث السابقة، أن الجدل أسلوب ظاهر  
متميز عن أسلوب: الحكمة، والموعظة الحسنة.

فالحوار مراجعة بين فريقين يشتمل على ادعاء من فريق، واعتراض من  
فريق آخر، وإستدلال للاقناع، وطعن في الدليل، ودفع للطعن إلى غير  
ذلك من أصول المناظرات الجدلية، وقد تستخدم في مراحل الحوار وسيلتنا  
الحكمة، والموعظة الحسنة، وهذا شيء لا يؤثر على مفهوم الجدل المتميز  
بحدوده<sup>(١)</sup>.

ثانياً: وإضافة لذلك فالحوار؛ صناعة الرسل والدعاة، ولذلك أعطى  
الله رسله البيان وأرسلهم بلغة أقوامهم<sup>(٢)</sup>؛ ليقوموا بالحجج والبراهين. وأمر  
رسوله بمحاورة المخالفين وأول ما فعله ﷺ مع جميع طوائف الكفر أن  
(١) انظر عبدالرحمن حسن حينكه الميداني. فقه الدعوة إلى الله. ٦٠٨ دار القلم. دمشق.  
(ط: ١) ١٤١٧هـ.

(٢) انظر. أحمد غلوش. الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها). ٣٨٢. دار الكتاب  
المصري. القاهرة. ٢-١٤٠٧هـ.

حاورهم حتى أفحمهم فمنهم من استجاب وأفلح، ومنهم من سالم وتاركه، ومنهم من عجز عن رد حجته وقوله فحاربه<sup>(١)</sup>.

والقرآن من أوله وإلى آخره حجج وبراهين على أهل الباطل، وأجوبة لمعارضتهم<sup>(٢)</sup>.

وينقل السيوطي في ذلك فيقول: «قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير؛ تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به بلسان عربي مبين<sup>(٣)</sup>».

وإبراهيم عليه السلام بعد محاورته البليغة مع قومه يصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذه وصفت بأنها حجة الله، وهذه مكانة لا تساميتها مكانة في مقام

(١) انظر شيخ الإسلام ابن القيم . مفتاح دار السعادة ٤٥٣ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه . ٤٥٣ .

(٣) انظر جلال الدين أبي بكر السيوطي . الاتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٩٣ . دار الكتب

العلمية . بيروت (ط : ٣) ١٤١٥ هـ .

(٤) الأنعام - ٨٣ - .

المحاورة .

فهو مرفوع الدرجات بالعلم بالحجة والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين<sup>(١)</sup> .

**ثالثاً:** وعلماء الإسلام من العصور الأولى المفضلة ساروا على نهج قدواتهم رسل الله عليهم السلام فاحتل هذا الأصل مكانة بارزة عندهم، فقبل السيف، والجزية يتقدم الحوار ويقدم أعظم فكره، بأحسن أسلوب، وبأعز منطق وللتدليل وهو مثال:

المحاورة التي جرت بين رسل المسلمين (رضوان الله عليهم) إلى الفرس قبل معركة القادسية وبين يزيدجرد المتكبر ملك الفرس، فيزدجرد يصف العرب، بأنهم أشقى الأمم بالأرض، وأقلها عدداً، وأسوأها فرقة .

**وما الذي حدث؟ وما فعل الحوار بعد ذلك؟ وبما وصف المحاور؟ .**

لما استمع رستم إلى كلامهم وحسن القائهم، ما تمالك نفسه أن قال يخاطب من عنده من عظماء الروم:

هل رأيتم كلاماً قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ . وقالت طائفة منهم يصفون مبلغ أثر الحوار وقوته: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه؛ قاتل الله أولينا، ما كان أحققهم حين كانوا يصغرون

(١) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية . مجموع الفتاوى . ٤٩٣ / ١٤ .



أمر هذه الأمة<sup>(١)</sup>، فهذا تراجع في الرأي، واستعداد لتقبل الدعوة، وإن لم يكن، ففيه احترام للداعي، إضافة لذلك فهذا الحوار أثار الهيبة والرغبة من صاحبه، ولا يفوت أنهم في دار حرب، ومن ذا الذي قال ذلك؟ إنه القائد العام للجيش الفارسية، ويخاطب عظماء. وهذا فيه أبعاد من الآثار القريبة؛ إذ تعدى إلى الهزيمة النفسية للمحاورين؛ والحاصل من هذا منطقتهم كيف تكون الحرب معهم؟ فهذا الحوار كسر كبريائهم، وحدثهم، وهذا يفسر شيئاً من حرص المحاور الأول ﷺ بتوصية جنود الإسلام ويكرر بأن يبدأوا بالدعوة إلى الإسلام قبل كل شيء، ثم خلفائه الراشدين على نهجه يسرون، فيحرصون على البدء بالمحاورة وإعطاء الفرصة، بأن يفهم المدعوون رسالة الإسلام، وواضح مقام الحوار بأنه أسلوب يدل على عظمة هذا الدين وعدله وإنصافه، ومقدمة تمكن المدعو من تدارك نفسه، فمن يحاورك يسالملك، ويقدر إنسانيتك ولسانيتك.

وبعد هذا ينقذ الحوار أعداداً ضخمة من القتل والتشريد، ومن ذلك - وهو أيضاً كثير - ما فعله الحوار مع الخوارج إذ أعطى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الفرصة لابن عباس (رضي الله عنهما) وهو محاور متمكن بأن يحاورهم؛ فحاورهم وأقنعهم. فرجع أكثرهم مقتنعين

(١) انظر ابن جرير الطبري. تاريخ الأمم والملوك. ٤٩٩/٣، ٥٢٠، ٥٢٢.

كافئ عن إراقة الدماء<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت هذه الأخبار بصورة مجملة، بغية الدلالة على الأثر الذي يحدثه هذا الأسلوب الدعوي؛ وأما تفاصيل هذه الأخبار فسيأتي بيانها في محلها.

رابعاً: والنفوس البشرية متعددة الجوانب؛ من وجدان، وعقل وإرادة، وإن التعامل معها لا بد أن يتجه إلى كل منافذ التأثير فيها، ليتم نقلها وتغيير مابها<sup>(٢)</sup>.

والحوار يتضمن كل منافذ التأثير في الإنسان:

١- الجانب العقلي وهو يخاطب من جهتين:

أ- عرض الحقيقة.

ب- المباراة بين المتحاورين.

فكل ذلك يستدعي من المدعو أن يشحذ عقله، وينشط ذهنه، ليفكر في هذه الحقيقة...، والنفوس البشرية، في أثناء تجادلها وتخاصمها تكون في أعلى قمة من الإنفعال وشد الأعصاب<sup>(٣)</sup> فهو يحقق الإقناع والإمتاع.

(١) المسند ٢/٨٦.

(٢) د. عبدالغني محمد سعد بركة. أسلوب الدعوة القرآنية (بلاغة ومنهاجاً) ١٤٦ مكتبة وهبة. مصر. (ط: ١) ١٤٠٣هـ.

(٣) انظر د. عبدالله الحوشاني. منهج ابن تيمية في الدعوة. ٥٥٦/٢ دار إشبيليا. الرياض (ط: ١) ١٤١٧هـ.

## ٢ — جانب الغرائز:

فالحوار يخاطب غريزة بارزة في الإنسان لقربها من العقل ولصوقها بالمعرفة، وهي: حب الاستطلاع.

## ٣- جانب المشاعر والانفعالات:

إذ يتابع المستمع والمشاهد أحداث المحاورة بشغف إذ فيها نوع من الصراع، وهو يثير ويحفز المتابعين للحوار، ولذلك عمد الناس في كل زمان وبيئة إلى استحداث صنوف شتى من الصراع<sup>(١)</sup>.

خامساً: ومن صميم العملية الدعوية، الاتصال بالناس، ونقل المفاهيم والأفكار إليهم، والتحاوور معهم فيها وفيما عندهم، وتهيئة الأجواء لفرصة الحوار في حرية تامة حسب توصية الشارع وجوهر الدعوة هو بث الحقائق بين الناس، ونشرها بأحسن مقال.

وهذا مما يشغل بال الدعاة؛ فإن أي عملية دعوية وتنشيط لها لا بد أن يتوفر فيها عاملان مهمان هما:

١- المعرفة المتجددة في القضايا المتجددة التي تشغل بال الناس.

٢- اتقان فن الاتصال.

وهذان الأمران لا يتحققان إلا في ازدهار الحوار؛ فهو يقيم وشائج

(١) انظر . د . عبدالحليم حفي . أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ٥١ ، ٥٢ .

وأواصر عميقة بين المتباعدين فضلاً عن أصحاب القضية الواحدة .  
والحوار كفيل بتضييق نقاط الخلاف وحصرها، في كثير من الأطروحات .  
وهذا يشغل بال كل داعية مخلص لدينه ولذا عده بعضهم بأنه أوضح  
الأساليب وأعلاها في العملية التربوية والتعليمية ؛ لقوة وضوحه وشدة تأثيره  
وتحديد مدلوله .

وأكثر الدعاة يتجه في دعوته القولية ويعتمد على المواعظ مخاطباً  
الوجدان، ومع أهمية هذا الأسلوب وخاصة في السابق، إلا إنه في هذا العصر  
لا يدوم أثر ذلك طويلاً، إذ التنافس وسيع وقوي مع خصوم لاتعد وأعدت من  
المكر والدهاء والأساليب ما يغرق الإنسان بشتى الأفكار والقضايا .

فأسلوب الحوار الموجه المتمكن والمتطور بشتى صنوف المعرفة إذا ركبه  
الدعاة بدراية ومكنة وثقافة واسعة عميقة فإنهم حينئذ سوف يؤثرون .

إذاً الحوار هو أفضل الأساليب لنشر الأفكار والآراء، فالإنسان إذا أتاك  
مقتنعاً بما أبديت له من آراء وأفكار، أفضل بكثير من أن يأتيك خائفاً أو متقرباً أو  
طالباً لمنفعة مادية وما أدل على ذلك من قصة إسلام الصحابي الكريم الأمير  
ثمامة بن أثال، إذ نفع الله بحوار الرسول ﷺ له وأمهله في عرض الإسلام  
وكان يحاول أن يعطف الرسول ﷺ بعرض فدية أو غيرها والرسول ﷺ يحاوره  
ويتأنى بدعوته حتى اقتنع ولان فدخل الدين وانقلب بغضه حباً لله ولرسوله  
ولدينه . والخبر هو : «بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة  
يقال له : ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ

فقال : ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال : عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علي شاكراً، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له : ما عندك يا ثمامة؟ قال : ما قلت لك، إن تنعم تنعم علي شاكراً، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال : ما عندك يا ثمامة؟ فقال : عندي ما قلت لك، فقال : أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد . فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا محمد! والله ما كان علي الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره النبي ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت، قال : لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يآذن فيها النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

فالبشر لا يتركون ما اشربته قلوبهم، ورسخ في أذهانهم من قديم؛ وخاصة إذا كانت عقائد توارثوها كابراً عن كابر، فلا يكفي مجرد البيان والأمر والنهي .

فلا بد من قناعة، وإعطاء الفرصة بالحوار الحر المستقيم، وبالكسر والفر معه ليتبصر ويفكر ويفرق فيقبل بقلبه وعقله .

(١) صحيح البخاري، ك/ المغازي . باب (وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال) رقم الحديث (٤٣٧٢) ص : ٣٥٨ . (موسوعة الحديث) .

سادساً: إن الحوار يفعل مالا تفعله الجيوش القوية، ويتنصر بلا كل وكلل، وإنه أسلوب بالغ التأثير.

فالحوار بذاته له تأثير على الطرف الآخر، ومن المعلوم أن الاقتراب من الخصم يؤدي إلى تنازل، تزول به كثير من الحواجز فالحديبية عبر عنها بغزوة، وعبر عنها بصلح الحديبية. فما الذي فعله الحوار في هذا الموقف الذي سماه الله جل شأنه فتحاً مبيناً؟، لقد تنوعت في هذه الغزوة حوارات المحاور الكريم ﷺ وبرز من خلالها تركيزه على أمرين :-

— فقد أكد مع كل رسولٍ أنه ما أتى للقتال، وهذا ترك أثراً طيباً لدى كافة الخصوم، بل بعضهم انقلب وقال لأقوم من مع محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

— الإفادة من رسل الخصم ليكونوا محاورين لمصلحة الدعوة كما فعل سيد الأحابيش، وعروة بن مسعود، فهذا عروة يصف العظمة النبوية فيقول: يا قوم أتيت كسرى في ملكه وقيصر... والنجاشي... حتى أنهم طلبوا منه أن لا يذكر ذلك عند عامتهم<sup>(٢)</sup>.

فهذا لا يصدر إلاً من إنسان لديه قناعة تامة بمبدأ يدافع عنه لمبلغ أثر

(١) انظر ابن كثير. السيرة النبوية ٣/٤٠٨.

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٣/٤١٠.

توهينه وتفتيته لعزائمهم، وبعد أن تم الصلح بدأت الدعوة تبني وتشر  
وتنتشر وتتقوى.

فقد كان من آثارها أنه أرسل رسله إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى

الله<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر ابن هشام. السيرة النبوية. ٤/٣.

**المبحث الثالث**  
**الحوار عند الأنبياء السابقين**  
**عليهم الصلاة والسلام**

---



## الحوار عند الأنبياء السابقين

### التمهيد:

وهذا المبحث له رابط في سابقه من حيث أهمية الحوار في الدعوة إلى الله ، فهو أداة الرسل والأنبياء ، يقول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(١)</sup>

وبعد ذلك بآيات يشير القرآن جملة إلى كثرة الأنبياء الذين دعوا أقوامهم ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> إذ أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلى الله عز وجل<sup>(٣)</sup> ، وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم<sup>(٤)</sup> ، وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل<sup>(٥)</sup> .

ففي جملة ماتؤديه هذه المعاني يتبين كثرة ووفرة الحوارات بين الأنبياء وبين المدعوين فقد حاوروهم واستمروا حتى فحموا وسكتوا عن الجواب ، عجزاً .

(١) إبراهيم - ٤ . - .

(٢) إبراهيم - ٩ . - .

(٣) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٦٩٠ / ٢ .

(٤) المرجع السابق ٦٩٠ / ٢ .

(٥) المرجع السابق نفسه ٦٩١ / ٢ .

فالحوار الهادف إلى الحق وظهوره من سنن الأنبياء عليهم السلام مع  
الأم عند الدعوة، ففيه احترام ورفق لئلا ينفروا من الدعوة والداعي لها،  
وليتدبروا ما جاءهم من البينات، ولتقم عليهم الحجة<sup>(١)</sup> والأنبياء هم القدوة  
للسول ﷺ ولأمته من بعده في البلاغ ﴿فَبِهْدَاهُمْ آفْتَدَهُ﴾<sup>(٢)</sup> والنبي ﷺ من  
أمر أن يقتدي بهم<sup>(٣)</sup> وهذا الاقتداء اختلف فيه على عدة أوجه ولكن  
الأظهر أنه يتناول جميع شؤون الأنبياء<sup>(٤)</sup>.

وهو ﷺ امتداد للرسالات السابقة وخاتمها يقول ﷺ: «مثلي ومثل  
الأنبياء السابقين كمثلي رجل بنى بيتاً فأحسنه، وأجمله، إلا موضع لبنة من  
زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه  
اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»<sup>(٥)</sup>.

وعلى مبلغ هذا الترابط والتذكير المستمر بشئى الأشكال أنه ﷺ جمع له  
الأنبياء كلهم فصلى بهم<sup>(٦)</sup>، وفي ذا دلالة على ترابطهم، واتحادهم،  
واتفاقهم في شئى المناحي؛ مما فيه إشارات إلى صفاتهم الحميدة، وجمال

(١) انظر ابن رجب الحنبلي . استخراج الجدل من القرآن الكريم . ص : ٥٢ - ٥٣ .

(٢) الأنعام - ٩٠ ..

(٣) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ التفسير . باب (أولئك الذين هدى الله . .) ٢٩٤ / ٨ .

(٤) انظر التفسير الكبير . ٥٧ / ١٣ ، ٥٨ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ المناقب . باب (خاتم النبيين) ٥٥٨ / ٦ .

(٦) انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى ١ / ٢١٤ ، دار الفكر - دار صادر، بيروت، بدون رقم وتاريخ للطبعة .

سلوكهم، ووحدة أهدافهم، والتزامهم بما عاهدوا الله عليه.

وفي القرآن تأكيد لهذه الحقيقة ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

والقرآن يبين أن الرسول ﷺ أول المؤمنين بالرسول ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والإيمان بهم أحد أركان الإيمان، وذلك في أدلة كثيرة من أشهرها حديث جبريل (عليه السلام) الطويل حينما سأل عن الإيمان فقال ﷺ «وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...»<sup>(٣)</sup>.

فيتضح من النصين السابقين أنه يجب الإيمان بجميع الرسل، ولا نفرق بينهم؛ فإضافتهم إلى الله عز وجل ووظيفتهم واحدة.

فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسول متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر فهذه كلها متلازمة<sup>(٤)</sup>.

(١) آل عمران - ٨١..

(٢) البقرة - ٢٨٥..

(٣) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ الإيمان. باب (سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...)، ١/ ١١٤.

(٤) انظر ابن تيمية. شيخ الإسلام. مجموع الفتاوى. ٢٩/٩ - ٣٠.

ولذا فمن المسلم به أن الكفر بأحدهم كفر بهم كلهم؛ فهذا القرآن الكريم يقص خبر عاد وعصيانهم لهود (عليه السلام) ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالرسول المراد واحد وللمناسبة نوع الجرم جمعهم؛ فهذا أمر لا يمسّه بشخصه فهي دعوة لترك الشرك، وتوحيد الله؛ وهذه دعوة كل الرسل<sup>(٢)</sup>.

وعن قوم نوح جاء قوله ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالقصد من عرض هذه النصوص ليس الحصر وإنما اختيرت هذه لتوضيح أن الرسائل السماوية مترابطة؛ مما يعني أن الحوارات الدعوية عبر الأزمنة المتعاقبة بينها ترابط واتفاق، فحوارات الأنبياء مع أممهم هي نماذج لحالات الدعوة الإلهية الحقة، كما كانت بلا زيادة ولا نقصان حتى محمد ﷺ؛ يقول تعالى يوجه الرسول ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٤)</sup>.

والأنبياء السابقون مقررون على أصناف المحاورين زمن الرسالة المحمدية، فموسى يقربه أهل الكتاب، وعيسى عند النصارى، وإبراهيم عند العرب.

(١) هود- ٩٥.

(٢) انظر الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. ١٠٥/١٢.

(٣) الشعراء- ١٠٥.

(٤) الأحقاف- ٩.

وفي سورة الشعراء يبرز بوضوح ربط الحوارات الدعوية بين الأنبياء الكرام، فالمتبع لأي القرآن في هذه السورة إلى آخرها، يلاحظ في نهاية كل حوار دعوي بين كل رسول وقومه يأتي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد فطن لذلك ابن عاشور، إذ بين أن في ذلك تسلية للنبي ﷺ وتثبيتاً له بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم مثل موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ولذلك ختم كل استدلال جيئ به على المشركين المكذبين بتزليل واحد هو قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، تسجيلاً عليهم بأن آيات الوحداية وصدق الرسل، عديدة كافية لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم<sup>(٢)</sup>.

بل بدأ بذكر حوارات موسى وإبراهيم عليهما السلام لما لهما من القرب، والمشاركة في الهجرة، ومجاورتهما لأرض العرب، وصلة العرب بإبراهيم عليه السلام، ومجاورة اليهود لهم، وكتابهم الذي هو من أعظم الكتب بعد القرآن، والنصرة على أعدائهم، وليكون في إقرارهم

(١) الشعراء-٨، وتكررت في (٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٧٤، ١٩٠).

(٢) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ١٩/٩٠، ٩١.

على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة، وأتم دلالة<sup>(١)</sup>.

ويشير الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - لأهمية هذا الانتقاء لأخبار الأمم السالفة المشابهة لأصناف المدعوين زمن الدعوة المحمدية، فيقول: «إن الله بحكمته يقص علينا نبأ الأمم المجاورين لنا في جزيرة العرب وما حولها لأن القرآن يذكر أعلى الطرق في التذكير؛ فصرف تصريحاً نافعاً، فالأقطار النائية قد بعث الله إليهم رسلاً، ولهم معهم نظير ما للمذكورين من مواقف، ولكن نقل أخبار المجاورين ومن نشاهد آثارهم، ونشابههم في الطباع، ومعرفة لغاتهم؛ لا ريب أن هذا أنفع وأجدى وأولى من نقل أخبار أم لا صلة بينهم وبين المجاورين زمن الرسالة المحمدية<sup>(٢)</sup>.

والباري جل ذكره يبين ذلك بقوله ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا أحد المجاورين زمن الرسالة المحمدية يحقق هذا المغزى ويروي بنفسه تأثرهم بما سلف من أخبار الأمم التي بادت في نواحيهم؛ فحينما قدم الحارث بن حسان البكري إلى رسول الله ﷺ الحديث وفيه فقلت: أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد. قال: وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه، فقلت: إن عاداً قحطوا فبعثوا أحدهم ليستسقي لهم من مكة،

(١) برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

٣٥٠/٥. دار الكتب العلمية. بيروت (ط: ١) ١٤١٥ هـ.

(٢) انظر عبدالرحمن بن سعدي. قصص الأنبياء. (٤٨).

(٣) الأحقاف - ٢٧..

فلما عاد، خير بسحابات مرت عليه فاختر إحداها التي كان فيها هلاك قومه<sup>(١)</sup>.

فهذا شاهد حي لمبلغ أثر هذه الأخبار على المدعوين في زمن الرسول ﷺ، بل وكان ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، فاستغربت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ذلك فنقلت استغرابها إلى الرسول ﷺ إذ الناس يفرحون إذا رأوا غيماً، ولم أنت لا تفرح؟ فقال: عذب قوم بالريح، وقد رأى القوم العذاب، فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

ونقلة أخرى مع مواقف أخرى تبين بوضوح مبلغ أثر هذه المجادلات على الرسول ﷺ؛ إذ يمر على واد يسمى «وادي الأزرق» فيقول بتأثر كآني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الشية وله جوار إلى الله بالتلبية<sup>(٤)</sup>.

وفي موضع آخر يقول حينما مر به: «كآني انظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة وهو يلبي»<sup>(٥)</sup> فالأول يذكر حال مشيه، والثاني حال ركوبه، بل وصف مركوبه وحال ناقته في بيان واضح للأحوال المحسوسة، ومادق منها، مما يفيد

(١) انظر المسند. وانظر فتح الباري ٨/ ٥٧٩.

(٢) الأحقاف - ٢٤ - .

(٣) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٨/ ٥٧٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ك/ الإيمان، باب (الإسراء برسول الله ﷺ) حديث رقم [٤٢١]،

ص: ٧٠٧.

(٥) الحديث السابق نفسه.

مبلغ تعلقه بأحوال إخوته من الأنبياء السابقين، فكيف تأثره بالمعاني والأمر العظام التي جرت بينهم وبين أقوامهم؟ والتي يترتب عليها الجزاء والحساب، ومآل الإنسان من سعادة وشقاوة؟ .

ومن ذلك على سبيل التمثيل الموجز: تعليقه على موقف لوط عليه السلام- يرحم الله لوطا؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد؛ وفي خبر يوسف عليه السلام يقول: «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»<sup>(١)</sup> وبتواضع وارتقاء يعلق على طلب إبراهيم أحياء الموتى يقول ﷺ: «ونحن أحق من إبراهيم؛ إذ قال له: أو لم تؤمن؟ قال: بلئى ولكن ليطمئن قلبي»<sup>(٢)</sup>.

وخبر قاتل الناقة الشقي يقول: «رجل ذو عز ومنعة في قومه؛ كأبي زمعة»<sup>(٣)</sup> فهنا يصف حال أحد المعاندين ويربط وصفه بوصف أحد المحاورين زمن الرسالة المحمدية؛ وممن لهم مواقف مشهورة غير مشكورة في مصادمة الدعوة.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ٣٦٦/٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٦/٨ .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ الأنبياء . ٣٧٨/٦ .



## التدرج في الحوارات:

وذلك التدرج موضوعي، فيلاحظ في خبر آدم؛ والمجادلات في زمانه أنها تركزت في ثلاثة محاور رئيسة هي:

- الخلق التي خلق منها، وطريقة خلقه، ومادة خلقه .

- نزوله إلى الأرض دار التكليف؛ والمعصية التي ارتكبها .

- تحديد جنس عدو الإنسان الأول، والتحذير من كيدِهِ .

ثم يلاحظ انقطاع الحوار حتى يأتي ذكر أولي العزم من الرسل، وبداية انحراف الناس عن التوحيد، وينقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق»<sup>(١)</sup>.

فبدأ الصراع الطويل والمرير بين الحق والباطل، فبدأ الحوار يتنوع، بتنوع أصناف المدعوين، وتعدد انحرافاتهم .

وذكر القاسمي في بداية قصص الأنبياء في سورة الأعراف إنه بعد ذكر قصة آدم عليه السلام وما تعلق بها من آثار قدرته، وبديع صنعه، والدلالة على توحيده، وربوبيته، وأقام الحجة الدامغة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أمهم<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح القدير . ٢١٧/٢ .

(٢) تفسير القاسمي . ٧/٥ ص : ١٥٦ .

## الحوارات السابقة ذكر باق للأنبياء (عليهم السلام):

فهذه الحوارات إحياء لذكرى هذه النخبة الكريمة وإحياء لآثارهم، إذ أنهم أحسنوا وأتقنوا؛ فاستحقوا تعجيل الجزاء في الدنيا ببقاء الذكر الحسن، وكانت أعمالهم قدوة لمن يأتي بعدهم<sup>(١)</sup> ورغب إبراهيم عليه السلام في بقاء الثناء الحسن ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي اجعل لي ثناء صدق مستمر إلى آخر الدهر<sup>(٣)</sup> بين الناس الذين يوجدون بعدي؛ لاكون للمتقين إماماً؛ فيكون لي مثل أجورهم<sup>(٤)</sup>.

## الاعتبار بسنة الغابرين أسلوب قديم:

التنبية على أن إعراض الناس عن قبول هذه الدلائل، والبيانات ليس خاصاً في قوم النبي ﷺ بل هذه عادة جارية في جميع الأمم السالفة والمصيبة إذا عمت خفت<sup>(٥)</sup>.

ولذا نبه مؤمن آل فرعون قومه محذراً مشفقاً وهو يحاورهم إلى هذه الحقيقة، إذ قال تعالى حكاية عنه ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

(١) انظر ابن اسحاق . أحمد بن محمد إبراهيم الشعلي . قصص الأنبياء . ٣٢٢ بدون رقم

وتاريخ للطبعة . نسخة قديمة، موجودة في المكتبة المركزية بالجامعة .

(٢) الشعراء - ٨٤ - .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ٤٤١ / ٣ .

(٤) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . ٣٧٠ / ٥ .

(٥) انظر تفسير القاسمي ، ١٥٧ / ٧ .

مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿١﴾ فالدعوة إلى استخلاص العبر والعظات من أحداث التاريخ البشري مع مافيها من حفاوة بالعقل وتوجيه إلى مزاياه أسلوب فطري مارسه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم في دعوتهم لأممهم<sup>(٢)</sup>.

فهذا شعيب عليه السلام يقول: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد مارس الرسول ﷺ هذا الأسلوب المؤثر في بداية الدعوة، وبعد أن أتم عتبه أحد أكبر رجالات وصناديد قريش - كلامه يقرأ عليه ﷺ ﴿حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ...﴾، حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾<sup>(٤)</sup> فما أتمها حتى أمسك عتبه على فيه وناشده الرحم أن يكف<sup>(٥)</sup> فهذا يدل على مبلغ أثر الحوارات السالفة على المدعوين زمن الرسالة المحمدية، فإذا كان مجرد ذكر الصاعقة التي نزلت بعاد وثمود خلعت قلب أعتى المدعوين فما بالك بمن سواه؟ فلا ريب بأن التفاصيل التي جرت لهاتين الأمتين القويتين الماضيتين في أنبائها تكون أبعد أثراً، وقريش إضافة

(١) غافر (٣٠، ٤١).

(٢) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، وظيفة الاخبار في سورة الأنعام (٣٥٨).

(٣) هود-٨٩..

(٤) فصلت-١-١٣..

(٥) يحيى بن معين وكتابه التاريخ. دراسة وتحقيق. د. أحمد محمد نور سيف ٧٤/٢. (ط: ١)

١٣٩٩ هـ. جامعة الملك عبدالعزيز.

إلى ذلك يميرون مصبحين وبالليل وينظرون إلى آثارهم، والقرآن يكرر بأكثر من سورة خبرهما، تأكيداً لما نالهما من جزاء<sup>(١)</sup>.

### تشابه المواقف مع اختلاف الزمان والمكان:

من الملاحظ من خلال الحوارات السابقة تشابه مواقف المدعويين من أنبيائهم، والتهم الموجهة لهم، فكتب السيرة مليئة بتأكيد صور وأشكال التهم التي يقذفون بها إمام الدعوة ﷺ فقد وسموه بالسحر والجنون، وغير ذلك مما يحزن الرسول ﷺ لما آل إليه حال قومه وكيف يقولون ذلك، ونزل القرآن مزيلاً هذه الدهشة بذكر ما ووجه به من قبله من المرسلين ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>، هكذا قال فرعون لموسى في حوارته معه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتقليد واتباع الآباء عقبة كؤود زمن الرسالات السابقة هؤلاء قوم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى توحيد الله يبادرونه بقولهم ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا

(١) انظر د. محمد السيد الوكيل. نظرات في أحسن القصص. ١/ ١٠ دار القلم. دمشق

(ط: ١) ١٤١٥هـ.

(٢) الذاريات (٥٢-٥٣).

(٣) الشعراء- ٢٧.

تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١﴾ ويتكرر هذا زمن الرسالة المحمدية، حيث يكرر كفار قريش الدعوى نفسها، ويرفضون الدعوة والداعي بسبب هذه العقبة، وما موقف أبي طالب ورفضه للدعوة والإيمان إلا بسبب ملة عبدالمطلب.

وهنا أريد الاستشهاد بتشابه مواقف المدعويين من خلال الحوارات السابقة وربطها بالحوارات المحمدية.

ومن المواقف الواضحة في عموم الرسائل التعبير بأن أتباع الرسل من المستضعفين، ومن أهل المكانة الدونية جاهاً ووجاهة، وملاً ومالاً، فنوح عليه السلام يعيره قومه بذلك ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإن اختلفت عبارات المفسرين بالمقصودين، فإن خلاصتها يدل على وصفهم بالفقراء وغير المعروفين بأشخاصهم وأعمالهم<sup>(٣)</sup> ويتكرر هذا مع كل رسول ففي حوار أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل يسأله عن أتباع الرسول، أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم فقال: هم أتباع الرسل<sup>(٤)</sup> وهل هناك شرف يعلو هذا الشرف؟ شرف من يسابق في

(١) هود-٦٢ .

(٢) هود-٢٧ .

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم . ٥٨٢/٢ ، والقرطبي، الجامع لاحكام القرآن .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح كتاب بدء الوحي باب (٧) ٣٢/١ .

نصرة الحق والإيمان به وهو في بدئه ، فيحوز على رضا مولاه جل وعلا في  
الأولى وفي الأخرى؛ ويزيد في سؤاله يقول : هل يزيدون أم ينقصون؟  
فيجيب بأنهم يزيدون ، ويتساءل : هل يرتد أحد منهم؟ فيقول : لا<sup>(١)</sup> . وهذا  
أمر الإيمان يزيد نور صاحبه فيرفعه إلى أعلى الدرجات .

---

(١) المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه ٣٢/١ .

## أهمية دراسة الحوار لدى الأنبياء السابقين:

الإخبار عما وقع من الأنبياء السابقين في مراحل الدعوات السابقة، وعصورها؛ هو تلخيص حصيلة الصدق في كل ما وقع منهم تلخيصاً شاملاً تصبح به لغة الحوار صورة حية بالغة القصد والإيجاز<sup>(١)</sup> يقول تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالقصاص الحق منه تعالى؛ إذ كل يقص ويتقول، وكل يتوق أن يسمع من أخبار الناس وأيامهم، وكذلك سائر الأخبار عن الأمم السابقة كل يتقول بما يعرفه وما تلقفه من مصادر غير موثوقة ومشوشة، وكل صنف من المدعوين ينقل ما يناسب ثقافته، ومعارفه وعصبته.

والعرب تهمهم أخبار إبراهيم عليه السلام، لكن ما يشيع بينهم منها يشوبه الخطأ، وهو مزيج من الشرك والضلال، وبعد فتح مكة يدخل الرسول ﷺ الكعبة فماذا يرى؟ يرى أبويه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأضلال، فقال: قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأضلال قط<sup>(٤)</sup>

(١) انظر. أحمد موسى سالم. قصص القرآن. ص ٢٢٥. دار الجليل. بيروت. ب: رقم.

١٩٧٨ م

(٢) الكهف - ٣ - .

(٣) يوسف - ١١١ - .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح. ٣٨٧/٦.

وإبراهيم الحنيف المسلم حينما نسبه تنافساً بينهم أهل الكتاب، حدد القرآن ما يدين به عليه السلام ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> برآه الله منهم حين ادعت كل أمة أنه منهم<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا انبرت آيات الحوار في القرآن ذات الصلة بقصة إبراهيم عليه السلام تندد بالشرك في صورته المختلفة؛ عبادة الآباء وتقديسهم، إلى عبادة الكواكب، إلى قضية التبعية العمياء للكبراء وأصحاب الرياسة، ونماذج حوارته مع النمرود.

وحواراته مع أصناف المدعوين في زمانه - في قوة ووضوح - تبني أسس العقيدة الصحيحة، وتسمو بالإنسان عن الانحرافات العقدية بشتى صورها، بأسلوب ميسر في متناول فهم من تصله.

فهذه المادة حجة للرسول عليه الصلاة والسلام في جداله مع قومه ومع أصناف المدعوين الآخرين، وتعيّنه على فهم نفسيات المدعوين يقف على حضاراتهم البائدة، ويتعرف على أخلاقهم بادية وحاضرة، وطباعهم وعاداتهم، فيعد لها من فنون الحوار وطرقه ما يتناسب مع كل فئة.

(١) آل عمران - ٦٧ ..

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. الإمام الحافظ عبدالرحمن الرازي بن أبي حاتم. ٦٧١ / ٢.



والحوار أساس في القصة القرآنية، إذ يضيف عليها حركة تكشف عن الصراع في بواطن الشخصيات، ومن خلاله تعرض حجج المخالفين، إضافة إلى ما فيه من تشويق يتضح من تلوين الأسلوب<sup>(١)</sup>، فتجده يلتفت من الغيبة إلى الحضور؛ في نقلة مشحذة للذهن، مجسدة للموقف<sup>(٢)</sup> كما جاء في قصة مريم عليها السلام ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر خصائص القصة الإسلامية . د. مأمون جرار . ٨٣ . دار المنارة . جدة .

(٢) انظر السرد القصصي في القرآن الكريم . ثروت أباطة . ٩٥-٩٦ . دار نهضة مصر . ب: ت .

(٣) آل عمران - ٤٧ ، ٤٩ . .

## أغراض الحوار القرآني:

من أبرز هذه الأغراض مما تبين مايلي :

أولاً: الإيمان بالله ، وتوحيده هو السمة الأولى البارزة لكل الأنبياء ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾<sup>(١)</sup> ويقول تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ثانياً: تسلية الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك تطمينه والتسريه عنه بأن ما يصيبه هو ما أصاب الأنبياء من مثله ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنْ الرُّسُلِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وفي ذلك تنبيه بأن الإعراض عام وليس في قومك فقط بل جميع الأمم السالفة، والمصيبة إذا عمت هانت؛ ويجري هذا على عامة المواقف المتصلبة من مشركي زمان الرسالة المحمدية من صدود وإعراض، وشك

(١) الشورى- ١٣ .

(٢) الانبياء- ٢٥ .

(٣) هود- ١٢٠ .

(٤) الاحقاف- ٩ .

وإشراك ، ومن الأذى بكل أشكاله وصوره .

ثالثاً: تحذير وتوبيخ المخالفين لدعوته ﷺ أن عاقبتهم مثل أسلافهم إن لم يؤمنوا ويتابعوا الرسول ﷺ .

أما من آمن وصدق فعاقبته الحسنى في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup> .

رابعاً: اظهر نبوته ﷺ ونصرته على المخالفين ؛ لما فيها من دلالة على صدق رسالته .

خامساً: التعرف على أخلاق وطبائع الناس واختلافهم باعتبار ذلك من سنن الله في خلقه ، ومن خلال ذلك يحسن المحاور اختيار أحسن الأساليب للتأثير ؛ فسيرة هذه الكوكبة من الأنبياء هي المثل الواضح ؛ فهم لإصابة الحق أوفق ، ولفهم طبائع الناس ونزعاتهم أقرب وأعدل ، فأى دعوة ترتقي في سمو غاياتها واستقامة مناهجها إلى دعوات الأنبياء عليهم السلام<sup>(٢)</sup> .

والحوار القرآني في قصص الأنبياء السابقين لم يسلك مسلك التبسط فحسب ، بل رسم فيها معالم الشخصيات الإنسانية بالتعبير عن خواطرها النفسية وآرائها ومواقفها ، وما شجر بينها من صراع ، كما نقل كلامها نقلاً

(١) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير ١٢/١٦٧ .

(٢) انظر د . عبدالرب نواب الدين . الدعوة إلى الله تعالى . ١٧١ . (ط : ١) ١٤١٠ هـ . دار

القلم . دمشق .

أميناً لا مبالغة ولا افتعال فيه ، وصاغ ذلك باعجازه المبدع<sup>(١)</sup> ومع هذا فكل حوار يختلف عن الآخر في مبنى ألفاظه ، وفي كل سورة عن الأخرى وكأما هو تصوير لمواقف متعددة بين الأنبياء وأممهم<sup>(٢)</sup> .

وإن تماثل أحوال الأمم تلقاء دعوة أنبيائها مع اختلاف العصور يزيده علماً بأن مراتب العقول البشرية متفاوتة ، وأن قبول الهدى هو منتهى ارتقاء العقل ؛ فيعلم أن الاختلاف شنشنة قديمة في البشر وأن المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم وهي من السنن التي أقام الله عليها نظام الاجتماع البشري<sup>(٣)</sup> .

---

(١) انظر التحرير والتنوير . ١٠٧/١ .

(٢) نفسه ١٢/١٩٢ .

**الفصل الأول:**  
**المبحث الأول: أهداف الحوار النبوي**  
المطلب الأول: الدعوة إلى الإسلام  
المطلب الثاني: إقامة الحجّة  
المطلب الثالث: دفع الشبهه



## التمهيد:

الدعوة من الله ولا بد أن تتجه إلى الله في كل شؤونها . ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

والهدف الأكبر ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا الأصل الذي يبنى عليه غيره، من الأهداف، ويتحكم بكل عناصر العملية الدعوية (من مضامين ووسائل وأساليب) وغير ذلك .

وهو في نهايته النور التام الذي يبدد الظلمات التي تتراكم، وتتراكب، بعضها فوق بعض ﴿ الرَّ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ظلمة الكفر، وظلمة الشرك، وظلمة الجهل، وظلمة البدعة، وظلمة الشك، وظلمة الغي، وظلمة الشهوة، وظلمة اتباع الهوى، وظلمة قبول الوسوس والشبه المؤدية إلى الكفر<sup>(٤)</sup> ظلمات بعضها فوق بعض .

وكلها مردها إلى فساد العقيدة وهو الذي يجمع الأمم المنحرفة الضالة

(١) الأنعام- ١٦٢، ١٦٣ . .

(٢) الذاريات- ٥٦ . .

(٣) إبراهيم- ١ . .

(٤) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٤١٩/١، والماوردي . النكت والعيون ٣٢٩/١، وابن الجوزي . زاد المسير في علم التفسير ٣٠٧/١، والقاسمي . محاسن التأويل ٣٢٧/٣، والبيضاوي . أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٥/١، والشيخ الدوسري . الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٤٧١/٣ .

على تباينها الواضح في شتى الشؤون .

فدين الإسلام هو الدين الكامل بأمر الله والذي ارتضاه ديناً للعالمين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> .

ثم إقامة الحجة والبلاغ المبين للعالمين ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

فالدعوة إلى الإسلام بأمر الله ، لإدخال الناس إلى دين الله وتعبيدهم لربهم .

وإن لم يوفق الله قسماً منهم لذلك ، تكون الحجة البالغة بلغتهم بأحسن حال ومقال فتبرأ الذمة بذلك .

ولا بد مع الحرص على الدعوة إلى الإسلام وإقامة الحجة بأن يبدد الإنسان ويدفع عن الدين كل ما يشوبه من جهل وخرافات ، وكل ما يرميه به أعدائه من شبه وضلالات لثلاث تقف في وجه المسيرة الحثيثة السليمة .  
ونوح عليه السلام يقول لقومه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ

(١) المائدة-٣ .-

(٢) البقرة-١٤٣ .-

مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ .

وكل رسول يواجهه قومه بشبه تتكرر على مر الأيام ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى  
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٢) .

ومحمد ﷺ أيضاً يواجهه بشبه كثيرة منها ما حكى القرآن الكريم مثل  
قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ أَنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (٣٦) ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ  
وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣) .

ويبذل الرسول الكريم صلوات ربي عليه جهده الصادق في نفي هذه  
الشبه وإبطالها والقرآن ينزل عوناً وسداداً لذلك .

وتأسيساً على ما ذكر فإن أهم الأهداف التي سعى لها المحاور الكريم  
ﷺ - وهو القدوة والأسوة لكل محاور مسلم - .

قد تركزت هذه الأهداف فيما يلي :

- ١ - الدعوة إلى الإسلام .
- ٢ - إقامة الحجّة .
- ٣ - دفع الشبه .

وفيما يأتي بيان تفصيلي لهذه الأهداف :-

---

(١) الأعراف - ٦١ .-

(٢) الذاريات - ٥٢ .-

(٣) الصافات - ٣٦ ، ٣٧ .-



## الفصل الأول

### أهداف الحوار النبوي وموضوعاته

---

- المبحث الأول : أهداف الحوار النبوي .  
المبحث الثاني : موضوعات الحوار النبوي .

المطلب الأول  
الدعوة إلى الإسلام

---

## ١ - الدعوة إلى الإسلام

الإسلام هو دين البشرية منذ آدم عليه السلام، فالقرآن الكريم بين أن الإسلام هو الدين الواحد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

فلم ينسب رسول لنفسه الدين فكلهم صلوات الله وسلامه عليهم على اختلاف أقطارهم، وشعوبهم دعوا إلى دين واحد هو الإسلام ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقد تحاور اليهود والنصارى لدى الرسول ﷺ بهذا الخصوص فنزلت ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وحينما تنازعوا في نسبة إبراهيم إلى دياناتهم ونحلهم جاء القرآن موضحاً هذه الحقيقة ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا

(١) آل عمران - ١٩ .

(٢) الأحقاف - ٩ .

(٣) انظر ابن حجر العسقلاني . العجائب في بيان الأسباب (أسباب النزول) ٧٠٦/٢ -

٧٠٧ .

(٤) آل عمران - ٨٤ .

مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ .

فالحوارات الحمديّة في جملتها هدفها الأول الدعوة إلى الإسلام  
جملة وما انبنى عليه .

والدعوة في طورها المكّي كانت حواراته ﷺ وجهوده مركزة في  
الدعوة إلى الإسلام .

فالإسلام هو دين الله المرتضى والذي لا يقبل غيره ولذا في الخبر أنه  
يوم القيامة تأتي الأعمال تعرض نفسها تناجي ربها الصلاة والصيام  
والصدقة ثم يأتي الإسلام فيقول «يارب أنت السلام وأنا الإسلام .  
فيقول : إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي، قال الله في  
كتابه ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(٣٧٢)</sup> فكثير من الأخبار تكشف بوضوح أن الرسول ﷺ إذا  
دعا يدعو إلى الإسلام بجملته ثم يأتي التفصيل فيما بعد، إلا إذا  
استكشف وسئل عن حقائق ومسائل، وأفرع الدين، أجاب بقدر السؤال  
وبما يفيد .

وهذا واضح الفوائد، فالإسلام بأقسامه يكبر مقامه وتتسع جوانبه في  
كل صغيرة وكبيرة تمس الإنسان في أسلوب حياته ككل .

(١) آل عمران - ٦٧ .

(٢) آل عمران - ٨٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٦٢ .

ومما يدل على ذلك، وهو كثير، ما جاء في حوار دعوي سئل فيه الرسول ﷺ بم بعث؟ وإلى ما يدعو؟ فأجاب بالإسلام، وسئل ما الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي وتخليت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران لا يقبل الله عز وجل من مشرك يشرك بعدما أسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين، مالي أمسك بحجزكم عن النار، إلا أن ربي داعي، وأنه سائل هل بلغت عبادي؟ وأنا قائل له رب قد بلغتهم<sup>(١)</sup>، ففي هذا توجيه نبوي كريم بترتيب الأهداف بحسب الحاجة والأولية والبعد عن الغموض والتناقض، فشرائع الإسلام كثيرة، ومن الصعوبة بمكان عرضها على كل مدعو ففي ذلك تعجيز وفيه تهويل مما يدعو إلى النفرة وخاصة أنه في الجواب النبوي السابق شفاء وكفاء بأنه إذا ترك الشرك تنسلخ من كل ماعلاقة له به.

فأحد الصحابة يروي أن للإسلام خمس عشرة وثلاثمائة شريعة<sup>(٢)</sup>؛ ويؤكد هذا قول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إمطة العظم عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

وحوارات الرسول ﷺ مشافهة أو كتابة بخصوص الدعوة قليلة الكلمات سهلة مؤدية المعنى دون إقلال مخل أو إسهاب ممل؛ واضحة، بيّنة قاطعة.

(١) المسند مع الفتح . ٦٨ / ١ ، ٦٩ .

(٢) انظر الإصابة . ٤١٢ / ٢ .

(٣) صحيح سنن أبي داود باختصار السند . ك / السنة . باب (في رد الإرجاء) ، ٨٨٥ / ٣ .

بخلاف رسائل التشريع والأخلاق وغيرها من أمور الدين التي غالباً ما تحتاج إلى تفصيل دقيق في فروعها وكيفيتها .

وهذا الصحابي الجليل عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - قال : « أتيت رسول الله ﷺ في أول مابعث وهو بمكة ، وهو حينئذٍ مستحق فقلت : ما أنت ؟ قال : أنا نبي . فقلت : وما النبي ؟ قال ؟ رسول الله ، قلت : الله أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بم أرسلك ؟ قال : بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام ، وتوصل الأرحام . قال : قلت : نعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حر وعبد . يعني أبابكر وبلالاً . قال : فأسلمت . . . الخبر»<sup>(١)</sup> .

فقد سأل عما يتردد في نفسه وعن مضامين عظيمة مما يعني فهمه ودرايته وهو قسم من الناس الذين يدعوهم ﷺ وقد انتهت محاورته لرسول ﷺ بالاعتناق والإسلام حيث قال :  
فأسلمت» .

وعلق ابن كثير على إسلام أبي بكر رضي الله عنه فقال : « فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق»<sup>(٢)</sup> .

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ، والسيرة النبوية . ابن كثير . ١ / ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٢) السيرة النبوية . ١ / ٤٣٣ .

وأصحابه وتلاميذه ﷺ ساروا على نهجه فمن المعروف أن أبا بكر من الدعاة الأوائل إلى الإسلام فحينما دعا جمعاً من الصحابة الكرام جاء بهم إلى الرسول ﷺ فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا<sup>(١)</sup>.

وفي خبر إسلام خالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنه -، وتأكيذاً لذلك، إذ رأى رؤيا، فقصها على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أريد بك خيراً فإن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام.

فلما ذهب إلى الرسول ﷺ سأله: يا محمد الام تدعو؟ قال: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لا يعبد<sup>(٢)</sup>.

فأبو بكر ذكر له أنه يدعو إلى الإسلام، وحينما سأل الرسول ﷺ عن دعوته فسر له ذلك بكلمة التوحيد.

والرسول ﷺ حينما عرض دعوته على الأنصار جاء في الخبر: «قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل علي كتاباً؛ ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر السيرة النبوية. لابن كثير ١/ ٤٣٣.

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ١/ ٤٤٥.

(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ٤٢٧.

ومرة يأمر أصحابه بالذهاب معه إلى مدراس<sup>(١)</sup> اليهود فقال: «يامعشر يهود اسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ولرسوله إنني أريد أن أجليكم عن هذه الأرض»<sup>(٢)</sup>، وكرر عليهم الدعوة إلى الإسلام ثلاث مرات فهو حريص على إسلامهم وتهديده يتغيا منه دفعهم إلى الإسلام وهذا ما أوضحه أهل العلم وقرروه.

فقوله «تسلموا» من العلم الذي خص منه البعض لقريظة الحال، أي تسلموا من الاجلاء وفائدته أن أول ما تسلمون منه من الآفات وهو الإجماع ومفارقة الأوطان المألوفة التي هي أشد البلاء<sup>(٣)</sup>.

وفي مرة حضرته ﷺ عصابة من اليهود يسألونه عن خلال لا يعلمها إلا نبي.

فقال: سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب (عليه السلام) على بنيه لئن حدثتكم فعرفتموه لتتابعني على الإسلام.

قالوا: «فذلك لك»<sup>(٤)</sup> وفي الحديث أنه كرر شهادة الله عليهم بمتابعته على الإسلام.

---

(١) المراد به كبير اليهود ونسب إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم أي قراءتها؛ وقيل «البيت الذي تقرأ فيه التوراة». انظر فتح الباري ١٢/٣١٨.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً...) ١٣/٣١٤.

(٣) الطيبي شرح مشكاة المصابيح ٨/٢٦٩٢.

(٤) المسند ٤/١٧٦، ١٧٧، ٢٥١٤.



وسأله يهودي مرة عن أسماء النجوم التي رآها يوسف عليه السلام .  
فقال ﷺ إن اخبرتك تسلم<sup>(١)</sup> .

فواضح حرصه صلوات ربي عليه في تركيز دعوته إلى الإسلام بكل  
وسيلة ، فهو يكررها بشفقة يقيدها بالسلامة من الشرور في الدين والدنيا  
والآخرة .

ويهدد مرهباً لاحقاً في ذلك وإنما ثنى به لعله ينفع مع قلوب ران عليها  
الفساد لعلها تستيقظ فتستجيب .

وأرسل رسله إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام<sup>(٢)</sup> ولم يفصل  
أمر الإسلام برسائله .

وقبل الجهاد يحرص جنود الإسلام بأن يدعو إلى الإسلام فإذا أمر  
أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ، وإذا لقي عدوه  
من المشركين يدعوهم إلى ثلاث خصال ، أو خلال فإن هم أجابوك فكف  
عنهم ، وأول هذه الخصال «ثم ادعهم إلى الإسلام»<sup>(٣)</sup> .

وكرر : ادعهم إلى الإسلام وزيد لمزيد التقرير والتنبيه على أن الدعوة  
إلى الإسلام هي المطلوبة الأولية ، وأشرف الخصال<sup>(٤)</sup> .

وعند لقاء العدو يحاوره علي رضي الله عنه قائلاً : «يارسول الله

---

(١) الإصابة ١/ ١٥١ .

(٢) انظر ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة . ٣/ ٣٩١ .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ الجهاد والسير . باب (دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون  
عليه) ٦/ ١٠٨ .

(٤) انظر الطيبي . شرح مشكاة المصابيح . ٨/ ٢٦٩٦ .

أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال : انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم  
ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لئن  
يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»<sup>(١)</sup> .

وفي كتب النبي ﷺ إلى هرقل وكسرى ، وغيرهما من الملوك يدعوهم  
إلى الإسلام ، إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التواتر المعنوي ، الدال  
على أنه ﷺ لم يزد في دعائه علي أن يؤمنوا بالله وحده ، فمن فعل ذلك  
قبل منه ، سواء كان اذعانه عن تقدم نظر أم لا ، ومن توقف منهم نبهه  
حينئذٍ على النظر ، أو أقام عليه الحجة إلى أن يذعن ، أو يستمر على  
عناده<sup>(٢)</sup> .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . باب (مناقب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه) ٧٠ / ٧ .

(٢) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، (٣٥٣ / ١٣) .

## فما الإسلام الذي يدعو إليه ﷺ؟

اختلف العلماء في الإيمان والإسلام وعمومها وخصوصهما وحقيقتهما وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المقام يتجه البحث إلى كشف معنى الإسلام الذي يدعو إليه الرسول ﷺ شتى أصناف المشركين والمخالفين والمعاندين.

فأصل الإسلام لغة الدخول في السلم وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه<sup>(٢)</sup>.

## والإسلام في الشرع على ضربين:

١ - أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم.

٢ - ويشمل الإيمان فيتضمن مع الاعتراف فعل وعمل واعتقاد واستسلام لله في جميع ما قضى الله وقدر<sup>(٣)</sup> واستدل على ذلك بآيات منها قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم . ١٠١/١ . وابن حجر . فتح الباري ١/١١٥ ،

وابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٤/٢٧٩ .

(٢) انظر . الراغب الاصفهاني . المفردات في غريب القرآن ٢٤٠ .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ٢٤٠ .

(٤) البقرة - ١٣١ ..

(٥) آل عمران - ١٩ ..

وأصل الإسلام التعري من الآفات الظاهرة والباطنة قال ﴿ بقلب سليم ﴾ أي متعر من الدغل فهذا في الباطن .

وقال تعالى ﴿ مسلمة لاشية فيها ﴾ فهذا في الظاهر<sup>(١)</sup> .

وقد عنون البخاري باباً من أبواب الإيمان «إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام»<sup>(٢)</sup> .

ويعلق ابن حجر علي ذلك بقوله «ومحصل ما ذكره واستدل به أن الإسلام يطلق ويراد به الحقيقة الشرعية وهو الذي يرادف الإيمان وينفع عند الله<sup>(٣)</sup> ويرى أن دليل ذلك ومعناه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويطلق ويراد به الحقيقة اللغوية وهو مجرد الانقياد والاستسلام<sup>(٥)</sup> .

وابن تيمية (رحمه الله)<sup>(٦)</sup> يرى أن الدين ينقسم إلى قسمين :

- ١ - الدين المشترك ويصفه بأنه الإسلام والإيمان العامين .
- ٢ - الدين الخاص ويصفه بأنه الإسلام والإيمان الخاص .

(١) انظر المفردات في غريب القرآن . ص : ٢٤٠ .

(٢) البخاري مع الفتح . ٧٩ / ١ .

(٣) انظر ابن حجر . فتح الباري ٧٩ / ١ .

(٤) آل عمران - ١٩ .

(٥) انظر ابن حجر . فتح الباري ٧٩ / ١ .

(٦) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ٧٩ / ١ .

والزمخشري لعله يوجه إلى مفهوم يجيب عن تساؤل حول مصطلح الإسلام الذي يدعى إليه بني آدم للدخول في الدين إذ يقول عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فيفسر الإسلام هنا بأنه «التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وفي السنة أنه سُئِلَ ﷺ إلام يدعو. فأجاب: إلى الإسلام؛ فقال السائل: وما الإسلام؟ قال ﷺ: «أن يسلم قلبك لله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

وآخر يسأله ما الإسلام؟ فيقول ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله ولا تشرك بالله شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

وفي البخاري أنه جاء رجل من أهل نجد نائر الرأس فإذا هو يسأل عن الإسلام<sup>(٥)</sup> وفسر أهل العلم الإسلام في سؤاله: - إنه يسأل عن شرائع الإسلام.

- وفسروها بأنه يسأل عن حقيقة الإسلام ويؤكد الأول بأنه أجابه ﷺ فقال: «خمس صلوات في اليوم والليلة»<sup>(٦)</sup>.

(١) آل عمران - ٨٥ . .

(٢) الزمخشري . الكشاف ١/ ٤٤٢ .

(٣) المسند مع الفتوح . ٧٤ / ١ .

(٤) السيرة النبوية . ابن كثير ١/ ٣٣ .

(٥) البخاري مع الفتوح . ك/ الإيمان . باب (الزكاة من الإسلام) ، ١/ ١٠٦ .

(٦) السابق نفسه والمدرك نفسه ١/ ١٠٦ .

ويشمل المعنيين المذكورين آنفاً ما جاء في الحديث : قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟ قال : أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك . قال : فأبي الإسلام أفضل . قال : الإيمان (وفي رواية قال : خلق حسن) . قال وما الإيمان؟ قال : تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت<sup>(١)</sup> .

فمعنى الإسلام الذي يدعو إليه الرسول يشمل ويتضمن كل أمور الدين فالرسول الكريم ﷺ في دعوته للأنصار حينما أراد الله بهم خيراً بين ويشرح ما يدعو إليه فقال : «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأنزل كتاباً ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن»<sup>(٢)</sup> ، فالذي يفهم من الخبر أن الإسلام واسع بأصوله وفروعه ولكنه سهل الفهم ، وإلا فأمره كبير ويدل على ذلك حديثه لمعاذ (رضي الله عنه) «إن شئت حدثتك يا معاذ برأس هذا الأمر وذروة سنامه»<sup>(٣)</sup> فجعل الإسلام في هذا الحديث درجات أعلاها الشهادتين ثم تدرج بالصلاة وباقي أمور الدين .

وأيضاً في حواره ﷺ حينما سئل عن الإسلام أجاب : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة ،

(١) المسند مع الفتح ٧٤ / ١ .

(٢) المسند . ٤٢٧ / ٥ . ابن هشام في السيرة . ٤٢٧ / ١ .

(٣) المسند مع الفتح . ٧٤ / ١ .

وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً<sup>(١)</sup>،  
وحدد العلماء هذا الإسلام وعرفوه، بتعاريف تدل على مضمون  
الإسلام، وإن اختلفت في اللفظ فهي متقاربة الدلالة<sup>(٢)</sup>.

فما ذكر في الحديث، فهي أصول وحقائق الدين الكبرى وإلا فكل  
أصل يتضمن فروعاً يطول حصرها على سبيل التفصيل، والعلماء تحدثوا  
بتفصيل ومنهم من أطال في تعريف الإسلام والفرق بينه وبين الإيمان  
وما يتعلق بذلك من حقائق وهذا ليس محله؛ ومن أدق التعريفات  
وأمثلها «الإستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به  
على ألسن رسله»<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن تيمية في موضع آخر: فالرسل متفقون في الدين الجامع  
للأصول الاعتقادية والعملية، فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسوله وباليوم  
الآخر، والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام والأعراف،  
وسورة بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>، حتى قال: فهذه الأمور هي من الدين الذي  
اتفقت عليه الشرائع كعامه ما في السور المكية، فإن السور المكية تضمنت

(١) أخرجه أحمد ٢٣١/٥، والترمذي، ك/ الإيمان، باب (ما جاء في حرمة الصلاة)، رقم ٢٦١٦.

(٢) انظر. د. أحمد عبدالعزيز الخلف. منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى. ١/٨٢.  
أضواء السلف. ط: ١. ١٤١٩هـ.

(٣) عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٧٦، مكتبة الرياض  
الحديثة. الرياض. بدون رقم وتاريخ.

(٤) مجموع الفتاوى ١٥/١٥٩.

بأصل الرسالة ، وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقرأ بأصل الرسالة ، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسوله ؛ ولهذا يقرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين كالقيلة ، والحج ، والصيام والاعتكاف ، والجهاد ، وأحكام المناكح ونحوها ، وأحكام الأموال بالعدل كالبيع ، والإحسان كالصدقة ، والظلم كالربا ، وغير ذلك مما هو من تمام الدين<sup>(١)</sup> .

ويخلص مما سبق أن الإسلام هو الدين المقبول المرضي مذ الله قد خلق البشر وأنزل الكتب وأرسل الرسل فكل كتاب من الله سالم التحريف والتصريف يصدق ذلك ويدل عليه ، وكل رسول يبلغ الدعوة يدعو إليه فالرسول ﷺ هو خاتمهم يدعو بما سبقه به الأنبياء عليهم السلام ، ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾<sup>(٢)</sup> لست بأول الرسل<sup>(٣)</sup> فلم تستغربون رسالتي وتستنكرون دعوتي فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم ، فلأي شيء تنكرون رسالتي<sup>(٤)</sup> .

ومن المؤكد أن الدين الإسلامي هو الأساس في هذا الاتفاق والامتداد بين الرسالات السماوية الحققة .

(١) مجموع الفتاوى ١٥ / ١٦٠ .

(٢) الأحقاف - ٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين . الإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم . ١٠ / ٣٢٩٣ .

(٤) انظر : ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ٨٥٦ .



فلا غرابة إذا دعا إليه عموم الناس بشتى أصنافهم فهو يدعو إلى الإسلام، ومن يستجيب يتصف بالإسلام فقد عرض نفسه على القبائل العربية يدعوهم إلى الإسلام وتتغير الصيغة عن طبيعة دعوته ويفسرونها بأنه يبلغ رسالة ربه، وخاصة في العهد المكي والدعوة في مرحلة التعريف والتكوين، فقد فهم المدعوون ماذا تعني كلمة الإسلام بكل ما تحمله من معاني الدين وتبعاته، ومما يؤكد ذلك ويدل عليه أن الجيل الأول من الصحابة وعامة من أسلم في أول الدعوة وبواكيرها هم الركيزة والمعتمد ومن انتشر الدين بهم ومنهم العشرة المبشرون بالجنة.

المراد أن من يدعى إلى هذا الدين بهذا المصطلح كان يعرف ماذا يعني أن يسلم وينتقل إلى الإسلام.

فالرسول ﷺ يوجه ورثته ودعاة الإسلام بأن يراعوا هذا النهج الواضح، فالدلالات المختصرة المركزة؛ التي تجمع وتشمل مضامين وفروعاً عديدة ينبغي أن يدعى ويحاور الناس إليها فلا يثقل علمهم بالفرعيات والجزئيات؛ والتعميم صفة حوارية يمارسها المحاور المكين.

فالإسلام عموم يبنى عليه غيره «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن أستطاع إليه سبيلاً»<sup>(١)</sup>.

فليس المراد من هذا التوجيه الرباني - من النصوص السابقة التي تناولت الحديث عن الإسلام - مجرد قرع الأسماع بعبارات التشريع أو

(١) صحيح البخاري، ك/ الإيمان، باب (دعاؤكم إيمانكم)، (٤٩/١).

التذوق لدقائق تراكيبه، بل مراد الله تعالى مما شرع للناس هو علمهم بتعاليم رسله وكتبه مع الإيمان التام الجازم بها<sup>(١)</sup>.

وكذلك فالإسلام دين الفطرة التي فطر الناس عليها منذ أخذ الخالق عهده وميثاقه عليهم بأن يؤمنوا بالله وحده فصدقوا ووعدوا فمن أنجز فقد حاز السبق في حياته وبعد مماته، ومن نكث فعليها جنى، فينتقل الحديث عن الفطرة لعلاقتها بالدعوة جملة إلى الإسلام فهو دين الفطرة.

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٣/١٩٠).

## الإسلام دين الفطرة:

فمن الملاحظ أن الناس بعامة كانوا لا يناقشون حول حقيقة هذا الإسلام بتعريفه الفطري الذي فطر الناس عليه، وهذا يفسر سهولة فهمه والإتيان إليه.

الحنفية السمحاء التي هي الدين الصحيح للأولين والآخرين وجاء في الحديث الصحيح: «وإني خلقت عبادي كلهم حنفاء وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»<sup>(١)</sup>.

وإبراهيم عليه السلام وصفه ربه بأنه كان حنيفاً مسلماً ويشهد ويحضر بنيه بأن يحيوا بالإسلام وعليه يموتون ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وإن تعددت أقوال العلماء بالمراد بالفطرة فإن جمهورهم على أن المراد هو الإسلام، ذكر ذلك ابن حجر - رحمه الله -<sup>(٣)</sup> ونقل عن ابن عبد البر اجماع السلف على ذلك<sup>(٤)</sup>، وبوب البخاري باباً أسماه (لا تبديل لخلق الله) ثم قال: والفطرة: الإسلام<sup>(٥)</sup>

(١) صحيح مسلم بشرح النووي. ك/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب (الصفة التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)، ١٧/١٥٣.

(٢) البقرة - ١٣٢ - .

(٣) انظر فتح الباري ٢٤٨/٣.

(٤) انظر نفسه ٢٤٨/٣.

(٥) صحيح البخاري، ك/ التفسير، باب (لا تبديل لخلق الله) ص: ٤٠٥.

وقد نص البخاري عند قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> قال: الفطرة: الإسلام<sup>(٢)</sup>.

والنووي يذكر المراد بالفطرة في قوله ﷺ: «مامن مولود إلا يولد على الفطرة»<sup>(٣)</sup> كل مولود يولد متهياً للإسلام<sup>(٤)</sup>.

وشيخ الإسلام يوجه ذلك فقال «فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام»<sup>(٥)</sup> ويستدل بدليل واضح ونص كريم فيقول: وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

فالإسلام دين فطري فطر الله الخلق عليه طوعاً أو كرهاً كل المخلوقات تسلم لربها.

(١) الروم - ٣٠ - .

(٢) البخاري مع الفتح ٨ / ٥١٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي . ك / القدر . باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة) ٢٠٧ / ١٦ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم . ٢٠٨ / ١٦ .

(٥) مجموع الفتاوى ٤ / ٢٤٥ .

(٦) الأعراف - ١٧٢ - .

وأيضاً يضاف لذلك أنه بعد النص محل الحديث قال تعالى ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ <sup>(١)</sup> فإن جادلوك في أن دين الله الإسلام فقل كما قال، أبوك إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وقال محمد ﷺ «أسلمت وجهي لله» أي فقد قلت ما قاله الله جل شأنه وأنتم معترفون بحقيقة ذلك فكيف تنكرون أنني على الحق <sup>(٣)</sup> أعبد الله ولا التفت إلى غيره فالدين الذي ادعوكم إليه هو دين الله <sup>(٤)</sup>.

وفي قصة مؤمن سورة يس (رحمه الله) يقول في محاورته لقومه ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ <sup>(٥)</sup> «أي وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني وخلقني ورزقني» <sup>(٦)</sup>.

(١) آل عمران - ٢٠ . .

(٢) الأنعام - ٧٩ . .

(٣) انظر التحرير والتنوير ٣ / ٢٠١ .

(٤) انظر التفسير الكبير ٧ / ١٨٤ .

(٥) يس - ٢٢ . .

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٥٦ .

والرسل جميع الرسل قالت لأمهم ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ  
مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup> فقد خاطبتهم الرسل مخاطبة من لا تشك فيه ولا يصلح الريب  
فيه<sup>(٢)</sup>.

فالله سبحانه فطر عباده على الحق، والرسل بعثوا بتكميل الفطرة  
وتقريرها، لا بتحويل الفطرة وتغييرها<sup>(٣)</sup>.

وقد تبين من النصوص السابقة أن معنى الإسلام يتضمن التوحيد  
والأعمال الصالحة، فكانوا يحملون في فطرتهم ما يهيء لهم قبوله  
وفهمه، ففي القرآن الكريم تدل النصوص وتؤكد على ذلك من ذلك قوله  
تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ومثلها في سورة العنكبوت ﴿وَقَالَ إِنَّمَا  
اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ  
بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>،  
وفي الزمر ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ  
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ

(١) إبراهيم - ١٠ ..

(٢) مفتاح دار السعادة . ٣٤٨ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى . ٥ / ٢٦٠ .

(٤) لقمان - ٢٥ ..

(٥) العنكبوت - ٢٥ ..

أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١﴾ وفي الزخرف: ﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ .

فهم إن سألتهم عن مخلوقات الله العظيمة السماء، والأرض، والشمس، والقمر، ومن أنزل الماء، لأجابوك بأنه الله واعترفوا بعجز الأوثان ومن عبده مع الله عن شيء من ذلك<sup>(٣)</sup> وهذا من نقائص شركهم أي هم أشركوا بالله وإن سألهم سائل عن خلق السموات والأرض يعترفون بأن الله هو خالق ذلك، ولا يثبتون لأصنامهم شيئاً من الخلق<sup>(٤)</sup>.

وقوم إبراهيم عليه السلام كانوا مقرين بالصانع؛ ولهذا قال لهم إبراهيم الخليل ﴿فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾، فعادى كل ما يعبدونه إلا رب العالمين<sup>(٦)</sup>.

والرزق أيضاً فإنهم كانوا معترفين بأن الرازق هو الله ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧﴾ .

(١) الزمر- ٣٨ ..

(٢) الزخرف- ٩ ..

(٣) تفسير ابن سعدي . ٦٩٢ .

(٤) نظر التحرير والتنوير . ٢٦/٢١ .

(٥) الشعراء- ٧٧ ..

(٦) الفتاوى ٥/ ٥٤٩ .

(٧) يونس- ٣١ ..

والرسول الكريم ﷺ يعرف ذلك وكان يستثمره في خدمة الدعوة وفي جلبهم لها، فهو يدعو الحصين، فيسأله كم إلهاً تعبد يا حصين؟ فيقول ستة واحد في السماء وخمسة في الأرض. ، فيقول: من الذي تعد منهم لرغبك ورهبك؟ فقال: الذي في السماء<sup>(١)</sup> ومباشرة دعاه إلى الإسلام فأسلم لسلامة فطرته.

وعمر بن عبسة (رضي الله عنه) في رواية أخرى يروي قصة إسلامه فيذكر «كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا علي شيء، وهم يعبدون الأوثان»<sup>(٢)</sup>.

وهذا تفسير واضح لما كان عليه قسم منهم من سلامة الفطرة ولاشتهار التوحيد والحنيفية دين إبراهيم - عليه السلام - الذي يعده العرب أب لهم يقول ﷺ: «أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعه بن خندق أبو خزاعة»<sup>(٣)</sup>.

وهو يذكر بخبر الحنفاء، الذين اشتهروا قبل بعثه ﷺ؛ ومن أشهرهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي قال عنه ﷺ «يبعث أمة وحده»<sup>(٤)</sup>.

وهذا الإيمان العميق الذي قابل به المسلمون الأول هذا الدين فيه دلالة واضحة بأن فطرهم مهيأة لقبوله، والدعوة إليه.

(١) جامع الترمذي مع تحفة الأحوذى . ٤٥٥ / ٩ .

(٢) مسلم مع النووي . ك / صلاة المسافرين . باب (إسلام عمرو بن عبسة)، حديث رقم [١٩٣٠] ، ص : ٨٠٨ . .

(٣) صحيح الجامع الصغير . ٣٥٤ / ٢ ، [٢٥٧٧] .

(٤) المسند / ٤ / ١٩٧ .



فهم يعرفون معنى الإسلام إجمالاً، بل تعدى إلى أنهم يشرحون بتفصيل غير مخل عنه لمن سألهم، فالنجاشي - رحمه الله - يسأل جعفر الطيار - رحمه الله - عن حقيقة هذا الدين الذي يدينون به .

والنجاشي كتابي يعرف عما يسأل فسؤاله جاء فيه : « ما هذا الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ »<sup>(١)</sup> .

فقال جعفر : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، « قالت : فعدد عليه أمور الإسلام » فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به .

فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحل ما لا نستحل من الخبائث . .<sup>(٢)</sup>

ومكانة الشاهد في هذا الموضوع واضحة ، إذ حدث هذا في الهجرة

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل . ٢٦٥ / ٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل . ٢٦٦ / ٣ .

الأولى والإسلام في بدايته مما يعني أنهم كانوا يعرفون أن الإسلام يتضمن هذه الأمور وينهى عن أمور يعرفونها .

وزبدة القول في هذه الجزئية أن الرسول ﷺ مما سبق بين جملةً جميع الدين أصوله وما ترتب عليها، باطنه وظاهره، علمه وعمله، فمن يدعى إلى الإسلام يعرف أنه يستسلم بقلبه وقالبه لأمر ربه فيسهل بعد ذلك انقياده للشارع بكل ما يدعى إليه .

فالذي يدعى إليه الإسلام صراط الله المستقيم وهذا الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة الثابتة، ورأس ذلك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، من الاخلاص لله وتوحيده بالعبادة<sup>(١)</sup> وما يلزم من ذلك ويتلازم معه .

ويخلص من ذلك إلى ما ذهب إليه ابن تيمية - رحمه الله - إذ يقول بعد توجيهه في أقسام دين الإسلام وأصوله ومحور ذلك حديث جبريل عليه السلام يقول بعد ذلك :

«فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه ؛ وأصل عبادته وحده لا شريك له ، كما بعث الله بذلك رسله وأنزل كتبه»<sup>(٢)</sup> .

ثم استدلت بآيات الدعوة إلى توحيد الله واتفاق الأنبياء على ذلك وقول الرسول ﷺ : «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، في الأولى

(١) انظر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز . الدعوة إلى الله سبحانه وأخلاق الدعاء . ٢٤ .

مكتبة دار اليقين . الرياض . ب : رقم وتاريخ .

(٢) مجموع الفتاوى . ١٥ / ١٥ .

والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات .  
وأمهاتهم شتى . ودينهم واحد . فليس بيننا نبي»<sup>(١)</sup>.

والذي يدل عليه الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن  
اختلفت فروع الشرائع<sup>(٢)</sup>، وفي القرآن قوله ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً  
وَمِنْهَا جَاءَ﴾<sup>(٣)</sup>

ثم يأت بعد ذلك دور التعليم التفصيلي لما يتضمنه الإسلام ولذا كان  
ﷺ يحرص على دخول الناس الإسلام وإن كرهوا وإن ترددوا فقد دعا  
رجلاً إلى الإسلام فقال: أجدني كارهاً. قال: اسلم وإن كنت كارهاً<sup>(٤)</sup>.

وكان يبعث المعلمين كما كان من إرسال مصعب بن عمير - رضي الله  
عنه - للمدينة، إذ بعثه ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في  
الدين<sup>(٥)</sup>.

وأهل اليمن «إن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سأله أن  
يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة بن  
الجراح فقال «هذا أمين هذه الأمة»<sup>(٦)</sup>.

وأحد الصحابة الكرام يحاور الأحنف فيقول: ألا أبشرك؛ قلت:

---

(١) صحيح مسلم ومعه شرحه إكمال المعلم . ك/ الفضائل . باب (فضائل عيسى عليه

السلام) ١١٧/٨ .

(٢) انظر ابن حجر فتح الباري ٤٨٩/٦ .

(٣) المائة - ٤٨ - .

(٤) المسند ١١٧/١٩ .

(٥) انظر . ابن هشام . السيرة النبوية ٥٠/٢ .

(٦) الألباني . سلسلة الأحاديث الصحيحة . ٦٠٥/٤ .

بلى . قال : أما تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد  
أدعوهم إلى الإسلام، فجعلت أخبرهم وأعرض عليهم<sup>(١)</sup>.

والشاهد قوله ادعوهم إلى الإسلام ثم يخبرهم ويعلمهم بما يلزمهم  
من إقامة دين الله .

ولأن الشهادة أول أركان الإسلام، تناوب ذكرها والدعوة إليها  
وبدونه، فإن البحث سيتناول الحديث عنها لهذه الخصوصية والرابط  
بينهما .

---

(١) انظر . الذهبي . سير أعلام النبلاء ٤ / ٨٨ .

## الشهادة مفتاح الإسلام

وهذا التعبير له ما يبرره من عدة أوجه :

الوجه الأول : إن أول شيء يدخل به الإنسان الإسلام أن يقر بالشهادتين ؛ ففي الحديث « بني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . »<sup>(١)</sup> .

الوجه الثاني :

من أقرّ بها حقن دمه وسلم أهله وماله ، وفي ذلك قال الرسول ﷺ «أمرت أن أقاتل المشركين حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبائحننا ، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها»<sup>(٢)</sup> .

الوجه الثالث : ومعاني المفتاح تتضمن مقامات هامة ففي الأصل

اللغوي أنه يعني :

١ - أول الشيء<sup>(٣)</sup> .

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ الإيمان . باب (دعاؤكم إيمانكم) ، ٤٩/١ .

(٢) صحيح سنن النسائي ، باختصار السند . محمد ناصر الدين الألباني . كتاب تحريم الدم ،

باب (حرمة إراقة دم المسلم بغير حق) ، ٨٣٤/٣ . المكتب الإسلامي . بيروت . ط : ١ .

١٤٠٩ هـ .

(٣) المفردات في غريب القرآن . ٣٧٠ .

٢- وتعني الكثر<sup>(١)</sup>.

٣- مايتوصل به إلى استخراج المغلقات .

٤- إضافة إلى عدد من النصوص تؤكد هذه الصفة للشهادة .

ففي البخاري : قيل لوهب بن منبه : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله .

قال : بلى<sup>(٢)</sup> .

وهو إشارة إلى ما جاء في السيرة<sup>(٣)</sup> أن النبي ﷺ لما أرسل العلاء بن

الحضرمي قال له : « إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل مفتاحها لا إلا إلا

الله<sup>(٥)</sup> .

والعلماء يعدون قول « لا إله إلا الله » لقب جرى على النطق

بالشهادتين شرعاً<sup>(٦)</sup> .

ولهذا كان رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي متضمنة عبادة

الله وحده وترك عبادة ما سواه ، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من

الأولين والآخرين ديناً سواه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً

فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ

(١) انظر لسان العرب . مادة : فتح . وانظر المفردات في غريب القرآن ٣٧٠ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك / الجنائز . ١٠٩ / ٣ .

(٣) فتح الباري ١٠٩ / ٣ .

(٥) فتح الباري ٤٠٩ / ٣ .

(٦) انظر المرجع السابق ١١٠ / ٣ .

(٧) آل عمران - ٨٥ .

اللَّهُ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ  
وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٧١﴾ .

وابن كثير يذكر أن ابن عباس قرأ بكسر همزة «إنه» وفتح «أن» فيكون  
المعنى أي «شهد هو والملائكة وألو العلم من البشر بأن الدين عند  
الله الإسلام»<sup>(٣)</sup>، فأصبحت قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ تفسير المعنى  
الذي هو التوحيد<sup>(٤)</sup>.

فنصوص الشرع تؤكد أن من قالها مخلصاً قلبه عند موته دخل  
بها الجنة<sup>(٥)</sup> وحققت له الشفاعة<sup>(٦)</sup>، وأول ما يسأل عنه الإنسان في قبره  
كلمة التوحيد من ربك؟ وبها ينجيه الله من عرصات يوم القيامة، وهي  
كما ثبت أنها مفتاح الجنة .

وحواره مع معاذ يخبره عن حق الله على العباد وهو: «ما من أحد  
يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله  
على النار»<sup>(٧)</sup>.

---

(١) آل عمران - ١٩ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . ١٥ / ١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير . ٤٧٢ / ١ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن . ٤٣ / ٤ .

(٥) البخاري مع الفتح . ١٠٩ / ٣ .

(٦) البخاري مع الفتح . ١٩٣ / ١ .

(٧) البخاري مع الفتح . ٢٢٦ / ١ .

## الدعوة إلى لا إله إلا الله :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية .<sup>(١)</sup> إن أصل «الإسلام» أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وقال في موضع آخر : رأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله .<sup>(٢)</sup>

وفي الحديث الذي رواه أبوهريرة «الايان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه فافضل قول لا إله إلا الله فأدناها اماطه الاذى عن الطريق .<sup>(٣)</sup> وهي العلو والسمو بهم من كل آفة ، وهي التي خلق الله الخلق لأجلها وهي التي ظل ﷺ يدعو إليها ثلاثة عشر عاماً عانى بسببها كل أنواع الأذى .

فيصف ابن القيم حرصه ﷺ لتبليغ التوحيد وكلمته إلي عموم المدعوين بأنه كان يوافي الموسم كل عام ، يتبع الحجاج في منازلهم ، وفي المواسم بعكاظ ومجنة ، وذو الحجاز ، يدعوهم إلى التوحيد فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، حتى أنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة .<sup>(٤)</sup>

ويقول صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تلتفحوا» .<sup>(٥)</sup>

(١) انظر مجموع الفتاوى ١١ / ٦١٧

(٢) انظر المرجع السابق ٢ / ٧٦ .

(٣) صحيح مسلم ك الايمان باب ( بيان عدد شعب الايمان وفضلها وادناها) حديث رقم ( ١٥٣ ) ص ٦٨٧ ( الموسوعة الحديثية )

(٤) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد . ٣ / ٣٩ .

(٥) انظر ابن كثير السيرة النبوية . ١ / ١٥٦ .



وفي مناظرة كبرى اجتمعت فيها صناديد قريش عند أبي طالب يحاورونه في أمر النبي ﷺ قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه، فقال أبو طالب مستفسراً عن أي شيء يدعو إليه قومه، فقال ﷺ: «أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب؛ ويملكون بها العجم، فقال أبو جهل: ماهي وأبيك لنعطينها وعشراً أمثالها، قال ﷺ: تقولون لا إله إلا الله».

فنفروا وقالوا سلنا غيرها، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

وفي قصة وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ ومنه قوله ﷺ: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول... الحديث»<sup>(٣)</sup>.

ورجل أتى إلى النبي ﷺ فقال: من أين أقبلت.. قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال: فأين تريد، قال: أريد رسول الله ﷺ، قال: فقد أصبته، قال: يا رسول الله علمني ما الإيمان؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، قال: أقررت<sup>(٤)</sup>.

فالإسلام والشهادة أحدهما معرف للآخر ومتضمن له وهذا ما تدل

(١) ص-٥-.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧/٤. وانظر ابن كثير في السيرة ١٢٤/٢.

(٣) البخاري مع الفتح. ١٢٩/١.

(٤) المسند مع الفتح. ٧٥/١.

عليه النصوص الكريمة السابقة .

فالإسلام هو الاستسلام لله بإفراده بالعبودية ، وهذا أس المراد من شهادة لا إله إلا الله ، فهو يتضمن الإقرار بالشهادتين وذلك ما يكشفه جوابه ﷺ للرجل الذي سأله عن حقيقة الإسلام ، فقال : « أن تقول أسلمت وجهي وتخليت . . »<sup>(١)</sup> ، وتخليت تعني تركت ما سوى الله وتخليت عنه .

والإسلام في جل النصوص أصله وأوله ومبناه الشهادتان ، ولذا وهذا ما تفيده الحوارات السابقة في جلها ؛ إذ أنه ﷺ إذا سأل عن تعريف الإسلام ؛ ابتداءً بذكر الشهادتين ، وحوارات أخرى تكتفي بذكر الدعوة إلى الإسلام لاشتماله على أصل الدين وأفرعه ، إذ أنه بعد انتهاء الحوار الممتع مع جبريل - عليه السلام - قال ﷺ « هذا جبريل جاءكم ليعلم الناس دينهم »<sup>(٢)</sup> ، فإذا الإسلام الذي يدعى إليه هو دين الفطرة وأصله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وبعد ذلك فهو متفرع منه وبينى عليه .

---

(١) انظر فتح الباري ٢٢١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب / التفسير ، باب ( قوله « إن الله عنده علم الساعة » ) ، ( ٤٧٧٧ )

ص : ٤٠٥ .

المطلب الثاني  
إقامة الحجّة

---

## التمهيد:

وهذا المبحث متصل بسابقه إذ أن الدعوة إلى الإسلام هي وظيفة الرسل والدعاة التي يحاسبون بها وعليها .

﴿الرَّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup> .

فمن بعثة الرسول ﷺ إلى انتقاله ﷺ إلى الزفيق الأعلى ، وهو ينذر ويبلغ رسالة ربه دون توانٍ أو قصور عملاً بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(٢)</sup> ، فاحرص يا محمد على التبليغ ولا يثنيك خوف من مخلوق أن تبلغ رسالة الله<sup>(٣)</sup> ، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب»<sup>(٤)</sup> .

ونبي الله صالح عليه السلام مع جهده الجهد في النصيح يقول مبيناً هدفه : ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهو د عليه السلام يقول : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾<sup>(٦)</sup> ، ونوح مع هذا العمر الطويل الذي عاشه وعاشه بين

(١) إبراهيم - ٢ .

(٢) المائدة - ٦٧ .

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٣٤ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ٢٧٥ / ٨ .

(٥) الأعراف - ٧٩ .

(٦) هود - ٥٧ .

قومه ومع ما وصفه القرآن من الحرص الشديد في دعوتهم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي  
دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا  
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا  
وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ  
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ <sup>(١)</sup> دائباً من غير فتور مستغرقاً به الأوقات وأنهم في  
بعض الأحيان يسدون مسامعهم عن استماع الدعوة، ويتغطون بثيابهم  
لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله، وقيل لئلا  
يعرفهم <sup>(٢)</sup> ومن دعوة نوح الحريصة الدؤوبة يرى أهل العلم أن مراتب  
الدعوة المستفادة من ذلك ثلاث:

١ - بدأ بالمناصحة بالسر.

٢ - ثم ثنى بالمجاهرة.

٣ - ثم جمع بين الإسرار والمجاهرة <sup>(٣)</sup>.

ومن حرصه وطول مدة بلاغه يذكر المفسرون عن قتادة أنه قال بلغني  
أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح فيقول لابنه احذر هذا لا يغرنك فإن  
أبي ذهب بي إليه وأنا في سنك فحذرنى كما حذرتك <sup>(٤)</sup>.

(١) نوح (٥-٩).

(٢) انظر التفسير الكبير ١٢١/٣٠ وانظر الكشاف ١٦١/٤.

(٣) انظر النكت والعيون. تفسير الماوردي ١٠١/٦. وانظر التفسير الكبير ١٢١/٣٠.

وانظر الكشاف ١٦١/٤.

(٤) تفسير النكت والعيون ١٠٠/٦.

واستمر بالبلاغ المبين وواصل دعوته حتى أخبر من الله بأنه لن يؤمن إلا من قد آمن بقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح الخلق؛ وإقامة الحججة عليهم<sup>(٢)</sup>، وهذا ما تؤكدُه النصوص السابقة، لإقامة الحججة وإثباتها، وبلاغها، فإن كل رسول أرسل بآية معجزة؛ دالة على صدقه، لئلا يقول الناس بعجزه، أو ضعفه، وكل رسول يؤيد بآيات بينات تتناسب مع حال قومه فعلى سبيل التمثيل موسى (عليه السلام) ظهر تفوق السحر والسحرة في زمانه<sup>(٣)</sup>، فكانت من آياته آية بينة واضحة بها سجد السحرة أجمعون لأنهم أعلم بصنعتهم وتلك تعلقو عنهم وعن سحرهم.

ومن المعلوم أن الرسل والدعاة مطالبون بهداية الإرشاد والدلالة، وهو مما يدل على أنهم يحرصون كل الحرص على إبلاغ ذلك للناس حتى يشهدوا بالبلاغ.

وكثيراً ما تمر النصوص النبوية في حواراته مع المدعوين سواء كانوا ممن دخل في الإسلام وسبقوا فيه أو من الجدد أو ممن تردد فيه أو حتى لم يقبل الدعوة، أي أنه في نهاية حديثه كثيراً ما يؤكد أنه يريد إبراء الذمة

(١) هود-٣٦-.

(٢) انظر حكمة ارسال الرسل. الشيخ ابن عثيمين. ٣.

(٣) انظر المرجع السابق. ٤.

ببلاغه والتأكد من سلامة وصوله لمن سمعه، بل وتبليغه لمن وراء من سمعه .

فهو ﷺ حريصٌ كل الحرص على هذه القضية وكان دائماً يشهد ربه في الجامع على تبليغه دعوته اعداراً وبلاغاً<sup>(١)</sup>.

ففي خطبته المشهورة في حجة الوداع جاء فيها إنه قال «أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوي اسمه . قال : أليس يوم النحر؟ قلنا : بلى . قال : فأي شهر هذا : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : أليس بذي الحجة؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا . ليلبغ الشاهد الغائب ؛ فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يوصي صحابته في غزواتهم وسراياهم أن يبدأوا بدعوة الناس إلى الإسلام، وفي بعض الأخبار أنه يكرر قوله ادعهم إلى الإسلام<sup>(٣)</sup>، وبين أهل العلم أن ذلك التكرار والزيادة للتنبية على أن الدعوة إلى الإسلام هي المطلوبة الأولية<sup>(٤)</sup>.

(١) د. عبدالرحمن السديس . واجب العلماء في تبليغ الأحكام الشرعية . ٢١ . مجلة

(المستقبل الإسلامي) العدد (٩١) ذو القعدة ١٤١٩ هـ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من

سامع) ، ١٥٧/١ ، ١٥٨ .

(٣) مشكاة المصابيح مع شرح الطيبي ٢٦٩٦/٨ .

(٤) انظر شرح الطيبي . ٢٦٩٦/٨ .

وفي ذلك ملحظ بليغ في أن قبول الدعوة والدخول في دين الإسلام  
أثرٌ مرجو أما الهدف فهو التبليغ الواضح السليم للمدعو، وبعد ذلك  
تخف مسئولية الداعي اتجاه الدعوة وقد جاء في الحديث الكريم حينما  
يدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه  
فيقال: هل بلغكم؟<sup>(١)</sup>.

ففي الحديث لم يقال هل دعاكم إلى أن قبلتم الدعوة بل التأكد من  
وصول البلاغ، وسلامته من الحرف والانحراف.

وقد جاء في القرآن ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ  
فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمعنى أن الرسول إنما يأمر وينهى بياناً من الله وتبليغاً، فإنما هي  
أوامر الله ونواهيه<sup>(٣)</sup>، فيجازي المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء  
باساءته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وابن مسعود يروي أن الرسول ﷺ أمره أن يقرأ عليه القرآن، فيقول  
اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري، قال:  
فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ  
عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾<sup>(٤)</sup> قال لي: كفّ أو أمسك فرأيت عينيه تذرّفان<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح سنن الترمذي باختصار السند . ٢٢ / ٣ .

(٢) النساء . ٧٩ .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤ / ١٨٥ .

(٤) النساء . ٤١ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح . ٩٨ / ٩ .



فبماذا يشهد؟ بأنه بلغ أمته<sup>(١)</sup> وهذا قول ابن مسعود وابن جريج،  
والسدي، ومقاتل.

وسياق الآية . . . ووجه نظمها هو أنه تعالى بين أن في الآخرة لا يجري  
على أحد ظلم، وأنه تعالى يجازي المحسن على إحسانه، ويزيده على  
قدر حقه، فيبين تعالى في هذه الآية أن ذلك يجري بشهادة الرسل الذين  
جعلهم الله الحجة على الخلق، لتكون الحجة على المسيء أبلغ،  
والتبكيث له أعظم وحسرتة أشد، ويكون سرور من قبل ذلك من  
الرسول وإظهار الطاعة أعظم<sup>(٢)</sup>.

والملائكة الكرام عليهم السلام يشهدون للرسل عليهم السلام بالبلاغ  
وعلى الكفار بالتكذيب<sup>(٣)</sup>.

ومما يوحى بحرص الرسول ﷺ على دقة البلاغ وكماله في كل  
خطوة، وكلمة أنه جاء في رواية أنه كان على المنبر حينما أمره بالقراءة<sup>(٤)</sup>.  
ويشهد بذلك أنه بعد القراءة بكى حتى ضرب لحييه ووجنتيه، فقال:  
يا رب هذا على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره<sup>(٥)</sup>.

ومن الأقوال في مسألة بكائه ﷺ أنه كان رحمة لأمته، لأنه علم أنه

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير . ٨٦/٢ .

(٢) انظر: التفسير الكبير . ٨٥/١٠ .

(٣) انظر تفسير الجلالين . ٢٢٣ . دار الجبل . بيروت . (ط: ٢) ١٤١٥ هـ .

(٤) انظر فتح الباري . ٩٩/٩ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٦٦٣ . وانظر الجامع لاحكام القرآن ٣/ ١٩٧ . وانظر فتح الباري

لا بد أن يشهد عليهم بعلمهم وعملهم الذي قد لا يكون مستقيماً فيفضي إلى تعذيبهم<sup>(١)</sup>، فحصر البشر في الدنيا والآخرة، منوط بالرسول وأتباعهم، فعلى أساس هذا التبليغ تقوم حياتهم فيسعد من اتبع الحق ونصره ويشقى من دفعه وولى عنه، ولذا يحس الرسل الكرام بجسامة ما كلفوا به، وهذا ما يكشفه النص من تأثره ﷺ وبكائه .

ومن تمام البلاغ وإقامة الحجة أن أهل كل عصر يشهدون على غيرهم ممن شاهدوا أحوالهم وعلى هذا الوجه قول عيسى عليه السلام ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup> .

فهذه الأمة تكون شهيدة على الأمم السابقة وحجة عليها في إنحرافها عن هدي المرسلين<sup>(٤)</sup> .

وهناك آيات كريمة نصت على بلاغ الحجة ففي سورة البقرة وهي سنام القرآن ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر فتح الباري ٩/ ٩٩ .

(٢) المائدة- ١١٧ .

(٣) انظر التفسير الكبير ١٠/ ٨٥ .

(٤) انظر تفسير المنار . ٥/ ١١٠ .

(٥) البقرة- ٢١٣ .

لماذا بعثهم؟ ولماذا أنزل الكتب؟ وبعد التبشير والإنذار، ماذا؟ .

في موضع آخر بين تعالى الإجابة الدقيقة في ذلك ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup> .

فقد يقولون ما أرسلت رسولا، وما أنزلت علينا كتابا<sup>(٢)</sup>، وبين ما يحبه وما يرضاه، وما يكرهه، وما يأباه؛ لئلا يبقى لمتعذر عذر<sup>(٣)</sup> .

وقد قال ﷺ «ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين»<sup>(٤)</sup>، فقد قدم الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة<sup>(٥)</sup> .

وفي الحديث: «لن يهلك الناس حتى يعذروا، أو يعذروا من أنفسهم»<sup>(٦)</sup>، فكأنهم أزالوا وأقاموا الحجة لمن يعذرهم حيث تركوا العمل بالحق بعد ظهوره<sup>(٧)</sup> .

فهو جل ذكره لم يعجل بمؤاخذه عبده بالعقوبة لارتكابه ما نهى عنه،

(١) النساء - ١٦٥ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٧٨٣ . والجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٨ .

(٣) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ١ / ٧٨٣ .

(٤) البخاري مع الفتح . ك / التوحيد . باب (قول النبي ﷺ) لا شخص أغير من الله، ١٣ / ٢٩٩ .

(٥) انظر فتح الباري ١٣ / ٤٠١ .

(٦) صحيح سنن أبي داود باختصار السند . ك / الملاحم . باب (الأمر والنهي)، ٣ / ٨٢٠ .

(٧) انظر عون المعبود . شرح سنن أبي داود ١١ / ٣٣٧ .

بل حذره وأنذره، وأعذر إليه، وأمهله<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن القوة البشرية فيها قصور عن فهم جزئيات المصالح،  
وعجز عن إدراك كلياتها<sup>(٢)</sup>.

والرسل والكتب تعالج هذا القصور إضافة إلى كونها تدل على سبل  
الخير والفلاح والرشاد.

فالرسل من جنسهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ  
فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا لطف منه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم،  
ليفهموا عنهم ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم<sup>(٤)</sup>، والكتب واضحة من  
لدى حكيم عليهم فلا التباس بها ولا غموض، ولذلك في ختام النص  
القرآني ذكر صفة الحكمة، فهي هنا تدل بأنه تعالى حكيم في جميع أفعاله  
التي من جملتها إرسال الرسل، وإنزال الكتب، فإن تعدد الرسل  
والكتب، واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع  
والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في أحوالها التي هي مناط  
التكليف<sup>(٥)</sup>.

وكما أنه تعالى خلقهم على أنحاء شتى، وأطوار متباينة حسبما  
تقتضيه الحكمة التكوينية، كذلك تعبدتهم بما يطيقون ويليق بهم بحسب

(١) انظر فتح الباري ٤٠١/١٣.

(٢) انظر تفسير أبي السعود. ٢٥٦/٢. وانظر تفسير القاسمي. ٦٦٤/٥.

(٣) إبراهيم - ٤.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم. ٦٨٨/٢.

(٥) انظر تفسير أبي السعود. ٢٥٦/٢.

تغايرهم في الخلق والاستعداد فأعد من الشرائع والأحكام كل بحسب مايناسبه ويطبقه<sup>(١)</sup>.

وقد أثر عن أحد السلف أنه سئل : هل يكلف الله العباد بما لا يطيقون؟ فقال : هو أعدل من ذلك ؛ وقالوا والعباد يفعلون كل ما يريدون فقال : هم أعجز من ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد راعى جل جلاله في إرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك من الأمور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم<sup>(٣)</sup>.

فما الإقامة؟ وما الحجة؟ ولماذا عبر القرآن بها دون عما سواها؟ وكيف أقام الرسول الكريم ﷺ الحجة؟ .

---

(١) انظر المرجع السابق نفسه . ٢٥٧ / ٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء . ٣٩١ / ٩ .

(٣) انظر تفسير أبي السعود . ٢٥٧ / ٢ .

## التعريف بإقامة الحجة

### أ - : تعريف الإقامة:

بالعودة إلى أصلها اللغوي في مادة قوم يجد الباحث معان عدة من أقربها وألزمها لموضوع البحث :

١ - نقيض الجلوس يعني الوقوف .

٢ - الثبات والمداومة على الشيء .

٣ - المحافظة والإصلاح<sup>(١)</sup> .

ويقسمها الراغب إلى ثلاثة أقسام :

- قيام بالشخص إما بتسخير أو اختيار .

- قيام للشيء وهو المراعاة للشيء والحفظ له .

- قيام وهو العزم على الشيء<sup>(٢)</sup> .

ثم استدل بأدلة من القرآن على ذلك فالدليل على الأول قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup> ، وعلى النوع الثاني قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) انظر لسان العرب . مادة : قوم .

(٢) المفردات في غريب القرآن . ٤١٧ .

(٣) هود - ١٠٠ .

خَيْرًا ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

والنوع الثالث يستدل عليه بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ .

فيلاحظ أن هذه المعاني ظاهرة الدلالة على موضوع البحث فالحجة تحتاج إلى قيام دائب في تبليغها ومداومة ومتابعة مع المحافظة عليها وإصلاح أساليبها ووسائلها .

ب-: تعريف الحجة:

تدل في معناها اللغوي على:

١- البرهان والدليل .

٢- وهي القصد .

٣- وتدل على الدقة في العمل<sup>(٣)</sup> .

ويربط الراغب الأصفهاني هذه المعاني ؛ ويضفي عليها دقة

(١) النساء- ١٣٥ . .

(٢) المائدة- ٦ . .

(٣) انظر لسان العرب . مادة: (حجج) . والمعجم الوسيط . مادة: (حج) . وابن فارس .

معجم مقاييس اللغة مادة: (حجا) ٢/ ١٤١ .

ووضوحاً؛ فيرى أنها الدلالة المبينة للحجة؛ أي المقصد المستقيم<sup>(١)</sup>.

ويستدل بأدلة منها قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ففي كلام العرب ما يقصد به إثبات المخالف؛ بحيث لا يجد منه تفصيلاً؛ فهي تطلق حقيقة على الدليل الناهض المبكت للمخالف<sup>(٤)</sup>.

وفي ما ذكر من هذه المعاني اللغوية، وما تبعها من أدلة القرآن الكريم؛ مقدمة لتعريفها في الإصطلاح.

### وفي الإصطلاح:

عند الفقهاء «ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري»<sup>(٥)</sup>.

### ومن تعاريف علماء التفسير:

١ - «كل كلام يقصد به غلبة الغير فهو حجة»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن . ١٠٧ .

(٢) الأنعام - ١٤٩ .

(٣) البقرة - ١٥٠ .

(٤) انظر . ابن عاشور . التحرير والتنوير . ٤٦/٢ .

(٥) انظر د . محمود حامد عثمان ، القاموس القويم في إصطلاحات الأصوليين ، ٢٠٢ ، دار

الحديث ، (ط : ٢١١) ١٤١٦ هـ .

(٦) الرازي . التفسير الكبير ٤/ ١٢٧ .



٢ - «كل كلام يتخذه الإنسان مسلكاً لنفسه في إثبات أو إبطال فهو حجة»<sup>(١)</sup>.

ويعرفها الجرجاني بأنها «ما دل به على صحة الدعوى»<sup>(٢)</sup>.

والتعريف المراد في هذه الجزئية من البحث هو: «القيام الدائم في إيلاج الحق إلى الخلق بالبرهان الواضح وبأدق الأساليب».

أما الجواب على السؤال الثالث الذي طرح وهو: لماذا عين بالحجة دون سواها؟ فهو للتنبية على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾<sup>(٣) (٤)</sup>.

### إقامة الحجة في الحوار النبوي:

قد سبق أن الهدف هو البلاغ، ولذلك حصر الله الدعوة فيه، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

فمن خلال هذا النص ونصوص سابقة مرت تبين أن إقامة الحجة

(١) المرجع السابق نفسه ٤/١٢٧.

(٢) الجرجاني. التعريفات. ١١٢.

(٣) الإسراء- ١٥.

(٤) أبي السعود. تفسير أبي السعود. ٢/٢٥٦.

(٥) الشورى- ٤٨.

بالبلاغ المبين هو المهمة الكبرى التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ليعبد الله وحده لا شريك له ، وذلك مادة حياة الناس ، وانقاذهم من دركات الغواية واخراجهم من الظلمات إلى النور .

فأتت دعوتهم أكلها وقاموا بالندارة والبلاغ خير قيام ، حتى شهد الله لهم بذلك وملائكته ورسله وبخصوصية من خاتمهم وخيرهم ﷺ فإنه شهد لهم وفاقهم في إقامة الحججة .

فالأخبار الكريمة تؤكد حرصه وبذله مافي وسعه لإقامة الحججة بأحسن وجه وأدقه وأكملة .

فمن حرصه على إقامة الحججة أنه يطوف بالدعوة في كل حين يعرضها على كل أحد حتى ذكر أهل السير أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وأذاه ، لا حر ولا عبد ؛ فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه<sup>(١)</sup> .

ثم يذكر ابن هشام ؛ أنه نزلت سورة المدثر ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ ﴾<sup>(٣٧٢)</sup> .

فالإنذار أمره خطير ولا بد منه في كل الأحوال لتصل الحججة مبتغاها ، فلا عذر لمعتذر ؛ والاستجابة نتيجة مرجوة ومحبية للداعي ، ولكنها

(١) ابن هشام . السيرة النبوية . ٢٩١ / ١ .

(٢) المدثر - ١ ، ٢ . .

(٣) انظر المرجع السابق ٢٩١ / ١ .

ليست هدفاً وحيداً، وإنما إقامة الحجة على الناس؛ هدف قائم لا تراجع عنه مهما توالى العقبات .

وفي يوم ضم جمع من صناديد قريش يتداولون الرأي في كيفية صد الرسول ﷺ عن البلاغ، بعثوا أحداً إلى الرسول ﷺ فماذا كان منه ﷺ إثر ذلك<sup>(١)</sup> .

يقول ابن إسحاق بين ثنايا هذه القصة «فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم»<sup>(٢)</sup> .

وبعد محاورة مؤثرة، في نهايتها طلبوا تحقيق المعجزات، بين الرسول الكريم ﷺ حقيقة الرسول والرسالة، فقال رداً على نكرهم ومنكراتهم: «وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً...»<sup>(٣)</sup> .

وفي مرة من مرات حرصه على التبليغ يحاور الوليد بن المغيرة في أمر الدين وطمع في إسلامه وقطع هذا ابن أم مكتوم رضي الله عنه حيث جاء يستقرأ القرآن من الرسول ﷺ مما أغضب الرسول ﷺ من حرصه على إسلام الوليد فأنصرف عابساً وتركه؛ فأنزل الله في ذلك ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾<sup>(٤)</sup> .

يقول ابن هشام وهو المراد في هذا الموضع «أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً

(١) انظر السيرة النبوية . ابن هشام . ٢٩٥ / ١ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه . ٢٩٦ / ١ .

(٣) ابن هشام . السيرة النبوية . ٢٩٧ / ١ .

(٤) عبس (١-٢) .

لم أخص به أحداً دون أحد، فلا تمنعه ممن ابتغاه»<sup>(١)</sup>.

الشاهد أنه دُكر بقوة ومباشرة بحقيقة الرسالة التي ينبغي أن لا تغيب وهي قضية البلاغ والإنذار وقد كان ﷺ ينصرف إلى غيرهم لتبليغ الدعوة.

حيث كان يعرض نفسه ﷺ على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»<sup>(٢)</sup>.

فهو يبين أن هدفه الذي يحاسب عليه ويطالب به البلاغ وفي نص آخر يصرح بوضوح أنه لا يكرههم على الإيمان، وإنما الأهم أن يحموه ليبلغ الدعوة ففي الخبر «لا أكره أحداً منكم على شيء؛ من رضي منكم بالذي ادعوه إليه فذاك؛ ومن كرهه لم اكرهه؛ إنما أريد أن تحرزوني مما يراد بي من القتل؛ حتى أبلغ رسالات ربي؛ وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء؛ فلم يقبله أحد ويقولون: قومه أعلم به...»<sup>(٣)</sup>.

فمما سبق من هذه الأخبار التي تواترت تبين أهمية إقامة الحججة فهي التي لا مناص ولا محيص عن السعي لها في جميع الأحوال.

والنتيجة قد تتأخر فهذا رجل من قبيلة عربية يدكر بعد أمة؛ فيقول شاهداً على نفسه وعلى قبيلته وهذه هي الغاية، يقول: «وقد كنا سمعنا

(١) ابن هشام. السيرة النبوية ١/ ٣٨٢.

(٢) سنن أبي داود. ك/ السنة باب في القرآن رقم الحديث (٤٧٣٤) ص: ١٥٦١.

(٣) انظر الذهبي تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢٨٢.

به، وبدعائه في المواسم، فوقف يدعوننا فلم نستجب له»<sup>(١)</sup>.

ومن نفس القبيلة؛ يشهد أحد كبارائها، بصحة ذلك ويزيد بالندم والحسرة إذ فرطوا في عدم الإستجابة لنداء الحق. يقول: «أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي، فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ»<sup>(٢)</sup>.

ثم يوجه حديثه للرسول الكريم ﷺ بأدب يبين فيه حسن كلامه ونوره ويعتذر بمخالفة قومه<sup>(٣)</sup>.

وبفضل الله على ذلك وإن تأخر إسلامه فإن الله تداركه برحمته وأسلم عام حجة الوداع<sup>(٤)</sup>.

### مهمة الرسول الكريم ﷺ البلاغ المبين:

تكشف النصوص والحوارات السابقة بوضوح أن مهمة المحاور المسلم أن يبلغ رسالة ربه، وهذا البلاغ لا بد أن يبلغ مداه كماً وكيفاً<sup>(٥)</sup> ففي سبيله

(١) انظر ابن كثير. السيرة النبوية. ١٧٠/٢.

(٢) نفس المرجع السابق. ١٧٠/٢.

(٣) السيرة النبوية. ابن كثير ١٧٠/٢.

(٤) نفس المرجع. ١٧١/٢.

(٥) ومما يدعو إلى الفزع والرهبة، أن وسائل الدعوة في هذا الزمان متنوعة متعددة مما يعني شدة الحجة وثقلها يوم السؤال على الدعاة، ومما يزيد الأمر بلغة موقف العلماء العاملين محل الثقة في البت الواضح بموقف الشرع من ذلك، فهذه الوسائل لا يشك الآن عاقل في مبلغ خطورتها من حيث التأثير على شتى أصناف الناس وحتى من أولي النهى فضلاً عن الخمل والدهماء ممن يتلقفون ما يرون ويسمعون بلا حص وتمحيص.

بيذل الداعي المخلص ما في وسعه ومكنته من وصل ووسل ، وبلا تواني  
أو تراخي ، أو تراجع .

والقرآن في مواضع متعددة؛ يبين هذه الحقيقة ، وأول هذه النصوص  
موضعاً في ترتيب القرآن في سورة آل عمران والتي ذكر أكثر أهل العلم  
أنها نزلت بسبب محاورة ومناظرة نصارى وفد نجران<sup>(١)</sup> .

وفي ثنايا هذه الآيات ، التي هي ركائز ومعالم في علم النظر  
والمناظرات ، جاء النص القرآني ، يبين مهمة الرسل والدعاة يقول تعالى :  
﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ  
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فأكثر المفسرين يرون أن هذه المحاورة تخص أهل الكتاب<sup>(٣)</sup> ، وفي  
تفسير القسم الأول منها يقول القرطبي (رحمه الله) : «أي جادلوك  
بالأقاويل المزورة والمغالطات ، فأسند أمرك إلى ما كلفت من الإيمان  
والتبليغ وعلى نصرك»<sup>(٤)</sup> .

ثم توجه الكلام إلى عامة المدعوين من نصارى ويهود والذين لا

---

(١) انظر الواحدي . أسباب نزول القرآن . ٩٠ ، ٩١ وانظر العجاب في بيان الأسباب  
(أسباب النزول) . ابن حجر العسقلاني ٢/٦٥٧ . دار ابن الجوزي . (ط : ١) ١٤١٨هـ .

(٢) آل عمران - ٢٠ .

(٣) انظر السيوطي . الدر المنثور في التفسير بالمأثور . ١٦٨/٢ ، وابن الجوزي . زاد المسير في  
علم التفسير . ٣٦٣/١ .

(٤) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٤٥/٤ . (مرجع سابق) .

كتاب لهم<sup>(١)</sup>.

فالخطاب توجه من الخصوص إلى العموم لايضاح مهمة الرسول ﷺ وهي البلاغ سواء لهؤلاء الذين قصدو بذاتهم للمحاجة أو غيرهم من عامة المدعويين، ومما يؤكد ذلك ويشير إليه أنه كرر كلمة «قل» فقول يامعشر المحاجين الحاضرين، وقول آخر خص وعم لعموم البلاغ.

والقرآن سماه بلاغاً، والبلاغ يعني النضوج، والوصول للغاية، والفصاحة وحسن البيان، والاجتهاد والإستقصاء<sup>(٢)</sup>، وفي الآية ما يدل على أنه بلغ الذروة والزيادة في البيان ومنتهى المقدور من الحجة فالأجدر أن أكف عن الأزدباد<sup>(٣)</sup>.

فإن المحق إذا ابتلى بالمبطل اللجوج يقول: أما أنا فمنتقاد إلى الحق، وأنا ومن اتبعني مستسلمون له منقادون<sup>(٤)</sup>، وهذا مؤدى ما قاله القرطبي ومال إليه<sup>(٥)</sup>.

وابن عطية (رحمه الله) يوجه في تفسيره إلى دقة إقامة الحجة إذ يقول في معرض تفسيره لذلك فعند قوله تعالى: ﴿أأسلمتم﴾ فهو وعيد شديد بمعنى أسلمتم أم لا؟ إلى قوله ﴿فقد اهتدوا﴾<sup>(٦)</sup> وجاءت العبارة بالماضي

(١) انظر المرجع السابق والمدرك نفسه ٤٥/٤ .

(٢) انظر المعجم الوسيط . مادة بلغ . (٦٩) .

(٣) انظر التحرير والتنوير . ٢٠٠/٣ (مرجع سابق) .

(٤) الفخر الرازي . التفسير الكبير ١٨٣/٧ .

(٥) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ٤٥/٤ .

(٦) انظر ابن عطية . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ٤٤/٣ .

مبالغة في الإخبار بوقوع الهدى لهم وحصوله<sup>(١)</sup>.

وبعد ذلك كله من حفاوة كريمة من النبي ﷺ للمحاورين، وتهيئة الأجواء المناسبة، والسماح بإدلاء آرائهم وأقوالهم بكل سماحة؛ ثم الإذن بالمراجعة والمشاورة، وفسحة من الوقت، ثم البلوغ بالدعوة إلى المباهلة وفيها عدل وإنصاف وإن تضمنت وعيداً وتخويفاً.

بعد ذلك كله ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول ابن سعدي (رحمه الله): «لما بين أن الدين الحقيقي عنده الإسلام، وكان أهل الكتاب قد شافهوا النبي ﷺ بالمجادلة وقامت عليهم الحجة، فعاندوها أمره الله تعالى عند ذلك أن يقول ويعلن أنه أسلم وجهه أي ظاهره وباطنه لله؛ وأن من اتبعه كذلك قد وافقوه على هذا الإذعان الخالص؛ وأن يقول للناس كلهم من أهل الكتاب وغيرهم إن أسلمتم فأنتم على الطريق المستقيم؛ والهدى والحق وإن توليتم؛ فحسابكم على الله؛ وأنا ليس عليّ إلا البلاغ، وقد أبلغتكم، وأقمت عليكم الحجة»<sup>(٣)</sup>؛ فأنت أديت ما عليك، لأن مهمتك البلاغ فلا تحزن ولا تظن أن عدم اهتدائهم للإسلام كان لتقصير منك؛ إذ لم تبعث إلا للتبليغ لا لتحصيل اهتداء المبلغ إليهم فهداية التوفيق بيد الله.

(١) انظر المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه. ٤٤ / ٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن

. ٤٥ / ٤

(٢) آل عمران - ٢٠ - .

(٣) انظر ابن سعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ١١٦. (مرجع سابق).



يقول ابن كثير: «أي والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة»<sup>(١)</sup>.

وتأكيداً لهذا فإنه تعالى ذكر في ختم الآية ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٢)</sup>، وعد ووعد<sup>(٣)</sup> وهو ظاهر<sup>(٤)</sup> فهو سبحانه عالم بجميع أحوالهم وبمن يؤمن ومن لا يؤمن<sup>(٥)</sup>، فكل رسول مهمته البلاغ المبين، أما قلوب العباد فهي بيد بارئها، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٦)</sup>، فهذه جاءت في رد على حوارهم للرسول الكريم ﷺ وتعللهم بأن شركهم قدرهم، فرد عليهم تعالى بأن الأمر ليس كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار، ونهاكم أشد النهي وبعث في كل أمة رسولا وهم يدعون إلى توحيد الله<sup>(٧)</sup> ثم بين أن مهمة الرسل البلاغ المبين الظاهر الذي يصل إلى القلوب؛ ولا يبقى لأحد على الله حجة؛ فليس للرسل من

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ٤٧٣/١.

(٢) آل عمران - ٢٠.

(٣) تفسير البيضاوي ١/١٥٣.

(٤) انظر الفخر الرازي. التفسير الكبير. ١٨٥/٧.

(٥) انظر تفسير أبي السعود. ١٩/٢. وانظر تفسير البغوي (معالم التنزيل) ٢٠/٢.

(٦) النحل - ٣٥.

(٧) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ٧٥١/٢.

الأمر شيء<sup>(١)</sup>.

ويلحظ ابن عاشور (رحمه الله) في هذا النص ملاحظة مفيدة في هذا المقام إذ يقول: «وأثبت الحكم لعموم الرسل - عليهم السلام - وإن كان الردود عليهم لم يخطر ببالهم أمر الرسل الأولين؛ لتكون الجملة تذييلاً للمحاجة، فتفيد أعم من الردود»<sup>(٢)</sup> ثم يزيد زيادة موجهة لمقصد الآية، فيذكر أن الكلام موجه إلى النبي ﷺ تعليماً وتسلياً؛ ويتضمن تعريضاً بإبلاغ المشركين<sup>(٣)</sup>.

ثم في موضع آخر يبين القرآن الكريم حقيقة الرسول ﷺ التي يشترك فيها مع من سبقه من أخوته الرسل الكرام فيقول تعالى ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾<sup>(٤)</sup>، فهو مجرد رسول من الرسل، يدعو إلى ما دعوا إليه، عرفتموه بأخلاقه العالية، ودعوته دعوة إلى كل خير، وينهى عن كل شر، ومعجزته القرآن وهو كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

فمهمته ﷺ وأمته من بعده هي البلاغ في أكمل صورة لأنه بلاغ لأمر الله وكلامه؛ فتلك هي المهمة التي كرس الرسول الكريم ﷺ حياته لها منذ أمر بالندارة فشمروا وجد ليبلغ عن ربه، والقرآن ينزل موجهاً بالبلاغ ومنذراً بأن لا يتوقف، وحصر مهمته في البلاغ أما النتيجة أيا كانت لا

(١) انظر ابن سعدي . تفسير القرآن . ٤٦٧ .

(٢) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير . ١٤٩/١٤ .

(٣) انظر ابن عاشور . التحرير والتنوير : ١٤٩/١٤ .

(٤) النجم - ٥٦ - .

تبرر التوقف عن الدعوة والبلاغ<sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن مهمة البلاغ شاقة ولكنها تستحق النصب والتعب لعظم أمرها وخطورة النتائج التي تترتب عليها فيما يخص البشر<sup>(٢)</sup>، ولكنها السعادة والراحة، له ولمن تبعه صادقاً طائعاً متبعاً، يتحسون هذه السعادة فيما ينتج من آثار طيبة في الداعي والمدعو.

وفي الحديث «وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك، فيقول: بلى. فيقول: أعطك مالاً وأفضل عليك. فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وعن يساره فلا يرى إلا جهنم»<sup>(٣)</sup>.

والقرآن يؤكد ذلك يقول الله تعالى ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، أي ليكفر من كفر بعد الحجّة لما رأى من الآيّة والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك<sup>(٥)</sup>.

ولذا يعترف الأشقياء ساعة لا ينفع ندم ولا إعتراف فيقول تعالى

(١) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام . ٩٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه والمدرک نفسه ٩٩ .

(٣) زاد المعاد . ٤٥٥ / ٣ .

(٤) الأنفال . ٤٢ .

(٥) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٤١٦ / ٢ .

حكاية عنهم ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾<sup>(١)</sup>،  
﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾ أي سمع من يعي ويفهم ﴿ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ عقل من يميز  
وهذه أوصاف أهل العلم، فالمعنى: لو كنا من أهل العلم لعلمنا ما يجب  
علينا فعملنا به فنجونا<sup>(٢)</sup>.

مما سبق تبين أن مهمته ﷺ انحصرت في هذا البلاغ؛ بأكمل وأدق  
صورة.

وامثل إمام الدعوة ﷺ لهذا الأمر خير امثال فقد مكث صلوات ربي  
عليه في البلاغ ثلاثاً وعشرين سنة حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.  
وتدرج دعوي فقيه حكيم في الإبلاغ، من حيث المدعو، والمضمون،  
والزمان.

فأول ما بدأ بأقرب الناس إليه ﷺ فقد جاء في البخاري أنه لما  
نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل  
ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل  
الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب  
وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير  
عليكم أكتنم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال:  
فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر  
اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾<sup>(١)</sup> ما أغنى عنه

(١) الملك - ١٠ - .

(٢) فتح الباري . ١ / ١٦١ .

مَالَهُ وَمَا كَسَبَ ﴿(١)(٢)﴾ .

فيلاحظ أنه ﷺ اختار مكاناً مرتفعاً إضافة إلى كونه مشتهراً عندهم، مع قربهم لهم حساً ومعنى بل في رواية لمسلم جاء فيها «فانطلق نبي الله ﷺ إلى روضة من جبل عند أعلاها حجراً ثم نادى»<sup>(٣)</sup> .

الحاصل أن ذلك منه ﷺ برصد وقصد وتفكير، فقد سبقت الإشارة إلى تعلقهم به إذ له عندهم خصوصية دينية<sup>(٤)</sup> .

ثم بعد ذلك بدأ ينادي «يا بني فهر، يا بني عدي»، وواضح أنه يرفع صوته بالنداء بما يشبه نداء وفرع الخيل وهو معروف عند العرب، وهذا ادعى لشحن الهمم والهمة والمسارة لاستجابة النداء .

فهي مرحلة متحققة، وتحققت شهادة المستمعين ففي ذلك موعظة وإنذار في حكمة وبلاغة لا نظير لها فقد اختصر الطريق وبأسلوب واضح<sup>(٥)</sup> وصيحة

(١) المسد (١-٢) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ التفسير . باب (وأندر عشيرتك الأقرين) ٥٠١ / ٨ .

(٣) صحيح مسلم ومعه شرح النووي . ك الإيمان باب (في قوله تعالين) وأندر عشيرتك الأقرين ٧٧ / ٣ .

(٤) فأهل الجاهلية اشتهر عندهم الطواف بين الصفا والمروة، حتى تخرج بعض المسلمين فيما بعد أن يطوفوا بهما، فنزلت حيثنذ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ...﴾ [البقرة: ١٥٨]، فأمر الصفا والمروة مشتهر بين هؤلاء وقد قيل إن على كل منهما أصناماً وبينهما أصنام، ولذا قال الصحابة للرسول ﷺ: يا رسول الله لا تطوف بين الصفا والمروة فإنهما شرك . انظر في ذلك ابن كثير . تفسير القرآن ١ / ٢٧١ . والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن . ١٧٩ ، ٧٨١ / ٢ .

(٥) انظر أبو الحسن الندوي . السيرة النبوية . ١٣٨ . المكتبة العصرية، ١٤٠١ بدون رقم .

مسموعة هي غاية البلاغ؛ فقد أوضح الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هي حقيقة الصلات بينه وبينهم وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله<sup>(١)</sup>.

وأخذت الدعوة المباركة تدرجاً منظمًا محكمًا في كافة مراحلها مترقية بأهدافها، متنوعة في وسائلها وأساليبها بحسب ظروف الدعوة مكاناً وزماناً وإنساناً حتى بلغت غايتها.

وكل ذلك بثبات راسخ على كلمة التوحيد قولاً وفعلاً لم تحده عنه شبراً فمنه تنطلق وإليه تعود.

من حين تنزل الذكر الحكيم على الرسول ﷺ تنوع البلاغ بأشكاله وصوره، فكتب السيرة تكاد تجتمع بأن أول دعوة تناولت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد آمنت قبل فرض الصلاة<sup>(٢)</sup> ثم ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي<sup>(٣)</sup>، فحينما نزلت ﴿اقرأ﴾ أتى بها إلى خديجة رضي الله عنها فأمنت وصدقته ثم دلته على قريبها ورقة بن نوفل الذي كان على علم بالنصرانية، وبعد ذلك حسب كتاب السيرة، تتابع أعداد لا بأس بها بالإسلام.

وهذا يدل أنه ﷺ جد في مسألة إقامة الحجّة ودعوة الناس إلى

(١) انظر صفى الرحمن المباركفوري. الرحيق المختوم. ٩١. ط: ٦. ١٤١٨ هـ. رابطة العالم الإسلامي.

(٢) انظر ابن هشام. السيرة النبوية. ٢٤٥/١.

(٣) انظر المرجع السابق نفسه. ٢٤٢/١ وانظر ابن كثير. البداية والنهاية. ١٧/٣، ١٨، وابن حجر، الإصابة ٥٩٨/٣.

الإسلام، ومع تتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مصدق بما جاءه منه، وقد قبله بقبوله وتحمله ما حمله، على رضا العباد وسخطهم.

ومضى صلوات ربي عليه على ما أمر الله، على ما يلقي من قومه من الخلاف والأذى<sup>(١)</sup>، وقام حينئذ رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام، وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد، والأحرار والعيبد، فأمن به حينئذ كل سعيد واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد<sup>(٢)</sup>.

ونفعه الله بخديجة فإيمانها المبكر دفعها لمؤازرته وتخفيف أعباء البلاغ عنه؛ فلا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها<sup>(٣)</sup>، وفي القرآن ما يصدق ذلك، وما تقدم يثبت حرص الرسول ﷺ على إقامة الحجّة.

وفي حوار مع علي رضي الله عنه إذ رأى الرسول الكريم ﷺ يصلي فقال: ما هذا يا محمد؟ قال: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ابن كثير. السيرة النبوية ١/٤٢٦.

(٢) انظر ابن كثير. البداية والنهاية. ٣/١٧، ١٨.

(٣) انظر ابن هشام. السيرة النبوية ١/٢٤٥. وانظر ابن كثير. السيرة النبوية ١/٤٢٦

(مراجع سابقة).

(٤) ابن كثير. السيرة النبوية. ١/٤٢٨.

وأبو بكر يحاوره في أمر الرسالة وما سمعه من قريش عنها فيرد عليه الرسول ﷺ «بلى إني رسول الله ونبيه بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره، والموالاتة على طاعته»<sup>(١)</sup>، فأسلم وكفر بالأصنام، فمن خلال هذين الحوارين يلاحظ حرصه على إقامة الحججة على من سمعه ووصله، عرف علمياً بما يدعو إليه ثم قال «فأدعوك إلى الله وحده».

وحينما دعا أبا بكر قال في معرض دعوته «بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق»<sup>(٢)</sup>، فهو عرض الأمر وأوضح أن مهمته البلاغ فتبرأ الذمة وتقوم الحججة.

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به<sup>(٣)</sup> ودأب كثير من كتاب السيرة من السابقين واللاحقين يصفون هذه المرحلة بأنها مرحلة الدعوة السرية<sup>(٤)</sup> وهذا غريب إذ أنهم بأنفسهم يتناقلون بينهم ما جرى للدعوة من عناد وصد وأذى.

فقبل أسطر وفي أيام الدعوة الأول، يذكر كتاب السير المتقدمون موقف خديجة رضي الله عنها من المؤازرة والمساندة حتى قالوا تهون عليه أمر الناس.

(١) المرجع السابق نفسه ٤٣٣ / ١.

(٢) انظر ابن كثير. السيرة النبوية. ٤٢٨ / ١.

(٣) انظر ابن كثير. السيرة النبوية. ٤٥٤ / ١.

(٤) علي سبيل التمثيل: انظر ابن هشام. السيرة النبوية ٢٦٠ / ١. وابن كثير. السيرة النبوية

٤٢٧ / ١.



سياقها فيها دلالات بينات أن أمر الدعوة كان قد عم وأضحى وبدأت مؤشرات على المواجهة مع صناديد مكة .

وذكر ابن كثير والرازي وغيرهم<sup>(١)</sup> أن من أسباب نزولها اجتماع الملا من قريش يتناولون الرأي والاستشارة بأمر الرسول الكريم ﷺ والندارة والماوردي رحمه الله يذكر أن معاني «المدثر» يا أيها الكاتم لنبوته اجهر بإندارك<sup>(٢)</sup> .

وأثار الباحث دروزه هذا الموضوع واجتهد في بيان عدم التسليم به<sup>(٣)</sup> .

والإمام ابن حزم بحزم يتبع الدعوة في بداياتها فلم يشر إلى ما يدل أنه يقر بسريتها<sup>(٤)</sup> .

وتابعهم على ذلك د . سيد محمد الشنقيطي ورد ابتداءً القول بسرية الدعوة . والحديث به ، مما يعني أن لديه قناعة من خلفية علمية بأن الأمر يختلف عن ما ذهب إليه ، وحتى بعض من أقر نظراً فإنهم من خلال ذكرهم للأخبار لا يرون سريتها ، وإنما تابعوا من قبلهم فيما ذكروه .

### التوفيق بين الرأيين:

الذي يظهر والله أعلم أن من نصوا على مسألة السرية ما أرادوا سرية

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن ٤ / ٥٦٧ . وانظر الرازي . التفسير الكبير ٣٠ / ١٦٧ .

(٢) انظر الماوردي . النكت والعيون (تفسير الماوردي) ٦ / ١٣٥ .

(٣) انظر محمد عزة دروزة . سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم ١ / ١٦٢ ،

١٦٣ . المكتبة العصرية بيروت .

(٤) انظر ابن حزم . جوامع السيرة النبوية ، ٦ . دار الجليل . بيروت . (ط : ٣) ١٤٠٤ هـ .



وأبعد من ذلك، مقدم الصحابي الكريم عمرو بن عبسة وحواره مع الرسول صلى الله عليه وسلم فأقيمت الحجة عليه ، فأراد الله به خيراً فأسلم<sup>(١)</sup>، وأبو ذر رضي الله عنه يرسل أخاه يستعلم ويستثبت أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يقدم إلى مكة ويعلن إسلامه ويخرج يصرخ بها بين ظهرائهم<sup>(٢)</sup>. فهذان الصحابيَان الكرِيمَان يَأْتِيَان من أَقْصَى دِيَارِ الْعَرَبِ ومن البوادي .  
ففي هذه دلالات :

الأول : أن الرسالة كانت مشتهرة وتنتقل أخبارها من مدعو لآخر ومن قبيلة لأخرى ، فأين السرية في ذلك ؟ .  
الثاني : الأسلوب الذي حصل منهما من استخبار واستشكاف ، وسؤال يتضمن خبراً وخبرة فذا يؤكد أن أمر الرسالة مما يتحدث به الناس ويتداولون الرأي فيه .

ولعله مما يدل بل يرد ذلك الرأي أنه ثبت في البخاري أن المدثر أول سورة نزل من القرآن<sup>(٣)</sup> ، وابن كثير - رحمه الله - أن رأي الجمهور يخالف ذلك فعلى أقل تقدير فإنها من أوائل ما نزل وبلا ريب ولا جدال أنها نزلت قبل الأمر بإعلان أمر الرسالة ، وهي بأكملها من خلال ظاهر

(١) صحيح مسلم ومعه شرح النووي . ك / صلاة المسافرين باب (اسلام عمرو بن عبسة) حديث رقم (١٩٣٠) ، ص ٨٠٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك / مناقب الأنصار ، باب (إسلام أبي ذر رضي الله عنه) ١٣٧/٧ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح . ك / باب (سورة المدثر) ٦٧٦/٨ .

البلاغ بذاته وإقامة الحججة وإلا لكان الأمر مرفوضاً جملة وتفصيلاً .

والذي يظهر أنهم أرادوا سرية الحركة بمعنى التنظيم الدقيق لتهيئة الأجواء المناسبة، من تعليم جنود الإسلام، وتربيتهم العلمية والعملية حتى يتم البناء .

وتأسيساً على ما ذكر، فإن البلاغ المبين لم يغب عن ساحة الدعوة، بل هو مستمر ومتطور في أساليبه ووسائله في كل حين .

وفي العهد المكي كان الذي يتولى كبر الأمر صناديد مكة، فجد معهم ﷺ في إبلاغهم وإيصال صيحة الحق لهم بشتى السبل والطرق حرصاً على إقامة الحججة عليهم .

فالقرآن في مواضع عدة يؤكد هذه الحوارات وخاصة في بداية نزوله .

فعند علماء التفسير وأسباب النزول أن سبب نزول سورة «المدثر» كان بسبب اجتماع صناديد قريش وتداولهم الرأي في شأن الرسالة والرسول ﷺ<sup>(١)</sup> .

وهذا يكشف مبلغ حرص الرسول ﷺ في دعوته لهم وبلاغه المبين للرسالة في كل وقت وفي كل مناسبة .

ومن ذلك أنه ﷺ دعا أبا جهل في مرة من المرات فقال : هلم يا أبا الحكم، هلم ادعوك إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله، فقال : يا

---

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٥٦٧/٤ . والرازي . التفسير الكبير ٦٦٧/٣٠ .

محمد هل أنت منته عن سب آلهمتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت فنحن نشهد أن قد بلغت؟<sup>(١)</sup>.

فالخبر يكشف بوضوح وصول البلاغ والإنذار لهم بدقة ومعرفة إلى ما يدعون إليه؛ وماذا يريد الداعي منهم، فهو يبادر بقوله بأننا سوف نشهد أن قد بلغت، بما يدل على أن الرسول الكريم ﷺ كان في دعوته لهم المستمرة يبين بوضوح لهم أن مهمته البلاغ وإقامة الحجّة الدامغة، واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً<sup>(٢)</sup>، ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وذكر أن القائل أبو جهل وقيل غيره<sup>(٤)</sup> وشاهد ذلك أن النذارة والبلاغ المين بلغا مبلغاً بعيداً حتى ملّوا وتشبعوا فتجروا أو بهذه المقالة السفهية كأسلافهم من مكذبي الأمم السابقة.

ويؤكد ذلك ما ذكر مؤرخوا السير من حرصه ﷺ بإيصال هذا البلاغ، فذكروا أنه يدعو قومه ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً<sup>(٥)</sup>، منادياً بأمر الله تعالى لا يتقي فيه أحداً من الناس<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن كثير. البداية والنهاية. ٦٥ / ٣.

(٢) ابن كثير. البداية والنهاية. ٦٠ / ٣.

(٣) الأنفال - ٣٢ .

(٤) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٤٠٣ / ٢.

(٥) الذهبي. تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢٢٤.

(٦) ابن كثير. السيرة النبوية ٥١ / ٢.

ومع اليهود وهو صنف آخر ومحاور عنيد من أهل الكتاب يروي الصحابة - رضي الله عنهم - : «بينما نحن في المسجد خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام رسول الله ﷺ فناداهم : يا معشر يهود : اسلموا تسلموا، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ : ذاك أريد، اسلموا تسلموا، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم، قال : ذاك أريد، ثم قالها الثالثة، فقال : اعلموا إنما الأرض لله ولرسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ولرسوله»<sup>(١)</sup>.

وابن حجر في مواضع عدة في شروح هذا الحديث بين ما يدل عليه قوله، فهم فهموا وعرفوا مهمة الرسول فقالوا : «بلغت يا أبا القاسم» فقال ﷺ «ذلك أريد» أي التبليغ<sup>(٢)</sup>، فهو بلغهم ودعاهم إلى الإسلام والاعتصام به<sup>(٣)</sup>، فإن اعترفوا بالبلاغ سقط الحرج عنه ﷺ<sup>(٤)</sup>، فهدفه التبليغ وإتمام الحجة والاعتراف بذلك منهم<sup>(٥)</sup>.

وفي محاوراته الدعوية كان يقول : «اسلموا تسلموا»، ويكرر ذلك، والتكرار له علاقة بالبلاغ المبين فكثيراً ما كان ﷺ يكرر كلماته وتوجيهاته

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل . ١٥ / ص ٥١٢ ، ٥١٣ .

(٢) انظر فتح الباري ٦ / ٢٧١ .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ١٣ / ٣١٥ .

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ١٢ / ٣١٨ .

(٥) انظر : الشيخ خليل السهارنفوري . بذل المجهود في حل أبي داود ، ١٣ / ٣٢٥ ، دار

الكتب العلمية .

وعباراته حتى عنون البخاري في باب من الأبواب فقال «من أعاد قوله ثلاثاً ليفهم عنه»<sup>(١)</sup>، وهذا في كتاب العلم في أول صحيحه .

ثم روى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه كان ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً»<sup>(٢)</sup>.

وهذا له أثره في حسن البلاغ وإقامة الحجة، والتكرار له وقعه في إثارة الانتباه، والتنبيه لما يقال، ثم يتعدى إلى فهمه واستيعابه لمدة أطول ويدل على أن المدعويين تأثروا وأقروا بإقامة الحجة عليهم كون أحد الصحابة وهو يحدث عن شبهة القدر فيقول في تعليقه وسؤاله «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم، ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبههم وثبتت الحجة عليهم»<sup>(٣)</sup>.

وأبو ذر رضي الله عنه وهو من كبار الصحابة ومن تربى على يد الرسول الكريم ﷺ فسمع ووعى منه فعرف خطورة البلاغ ومهمة إيصاله، يقول «لو وضعتم الصمصامة»<sup>(٤)</sup> على هذا وأشار إلى قفاه. ثم ظننت أنني انفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها»<sup>(٥)</sup> لأمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ العلم باب (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه) حديث رقم : ١٨٨ / ١ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ العلم باب (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه) حديث رقم : ١٨٨ / ١ .

(٣) شرح الأبي علي صحيح مسلم . ١٨ / ٩ .

(٤) «السيف الصارم الذي لا يثنى» انظر ابن حجر . فتح الباري ١ / ١٦١ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (العلم قبل القول والعمل) ، ١ / ١٦٠ .

(٦) ابن حجر . فتح الباري . ١ / ١٦١ .

«وقد نكر قوله (كلمة) ليشمل القليل والكثير، والمراد به يبلغ ما تحمله في كل حال ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل»<sup>(١)</sup>.

ومعاذ- رضي الله عنه- وهو ممن حمل الأمانة والعلم يكتب حديثاً وقبل وفاته يخبر به تأثماً.

تأثماً م؟ يخاف أن يسأل يوم النشور عن هذا العلم الذي لم يبلغه<sup>(٢)</sup>.

ومن حرصه ﷺ بأن يتم البلاغ ويقوم الحجّة بشتى السبل، وبكل ما أوتي من وسيلة، فقد أوفد الدعوة والرسول إلى شتى نواحي، وأقطار الأرض، وكل مكان يستطيع أن يصل إليه؛ فلم يهب ملكاً مهيباً ولا كبيراً مستكبراً ولا رئيساً متبعاً.

وفي الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأمهم امتثالاً لأمر الله له بذلك<sup>(٣)</sup>، لإقامة الحجّة وبلاغها<sup>(٤)</sup>.

ومن تلك الرسائل الحوارية الدعوية ما جاء في البخاري أنه أرسل رسالة إلى هرقل عظيم الروم يدعو فيه إلى الإسلام وجاء في الرسالة

(١) ابن حجر. فتح الباري. ١/١٦١ (مرجع سابق).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ العلم، باب (من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، ١/٢٢٦.

(٣) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ١/٤٧٣.

(٤) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ٢/٣٢.



مانصه «من محمد عبدا لله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام؛ أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»<sup>(١)</sup>.

وحتى أهل البادية بلغتهم الرسالة أتم بلاغ، فهذا رجل من أهل البادية يأتي ويقول: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك<sup>(٢)</sup> فهم شهدوا بإقامة الحجة بوصول رسول الله ﷺ إليهم.

وضمام بن ثعلبة (رضي الله عنه) لما رجع إلى قومه قال لهم: «إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه»<sup>(٣)</sup> قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً<sup>(٤)</sup>.

ووفد عبدالقيس بعد قدومهم وتعليمهم يرجعهم ﷺ فيقول «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم»<sup>(٥)</sup>.

فيفاد مما سبق من أدلة وحوارات دعوية؛ إن البلاغ المبين هو مهمة الرسول الكريم ﷺ، وهذا توجيه للدعاة في كل وقت أن يحذوا حذوه ﷺ فيستمرون بإبلاغ الناس هذا الدين العظيم، وأن لا ييأسوا أو

(١) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٧) ، ٣٢ / ١ .

(٢) انظر المسند ٤٤١ / ١٩ .

(٣) ابن حجر . فتح الباري . ١٤٩ / ١ .

(٤) نفس المرجع السابق . ١٤٩ / ١ .

(٥) البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (٢٥) ، ١٨٣ / ١ .

يتوقفوا؛ تقاعساً، أو انتظاراً لقبول الدعوة.

وإذا كان المحاور القدوة ﷺ، يقول تعالى له موجهاً: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا يعني أنه بذل كل ما في وسعه من جهد جهيد في كل مناسبة، حتى كادت نفسه الكريمة أن تذوب، فهو المعصوم والمنزل إليه الوحي، ولكنه بشر مصطفى؛ ليكون أسوة لمن بعده، فيعي الدعاة هذا الدرس الدعوي بأن البلاغ هو ما يسألوا عنه، أما قبول الدعوة من عدمها فهذا أمره إلى الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وإذا كان الرسول ﷺ لا يستطيع ذلك فغيره من باب أولى، فيبذلوا البلاغ المبين وهو محل المسائلة والمحاسبة والقلوب أمرها إلى مصرفها.

---

(١) سورة فاطر - ٨ - .

المطلب الثالث  
دفع الشبهه



## التوطئة:

الحق واضح لا غموض ولا لبس فيه، والحق الذي جاء به محمد ﷺ أشد وضوحاً واستقامة؛ لأن الله سبحانه ختم الأديان بالإسلام وأنزل القرآن المهيم على الكتب كلها ووعد جل وعلا بحفظ هذا الكتاب الذي فيه تبيان لكل شيء وتفصيلاً.

ثم اصطفى محمداً ﷺ ورباه على عينه، ونقاه من الأدران والنقائص.

وأوحى إليه وحمله أمر النذارة، وأمره بإيصال ذلك بأبلغ وأحسن مقال وحال، فسار ﷺ كما أمره ربه جل وعلا لا يحيد عن الحق يدعو الناس إلى الله بوضوح، فبدأ وركز بالدعوة إلى توحيد الله؛ والفطرة المركوزة في النفوس؛ وميثاق الله الذي أخذه على بني آدم، والبشر بطبعهم ينفرون من النصح، وتثقل نفوسهم وتسوقهم مؤثرات شتى من هوى، وشيطان، وتأثير بيئية، فإذا عجزوا عن مقارعة الحق بالحجة والبرهان مالوا إلى الخلط واللبس، والتمثيل، فتراهم تارة يشككون في شخص الداعي، وتارة في موضوع الدعوة، وتارة في كتاب الدعوة.

وهذه هي مادة هذا المبحث، إذ يتناول المبحث أخطر الشبه الملقاة في طريق الدعوة والداعي.

فما معنى الشبه؟ وما الشبه الكبرى التي أثارها المدعوون؟ وكيف واجهها الرسول ﷺ؟.

## التعريف بدفع الشبه.

### أولاً: الدفع:

يدل في اللغة فيما يدل عليه: الاضطرار، والنهاية، والارتحال،  
والتنحية بقوة<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الشبه.

وهي في اللغة تدل على معانٍ عديدة، من أهمها وماله علاقة بموضوع  
البحث مايلي:

- ١ - إبهام الأمر واشتباؤه بغيره .
- ٢ - شبه عليه الشيء بالشيء : مثله .
- ٣ - شبه عليه دله أي لبس ، وقد جاء في القرآن ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ  
وَلَكِنْ شَبَّهُ لَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .
- ٤ - والمشتبهات من الأمور يعني : المشكلات .
- ٥ - تأتي بمعنى : الخلط والإلتباس<sup>(٣)</sup> .

### وفي الاصطلاح:

من تعريفاتها ما ذكره الجرجاني<sup>(٤)</sup> «هو ما لم يتيقن كونه حراماً أو

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: دفع، والمعجم الوسيط، مادة: دفع .

(٢) النساء- ١٥٧ - .

(٣) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة: شبه والمعجم الوسيط . مادة: أشبه .

(٤) الجرجاني . التعريفات ١٦٥ (مرجع سابق) .

حلالاً». وابن حجر ذكر نحوه<sup>(١)</sup>؛ ويلاحظ أن هذا متعلق بالأحكام؛ وهذا يختلف عن مراد هذا البحث وإن من رابط فإنه التردد والإشتباه في أمرها.

وأشار بعض الباحثين إلى أن المقصود بها: الأمور المزخرفة ظاهراً، الفاسدة باطناً<sup>(٢)</sup>.

وأقرب من ذلك لهذا الموضوع بأن مفهوم الشبهة ما يشير الشك والارتباب في صدق الداعي، وأحقية ما يدعو إليه<sup>(٣)</sup>، فيؤثر ويمنع ذلك من رؤية الحق، والاستجابة له أو تأخير هذه الاستجابة.

فالمراد إذا بدفع الشبه في هذا البحث هو:

**”تنحية كل مايؤثر ويلتبس في أمر الدعوة“.**

---

(١) فتح الباري ١/١٢٧.

(٢) د. عبدالوهاب لطف الديلمي. معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم. ١/٣٢٣. دار

المجتمع. جدة (ط: ١) ١٤٠٦هـ.

(٣) د. عبدالكريم زيدان. أصول الدعوة ٤٢٦.

## قدم الشبهه بقديم الرسالات:

بين القرآن الكريم أن أمر إثارة الشبهات قديم بقديم الرسالات ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

فما يقوله لك كفار قومك فقد قاله قوم كل رسول من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة<sup>(٢)</sup>، ففيه تسلية وتهيئة له ﷺ بأن هذا جارٍ في ماضي الزمان أو حاضره أو آتية من شيء من الكفار وغيرهم من المخالفين، ويحصل به ضيق صدر وتشويش فكر بسبب قولهم<sup>(٣)</sup>.

فإذا هي شنشنة قديمة متوارثة بين أهل الباطل، وكأنهم يتوارثونها ويتناقلونها جيل بعد جيل، وكأنهم يتواصون بها<sup>(٤)</sup>، وفعلاً يتواصون بها؛ وهذا ما حكاه القرآن مؤكداً هذا العمل فيهم؛ يقول تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُوتٌ ﴾<sup>(٥)</sup> أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴿ ٥٣ ﴾<sup>(٥)</sup>، فهذه الأقوال التي صدرت من الأولين والآخرين هل هي أقوال تواصوا بها، ولقن بها بعضهم بعضاً<sup>(٦)</sup> أليس قوم نوح يأت الرجل منهم بابنه يذهب به إلى نوح - عليه السلام -

(١) فصلت - ٤٣ - .

(٢) انظر الفخر الرازي ١١٥/٢٧ .

(٣) انظر البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٨/٦٠ .

(٤) انظر . عبدالوهاب الديلمي . معالم الدعوة في قصص القرآن ١/٣٢٢ .

(٥) الذاريات - ٥٢ ، ٥٣ - .

(٦) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٩١ .

فيوصيه أن يحذر من هذا الرجل ويقول إن أبي فعل بي كما فعلت بك يحذرني من شخصه وقوله<sup>(١)</sup>.

## وهذه الشبهات في جملتها لها اتجاهان:

الاتجاه الأول: مهاجمة الأفكار الرئيسة ومصادرها.

الاتجاه الثاني: مهاجمة الداعي بشخصه وإثارة الشبهات فيه من جميع

الجوانب.

وكثيراً ما تكون هذه الشبهات ليست صادرة عن شك في الأمر أو التباس، وإنما يقصد بها صد عامة المدعوين عن اتباع دعاة الحق، أو تصديقهم فيما يدعون الناس إليه<sup>(٢)</sup>، إذ يقوم عملهم على قلب الحقائق وتزييفها واتهام أصحاب الدعوة الحقبة بشتى التهم وهم منها براء<sup>(٣)</sup>.

وهذا العالم بأجمع حينما رأى بوادر الصحوة المباركة هب منزعجاً فجلبنوا بخيلهم ورجلهم كل حيلة ووسيلة لإجهاضها، وخاصة بث الشبه، ومنها تشويه صورة الدعاة، بشتى التهم والأباطيل والأراجيف، وهم أبعد ما يكونون عن كل شر بالنسبة لغيرهم، فأمر الشرع وتوجيه الشارع تقربهم من كل خير، ويحبونه لكل أحد وإن كرهوا وغضبوا فهو لله على المعاصي، إذ يودون أن كل إنسان يتوجه إلى ربه وينقذه الله بهم إلى النور والجنة.

(١) انظر ابن كثير. تفسير القرآن ٤/ ٤٨٥.

(٢) د. محمد عبدالله الشيباني. المجتمع الإسلامي الأول. ٤٣، دار عالم الكتب.

(٣) انظر د. سيد الشنقيطي. الرأي العام في ضوء الإسلام ١٣٨. دار عالم الكتب.

الرياض. ١٤١٠هـ (ط: ١).



وهذا ما جعل النبي ﷺ يمكث فترة طويلة في البناء والتكوين في هذه المرحلة، فحينئذ استيقظ شيطان صناديد قريش فتناظروا حولهم وتشاوروا فأحسوا بوطأة الحق على قلوبهم، وأن هذا الداعي يختلف عن غيره، كأمثال زيد بن عمر بن نفيل، وورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة.

وهذه الشبه متدرجة في خطورتها وقوتها، وهي تعني الانتباه واليقظة لدى أعداء الدعوة.

مما يعني أن أهل الحق لا يأخذهم الحماس والزهو وإن كانوا على حق، فأهل الباطل لهم وقفات في حماية باطلهم الذي به حماية لمصالحهم المزعومة.

وفي أول موقف حوارى يقفه الرسول ﷺ معلناً أمر الدعوة تتوجه له الأنظار في وقفة تأملية.

فينبري أبو لهب بلا تردد ليقطع هذا التواصل بين الداعي والمدعويين فيقول «تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ أن في هذا تصغير وتحقير للداعي وما جاء به وصرف لأنظار المدعويين فلا يهتموا لما جاءهم به.

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح. ك/ التفسير. باب (سورة تبت يدا أبي لهب وتب) ٨/

وأبو لهب يعني ما يقوله ففي مواقف لاحقة وسابقة تتغاير أساليبه في  
بث الشبه والتشويش .

ففي موقف خاص مع أقرب الناس للرسول ﷺ وقد جمعهم على  
طعام وهياهم وتهياً لدعوتهم يبادر فيقطع ذلك بقوله «لشد ما سحركم  
صاحبكم»<sup>(١)</sup>، فما النتيجة؟ قبل الدعوة والحديث «تفرقوا ولم يكلمهم  
الرسول ﷺ»<sup>(٢)</sup> .

ويحاول ثانية وثالثة ثم تمكن من كلامهم ودعوتهم؛ منافسة حميمة  
بين أهل الحق وأهل الباطل، فلم يا أهل الحق تنزؤون؟ ولم تتركون  
الميدان؟ فأنتم أحق به، إذ هدفكم الخير كله ونقل الناس من الظلمات إلى  
النور، فأعيدوا الكرة بعد الكرة، وبددوا هذه الظلمات بنور الحق المبين .

ولما تمكن الرسول ﷺ من دعوتهم يبادر أبو لهب بشبهة جديدة فيحذر  
أقربائه من تحدي العرب وأنها ترميهم بقوس واحدة دفاعاً عن باطلها  
وأوثانها<sup>(٣)</sup> .

**الزبدة المعنية :** أن الشبه ليست عبثاً بل هي تصدر بقصد وبتعمد ويراد  
بها التأثير، وليست في كثير منها عفوية وصادرة بلا بواعث ولا أهداف  
فليعلم ذلك .

ونقلة أخرى أبعد وأخطر في موضع آخر ومن فئة أخرى تختلف

(١) انظر ابن كثير . السيرة النبوية . ٤٥٨ / ١ .

(٢) نفسه والمدرك نفسه ٤٥٨ / ١ .

(٣) انظر ابن هشام . السيرة النبوية . ٢٦٠ / ١ .

مكاناً وزماناً وتختلف بواعثها، وأهدافها، فحينما تفتت الدعوة، وكثر أتباعها، وأصبح لديها كيان ودولة، تحول أهل الشر واتبعوا أساليب أكثر دهاءً ومكرًا فقد جاء في البخاري أنه في مرة مرَّ ﷺ بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وخليط من عبدة الأوثان واليهود ومعهم من المسلمين، وكان ﷺ على دابته فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال هذا المنافق قالة سوء فيها من المعاني البعيدة والمقاصد البالغة ما تغني عن كثير قال «أيها المرء إنه لأحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذينا به في مجلسنا إرجع إلى رحلك فمن جاءك فأقصص عليه»<sup>(١)</sup>.

ففي القصة تخمره الخبيث بمرور الرسول ﷺ وهذا يعني أنه يفكر كيف يصد الداعي ودعوته، ثم حسب بعد ذلك مبلغ أثر الدعوة وأين بلغ، وتابع لهذا أن في المجلس من أنصار الله ورسوله ولا بد أن ينحازوا للحق.

فعدل عن ذلك إلى هذه المقالة، فالنص يكشف بوضوح هذه العبارة الماكرة المدروسة أيها المرء فأنت إنسان من الناس لا امتياز.

وقوله فيه شكل من الحسن ولكن إن كان حقاً وهذه أكبر من الأولى فشخص الداعي شكك به أولاً ثم ثنى على كلامه فإن كان فيه من الحسن فكل يقول ويتقول ولكن المهم هل هو حق أم لا؟.

(١) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ التفسير. باب (١٥) / ٨ / ٢٣٠.

ثم أرسل قاصمة الظهر والتي تأثر بها ومنها كثير من الدعاة في السابق واللاحق ليخلو المكان من أهل الخير والحق، فيذهب ويعبث هؤلاء بخلق الله كما يشاءون .

فمما يفهم من النص أنه يقول باختصار اجلس في مكانك لا تتعداه، فمن أراد يأتيك هو، أما أن تتحرك يا محمد (ﷺ) لخدمة الحق، ولخدمة الناس، وإنقاذهم من الظلمات والنار إلى النور والجنة، فهذا الذي سنرمي في طريقك إليه كل شر وشرارة، ونلقى في طريقك الشك والشوك، وكل شبهة مؤثرة .

ونقلة إلى موقف دعوي وشبهة أكبر فأهل الكتاب أهل علم ودراية بصحة الرسالة والرسول ﷺ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وهكذا تختلف أطروحاتهم ومحاكاتهم عن غيرهم، ففي قصة وفد نجران وحضرها قسم من اليهود لبث الشك والخلط ولثلا ينصرف هذا الوفد بخير عميم .

فهذا أحد كبراء ملتهم بعد أن دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، قال : أتريد يا محمد (ﷺ) أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال : معاذ الله ، فأنزل الله في ذلك ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾<sup>(٣٢)</sup> .

(١) البقرة - ١٤٦ - .

(٢) آل عمران - ٧٩ - .

(٣) انظر جلال الدين السيوطي . لباب النقول في أسباب النزول ٥٤ . دار إحياء علوم الدين . بيروت . ط : ٢ . ١٩٧٩ م .

والنصارى يستمعون ، فإذا مما تعنيه هذه الشبهة وفي بطنها الكثير أنكم أيها النصارى اثبتوا على عبادة عيسى (عليه السلام) فما الفرق بين عبادة نبي ونبي؟ ومعرفتكم بعيسى وتعلقكم فيه أولى من غيره!! .

ولعله مما يذكرنا بخطورة هذه الشبهة ما فعله وزيراً قريش للنجاشي (رضي الله عنه) إذ قال عمرو: سأتي غدا بما يستأصل به شأفتهم!! ، وما هذا؟ يريد أن يخبر ملك الحبشة النصراني قبل بلوغ الدعوة له، أنهم يقولون في مريم وابنها ما يقولون .

والحمية للديانة أكبر عادة من الحمية لسائر المحبوبات فهذا فيلسوف الهند الشهير يفتخر بعبادته للبقرة ، وإذا سأل كيف يتصور مقام الألوهية في بقرة؛ يجيب بكل وقاحة إنني أفخر وملايين الهنود بأنا نتوجه يومياً لتقديم الطقوس الدينية للبقرة<sup>(١)</sup> .

وقد استغل خصوم الدعوة هذا السلوك الخاطيء واتخذوا منه شبهة لصد الناس عن المحاور الكريم ﷺ وأشاعوا أنعدو لأبائكم ولما يدينون ويعتقدون فأرادوا استغلال حب وتعلق العرب بأبائهم ، ونفرتهم ممن يجرؤ على المساس بأشخاصهم أو نحلهم .

الخلاصة أن هذا الموضوع يستحق الإهتمام والدراسة المتأنية في شبه أعداء الحق ، وتفحصها بدقة .

وما هذه إلا وقفات عبارة عن نماذج صغيرة لمواقف لا تعد ولا تحصى في بث الشبه التي هي كالموج واندفاعه إذا ارتفع واندفع في أشخاصها ، وبواعثها ومضامينها ، وأشكالها .

(١) انظر د. عمر الأشقر . الرسل والرسالات ، ٣٧ . مكتبة الفلاح . (ط : ٣) ١٤٠٥ هـ .

## الشبهة في عهد النبوه:

الدعوة في عهدا المكي بحكم ظروفها وطبيعتها مفتوحة على تحديات متنوعة متفاوتة، فهي انفتاح على المجتمع، لمحاورته في أمر الدعوة، وطرح التساؤلات الكبرى، حول الواقع، والمصير، والماضي، والحاضر.

الحوار في أمر توحيد العبادة وتوحيد الله ونفي كل شريك له أيا كان وفي أي مكان.

الحوار في أمر الظلم الاجتماعي بشتى أوضاعه وصوره وآثاره، الحوار حول كل ذلك وغيره بكل وضوح وقوة مع كل الفئات بلا تمييز.

وهذه المرحلة، مرحلة بناء وتكوين، وتحتاج إلى هدوء وإلى تربية متكاملة لمن آمن وصدق، ولهذا اختيرت دار الأرقم لإقامة الصلاة، والتربية والتعليم، والمقر للإستشارة.

وفي كتب السيرة قصص كثيرة تتضمن نصب قريش العداء لرسول الله ﷺ وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك.

فيرمونه ببغي وعدوان ومكر وخداع، ويرمونه بالجنون، والسحر والكهانة، والتقول والله غالب على أمره.

والقرآن أكد ذلك ونزل به، فعن الجنون ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ

الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾<sup>(١)</sup>، وفي مواضع عدة ورد ذكر ذلك من القرآن وعن السحر ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وعن الكهانة ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وقال الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلاً ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وقالوا ما لهذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواقِ لولا أنزلَ إليه ملكٌ فيكونَ معه نذيرًا ﴿٧﴾ أو يلقى إليه كنزٌ أو تكونَ له جنةٌ يأكلُ منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴿٨﴾ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴿٩﴾ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهارُ ويجعل لك قصوراً ﴿١٠﴾<sup>(٤)</sup> فيلاحظ مبلغ التركيز في هذه الشبه على شخص الداعي واختيار الأوصاف التي يطلقونها، يتناسب مع البيئة التي يعايشونها، ولذا من الملاحظ أنهم لم يتهموه بالكذب.

وهذه الصفات، واختيارها ليست جزافاً، بل بكد وكيد أمير، نادى مناديبهم فاجتمعوا عند كبيرهم، وأجمعوا أمرهم.

فعند الوليد بن المغيرة اجتمع نفر من قريش وكان ذاسن فيهم، وقد

(١) الحجر-٦ - .

(٢) الذاريات-٣٩ - .

(٣) الطور-٢٩ - .

(٤) الفرقان (٤-١٠) .

حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به ؛ قال : بل أنتم فقولوا اسمع ؛ فقالوا : نقول كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفشهم ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناه - قال ابن هشام : ويقال لغدق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وأن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، وجاء بقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحدٌ إلا حذروه إياه ؛ وذكروا له أمره<sup>(١)</sup> .

ثم نفذوا ذلك ونشروه وقالوه ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكره في بلاد العرب<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن هشام . السيرة النبوية . ١ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ١ / ٢٧٠ .



ويوضح ابن كثير رحمه الله مبلغ بلوغ هذه الشبهة فيقول في عرضه ﷺ نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى ، فلم يقبل أحد منهم ، وما يأتي أحداً من تلك القبائل إلا قالوا : « قوم الرجل أعلم به ، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه»<sup>(١)</sup> ، بل قبلت قلة منهم أن يمنعه ليبلغ رسالة ربه ؛ فجاء كبير منهم ورددهم عن ذلك محتجاً بقوله : « قومه أعلم به ! لو أنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به ، أتعهدون إلى زهيق قد طرده قومه وكذبوه فتؤونه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي ما رأيتم . . . »<sup>(٢)</sup> .

وقد أثرت هذه الشبه تأثيراً بالغاً فيمن كان يدعوهم ﷺ ، ومن ذلك ما حدث مع أبي طالب وإلحاح الرسول ﷺ عليه بأن يشهد بالشهادة فقد جاء في البخاري . . . « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال : أي عم ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيدانه بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فبلغوا ما أرادوا من صده عن الحق ، إذ قال آخر قوله « هو على ملة عبدالمطلب » وهما يقولان قبلاً « أترغب عن ملة عبدالمطلب » ، فهذه ملة عبدالمطلب الذي تعرفه ،

(١) ابن كثير . السيرة النبوية . ١٥٨ / ٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه ١٦١ / ٢ .

وتقديره، وتفديه بكل ما تملك، ولذا كانوا في سعيهم الحثيث للتشويش  
وزرع الشبه بين القبائل العربية التي تقف تفخر بأبائها كإبراً عن كابر،  
ليس لهم ذكر غير مقال آبائهم<sup>(١)</sup>.

فيأتيهم مندوب من قريش فيقول لهم إنه يسفه آباءكم وأحلامكم<sup>(٢)</sup>.  
وفي قصة الطفيل بن عمرو وخبر إسلامه، لم يتركوا شيئاً يخوفون به  
الرسول ﷺ إلا قالوه، فوصفوه بكل سوء.

ويصف بنفسه رضي الله عنه شدة تأثيرهم فيقول «فوالله ما زالوا بي حتى  
أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى  
المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمع»<sup>(٣)</sup>.

وفيما قالوه عنه: هذا الرجل قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله  
كالسحر؛ يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين أخيه، وبين الرجل وبين  
زوجه<sup>(٤)</sup>.

وابن هشام رحمه الله يروي اعتراضهم لوفد نصارى نجران حينما  
جاءوا إلى مكة والتقوا بالرسول ﷺ وسمعوا منه وتلا عليهم القرآن  
ففاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا وأمنوا به، فلما قاموا اعتراضهم  
أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم

(١) انظر ابن كثير. التفسير. ٣٦٥/١.

(٢) انظر الذهبي. السيرة النبوية. ١٥١.

(٣) انظر ابن كثير. السيرة النبوية. ٣/٣٢.

(٤) ابن هشام. السيرة النبوية. ٤٠٢/١.

من ورائكم من أهل دينكم تترتدون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم  
تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم ركباً  
أحمق منكم<sup>(١)</sup> .

فيكشف هذا الخبر أنهم إذا فاتهم المدعو قبل لقاء الرسول ﷺ  
استلحقوا ذلك بعد اللقاء وحاولوا سحب الثقة ، وإعادة الصورة المشوهة  
عن الداعي .

ولكن هيهات فالذي يأتي على علم وهدى ، أنى لهم التناول ،  
والتداول ، فعادوا بالحسرة والكسرة ، ومضى الوفد يحمل خبر الصادق  
المصدوق ، فينتشر السر والنور في الآفاق ، وبين صنف هم أهل كتاب  
وعلم يعرفون حقيقته كما يعرفون أبنائهم .

وبعد التهم الماكرة ، يبحث أعداء الدعوة وخصومها عن شبه أخرى ،  
يتناولون بها الداعي ، فمن الاستهزاء ، والسخرية ، ووصم الداعي بكل  
قبیح حاولوا أن يجروا مساومات ترغيبية ، ليشيعوا أن الداعي طامع يريد  
المال ، ويريد النساء ، ويريد الوجاهة ، والمكانة وهذه أيضاً كبيرة من  
الكبر ، وهي الداء الذي سقط به من كان حرياً أن يجتاز أشد منه .

وهذا سفيان الثوري رضي الله عنه وهو من هو يقول : «إني لألقى  
الرجل أبغضه ، فيقول لي : كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي ، فكيف بمن  
أكل ثريدهم ، وأطأ بساطهم»<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر السيرة النبوية . ٤١٣ / ١ .

(٢) أبي نعيم الاصبهاني . حلية الأولياء وطبقات الاصفياء . ١٧ / ٧ .

وهذه لها ما يبررها أما اغراءات خصوم الدعوة فتختلف قوة وشكلاً وتفاعلاً.

فقد جاء في أخبار السيرة الصحيحة قول عتبة بن ربيعة «يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر منا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا»<sup>(١)</sup>، فاختلقت الروايات في سوق هذا الإغراء من قريش حالاً، وأسلوباً، وإجابة.

وهذا يفيد تكرار هذه القصة أكثر من مرة في لقاء الزعماء مجتمعين أو بانفراد مع أحدهم كما حدث في الخبر المسوق منه: «إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ»<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ الحوار السقيم فكل شيء ذكر لكنه لم يتطرق في مجادلته في الحق الذي معه إن كان حقاً نتبعك، فهذا ليس في قدرته، واستطاعته ويعرف من ورائه، وما اتفق عليه ودبر بليل.

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ٥٠٤/١٢.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية ٢٩٣/١ وابن كثير. السيرة النبوية ٥٠٤/١. وقال الألباني: وسنده حسن إن شاء الله وذلك في تخريجه لكتاب فقه السيرة. للغزالي ١٣.

فهي شبه يريد أن يشاع أنه يريد مالاً، جاهاً، يريد نساءً، ولأنها عروض هزيلة أبعد ما يكون عنها الداعي فإن الرسول ﷺ بهدوء يتحقق من فراغه ثم يتلو على مسامعه كلام الحق فإن الأمر جد كبير فما تساوي هذه الديننا؟، وما تساوون أنتم أيها الملاء؟ وما تكونون؟ وما تكون عروضكم؟.

ولذا في سورة الشعراء ومن بداية حوار نوح (عليه السلام) مع قومه يقول بثقة ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ <sup>(١)</sup> .

المراد من ذلك أنهم أرادوا تشويه صورة الداعي بأنه يريد امتيازاً لنفسه <sup>(٢)</sup> .

وليعلم أن هذه شبهة تصدر عن وعي وإدراك فإن الرسول ﷺ لما بعث الرسل والرسالات إلى ملوك الدنيا، ووصلت رسالته هرقل ملك الروم كان من تساؤلاته التي طرحها على قوم الرسول ﷺ ليستفهم عنه قوله: «وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت ألا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه» <sup>(٣)</sup> .

فإذاً يلاحظ أن هرقل لم تصله الترہات المرفوضة ابتداءً مثل وصم

(١) الشعراء- ١٠٩- ..

(٢) والحديث عن اخلاص الداعي وتجرده وترفعه عن كل الماديات له محله، وهذا سبب رئيس من صد وصدود كثير من المدعوين، وقتنهم بسبب التعلق بما عندهم أو استغلال ذلك وإستثماره للغدر بالدعوة والداعي .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٧) ١ / ٣٢ .

الداعي بالسحر والكهانة وغير ذلك .

فهذا صاحب كتاب وعلم في دينه فلا ريب أنه لن يتأثر بهذه الشبه الحمقاء .

فالذي يراد هنا أنهم تدرجوا مرحلياً في زرع الشبه في طريق سمعة الدعوة والداعي ، فهم عرضوا عليه أن يملك أمر قريش ، وبعض القبائل العربية أرادوا استغلاله ﷺ ليملكوا أمر العرب وسيادتهم ولكن رفض ﷺ رفضاً قاطعاً مع حاجته للعون والمساندة ، وجده عبدالمطلب هو الرجل الأكبر الذي يصدر عن رأيه فمن المناسب أن يلقوا هذه الشبه في طريق الدعوة وخاصة عند أولي النهى الذين لا يصدقون الشبه الأكثر سخفاً وبعداً عن شخص الداعي الذي شاع وعرف عنه كل سمعة طيبة .

ما مضى كان فيما يتعلق بالشبه المتعلقة بشخصه ﷺ أما الشبه المتعلقة بالقرآن الكريم كتاب الله المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ والمعجزة الخالدة المتجددة .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١١١) ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٨٧) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (١٧٤) ، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ

(١) يوسف - ١١١ - .

(٢) الحجر - ٨٧ - .

(٣) النساء - ١٧٤ - .

شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>، حتى الجمادات تتأثر به ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذه اختيارات متفرقة فيها بلاغ عظيم لحقيقة هذا الذكر الكريم الذي أدهش أرباب الفصاحة والبلاغة فاحتاروا بأمره، فسمعوا ودعوا واجتمعوا ثم أرتكسوا ولم يستجيبوا ويلبوا نداء الحق، وبعد نزوله والدعوة به، تحرك الشر بهم بغية التأثير عليه والتلبس في أمره، يقول تعالى مبيناً موقفهم من القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

والشبه التي أثاروها حول القرآن أخذت أساليب عدة وتدرجت في أسلوبها من حيث شدتها وقوتها، فقريش حينما أرسلت موفدها إلى الرسول الكريم ﷺ وحاوره وقال ما يريد فلما انتهى وفرغ من طرح قوله ورأيه وطلباته، قال له الرسول ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم،

(١) النحل - ٨٩ - .

(٢) الأعراف - ٢٠٣ - .

(٣) آل عمران - ١٣٨ - .

(٤) الحشر - ٢١ - .

(٥) فصلت - ٢٦ - .

قال : استمع ، فقرأ عليه القرآن فلما رجع إلى قومه وسأله عن إجابة الرسول الكريم ﷺ قال : لا والذي نصبها بنيه ما فهمت مما قال عدا أنه قال ﴿ أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ قالوا : ويلك يكلمك بالعربية ولا تدري ما يقول؟ قال : والله ما فهمت شيئاً مما قال ، غير ذكر الصاعقة .

هؤلاء أرباب اللغة وأهلها وسحرتها فحين سمع هذه المعجزة وفي أوائل من سمعه بهته الحق المبين ، فقوة وقع القرآن على سمعه ونفسه ، حيرته وأذهلته أن يستطيع وصف ما سمعه .

وأجاب عن هذه الحقيقة بعد أن سمعوا بها وعنها موفدهم الآخر الوليد بن المغيرة فبعد كره وفره وتدبره وتقريره ، قرر أنه ليس بسحر ولا كهانة ولا جنون ولا شعر قال بعد ذلك يصفه بحق نطق بما أقر به : « إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل »<sup>(١)</sup> .

وقال عنه لمن سأله أيضاً « إن عليه لطلاوة ، وإن له لنورا وإنه يعلو وما يعلو »<sup>(٢)</sup> .

إذن معذور عتبه من حيرته الأولى ، فما هذا بكلام بشر حتى يوصف لأول سماع .

ولما غمزوه وهمزوه - يعني الوليد بن المغيرة - ارتكس ومع هذا لم يأت بجديد بل كر الرجعة على أوصافه القديمة التي نفاها ابتداءً ،

(١) ابن الجوزي . الوفا بأحوال المصطفى . ٣٢٤ / ١ .

(٢) نفس المرجع السابق والمدرك نفسه ٣٢٤ / ١ .



﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم أدبر واستكبر وتعدى ذلك فوزع رسلاً له على مداخل مكة<sup>(٢)</sup> في الموسم يصدون الناس عنه ويختارون المسميات الكثيرة والأوصاف التي لا تليق، يصفون بها الرسول الكريم ﷺ والكتاب الذي أنزل إليه .

والقرآن يقول بوصفه لهذه الحالة التي هم عليها ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، فمنهم من رماه بالسحر، ومنهم من وصفه بقول الكهان، فذلك العضين<sup>(٤)</sup>، فأكثروا البهت على القرآن ونوعوا الكذب عليه<sup>(٥)</sup>، ومنهم من قسم القرآن استهزاء به فقالوا: ذكر محمد البعوض والذباب والنمل والعنكبوت، فقال بعضهم أنا صاحب البعوض وقال آخر: أنا صاحب النمل، وقال ثالث: أنا صاحب العنكبوت<sup>(٦)</sup>.

وهذه عادة تكون الخطوات الأولى لمعاداة الحق الذي يجيء به الدعاء

(١) المدثر (٢٤-٢٥).

(٢) انظر الزمخشري . الكشاف . ٣٩٨/٢ . وابن هشام، السيرة النبوية ١/٢٦٩ .

(٣) الحجر - ٩١ - .

(٤) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٧٣٦/٢ وابن حجر . فتح الباري ٨/٣٨٣ .

(٥) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٥٩/١٠ .

(٦) ابن حجر . فتح الباري ٨/٣٨٣ .

والسخرية بما يجيئون به فالاتباع قلة وضعفة ، وأراذل وبادي الرأي .

وأسلوب آخر : سخرية بالحقائق المعروضة بهدف التشويش والتخليط لئلا يبلغ الأثر المطلوب ، فلما رأوا نبوءة كيدهم تحققت بتغلغل هذا القرآن في النفوس وازدياد اتباعه تدرجوا بالطعن فيه ، وانتقلوا إلى درجة أرفع وأبعد مدى .

وقال القرآن الكريم حكاية عنهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦) ، فلا تسمعوا له والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ (٢) .

وحينما رأوا أنه يعلو وينتشر ويتمكن في القلوب وصفوه بأنه أساطير الأولين فيقول القرآن الكريم عنهم ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣) .

فالمقام مقام محاورة ومناظرة ، فهم يحاجونك في الحق بالباطل (٤) ، ويقولون باطلاً وزوراً ما هذا الذي جئت به ، إلا مأخوذاً من كتب الأوائل (٥) .

فهم سمعوا ودعوا ولكن لم يستجيبوا لنداء الحق وسخروا ووصفوا

(١) فصلت - ٢٦ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ١٢٥ / ٤ .

(٣) الأنعام - ٢٥ - .

(٤) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ١٧٣ / ٢ .

(٥) انظر المرجع السابق نفسه ١٧٤ / ٢ .

ثم قالوا لا جديد فيما جئت به .

فما أرادوا الاهتداء وإنما أرادوا أن يكون هذا الاستماع سبيلاً للطعن فيه والسخرية منه<sup>(١)</sup>، وبلغ صلفهم أن تجاوزوا الطعن في القرآن والمجادلة فيه بالباطل إلى النأي عنه والبعد عن سماعه<sup>(٢)</sup>، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

فلما تلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله قالوا: يهزؤون به: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، يعني لا نفقه ما نقول<sup>(٥)</sup>، فقلوبنا في أغشية كثيفة<sup>(٦)</sup>، وآذاننا بها صمم لا نسمع ذلك، يريدون استثقلاً له وكرهية<sup>(٧)</sup>.

ومن ذلك ما ذكر أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً وقال: يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه<sup>(٨)</sup>.

وفي ختام الآية بيان لمبلغ حرصهم وتنافسهم على الطعن في القرآن يقول تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا

(١) انظر د. سيد الشنقيطي . وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ٢٥٣ .

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٢٥٥ .

(٣) الأنعام - ٢٦ - .

(٤) فصلت - ٥ - .

(٥) ابن هشام . السيرة النبوية ١ / ٣٢٢ .

(٦) انظر القاسمي . محاسن التأويل . ١٤ / ٢٥٥ .

(٧) انظر المرجع السابق نفسه ١٤ / ٢٥٥ .

(٨) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ١٥ / ٣٣٩ .

وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١﴾ ، أي أعمل لإلهك الذي أرسلك ،  
فإننا نعمل لآلهتنا التي نعبدھا<sup>(٢)</sup> .

وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته  
ومناوئته .

منهم من سمى لنا ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من  
الكفار<sup>(٣)</sup> .

فأمية بن خلف ونزول قوله تعالى ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُحْمَةٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
والعاص ابن وائل ونزول قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ  
لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

ثم يتعدى هذه المواقف إلى مقاومة القرآن وقوة تأثيره ، فينبري الشقي  
النضر بن الحارث بعد كل مجلس يجلسه الرسول ﷺ في مجالسه ، حيث  
يتلو القرآن ويدعو إلى الله فيتلو عليهم النضر شيئاً من أخبار رستم  
واسفنديار وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس ، ثم يقول والله  
ما محمد بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما  
اكتبها ، فأنزل الله تعالى فيه ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾<sup>(٧)</sup> يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ  
تُنَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾<sup>(٨)</sup> وَإِذَا عَلِمَ

(١) فصلت - ٥ - .

(٢) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن القرآن ١٥ / ٣٤٠ .

(٣) ابن كثير . السيرة النبوية . ٥١ / ٢ .

(٤) الهمزة - ١ - .

(٥) مريم - ٧٧ - .

مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُؤًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَقَالُوا  
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، ويلاحظ أن هذا  
الموقف أعلى رتبة فكانوا يتهمونه بأنه أساطير، أما الآن فيدعون أنهم  
يأتون بمثله وهذا ما تمثله مهاترة هذا الرجل الأفك فإنه يعقب الرسول  
الكريم ﷺ في كل مجلس يقص خزعبلاته بحقد وحرص ليشوش ما بناه  
الرسول الكريم ﷺ وواضح هدفهم الخبيث الذي استهدف زعزعة إيمان  
المسلمين وبث الشك والريب في نفوسهم.

فهم يقومون بجهد عملي مخطط لإبطال الأثر الذي تحدثه دعوة  
الرسول الكريم ﷺ، بكل ما أوتوا من حيلة ووسيلة.

وذكر ابن كثير في تفسيره أن النضر قد سافر إلى بلاد فارس وتعلم من  
أخبار ملوكهم، فلما عاد ووجد الرسول الكريم ﷺ يدعو الناس ويتلو  
القرآن، قام بمهمة التشويش هذه<sup>(٣)</sup>.

ثم ترقى هذا الأسلوب الماكر المشتبه، وبدأوا يستمعون إلى القرآن  
فيطعنون في بعض الآيات.

فهذا مجلس دعوي للرسول الكريم ﷺ مع الوليد بن المغيرة في  
المسجد وجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير  
واحد من قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر، فكلمه رسول

(١) الجاثية (٧-٩).

(٢) الفرقان - ٥.

(٣) انظر المرجع السابق نفسه . ٤٠٢/٢.

الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ 》<sup>(١)</sup>.

ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبدالله بن الزبيري حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبدالمطلب آنفاً وما قعد<sup>(٢)</sup> .

فهذا الشيطان يريد تحريضهم ليتنافسوا في الصد عن دين الله بهذه الاساليب المشبهة ، والحيلولة بين الناس وبين تلقي الحق صافياً نقياً بلا تداخلات ومؤثرات .

وقد نقض الرسول الكريم ﷺ هذه الشبه بحسب حالها من القوة والضعف في تأثيرها وانتشارها ، بالحجة الناصعة والبيان البليغ ، وأهمل ما لا يحتاج إلى رد<sup>(٣)</sup> .

ومع ذلك فإنه بعامة يتعامل معهم وحين طرحها بغاية الحلم والرفق والصبر .

والقرآن يوجهه ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالمراد هنا «يحتمل

(١) الأنبياء (٩٨-١٠٠) .

(٢) انظر ابن كثير . السيرة النبوية . ٥٢/٢ .

(٣) انظر د . توفيق الواعي . الدعوة إلى الله - الرسالة . الوسيلة . الهدف - ١٨٩ . دار اليقين . مصر . (ط : ٢) ١٤١٦ هـ .

(٤) النحل - ١٢٥ . -

بالاصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضها»<sup>(١)</sup>.

وهذا ديدنه ﷺ مع شبهاتهم، فهو يردها بهدوء ويبين صراحة هدفه وإلى ما بعث؟ وما يريد منكم، ففي نهاية مجادلة من مجادلاتهم، وبعد عروضهم السخيفة، وشبههم المتهاففة، واتهاماتهم له ﷺ يقول: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن قبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»<sup>(٢)</sup>.

فهو صلوات ربي عليه يحطم شبههم بأدق أسلوب وأرفقه وبعدم الإسفاف ومعاملتهم بالمثل.

فالمحاور يتجاوز الشبهات عديمة التأثير والواضح تفاهتها فلا يقف عندها ولا يجعلها عائقا له؛ والقرآن يؤكد موقف الرسول ﷺ من هذه الشبه على كثرتها وتنوعها فمما نزل يؤكد الشبه السابقة وعروضهم الهزيلة ما جاء في سورة الإسراء يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتُفَجِّرَ ۝٩١ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي

(١) ابن نجم الحنبلي. استخراج الجدل من القرآن الكريم. ٥٣.

(٢) ابن كثير. السيرة النبوية. ٤٧٩/١. وانظر تفسيره ٨٧/٣.

بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ  
وَلَن نُّؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا  
رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ  
بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم  
مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾<sup>(١)</sup>، فلأن هذه الشبهه ما هي إلا تعنتات  
وتعجيزات، وتصدر عن سفه، وجحود للحق، وسوء أدب مع الله،  
فالرسول مبلغ ليس بيده الاتيان بالآيات من نفسه إلا بأمر ربه، فأمره أن  
ينزله ﴿قل سبحان ربي﴾ عما تقولون علواً كبيراً، فأياته وأحكامه ليست  
تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة<sup>(٢)</sup>.

هل كنت إلا بشراً رسولاً «أي سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد  
بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته، بل هو الفعال لما يشاء؛ إن  
شاء أجابكم إلى ما سألتم، وإن شاء لم يجيبكم، وما أنا إلا رسول إليكم  
أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتم  
إلى الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن يؤكد حلم الرسول الكريم ﷺ وتجاهله الحكيم لهذه الشبهه  
الضعيفة، ورده الواضح البين الهادئ عليها.

وفي القرآن بعض ردوده فحينما وصموه بالجنون جاء في القرآن دفاعاً

(١) الإسراء (٨٩-٩٥)

(٢) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٩٧ .

(٣) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٨٩ / ٣ .



عنه وحكاية ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾<sup>(١)</sup>، أي جنون من غير أن يقابلهم على ذلك بقول خشن<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

وفي القرآن ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، «فإذا أقمت عليهم الحجة وأمرتهم بالمعروف، فجهلوا عليك فأعرض عنهم، صيانة له عليهم ورفعاً لقدره عن مجاوبتهم»<sup>(٤)</sup>.

وفي المدينة ومع تنوع الشبه؛ يتنوع أصناف المدعويين فإنك تجده ﷺ يتعامل معها بغاية الرفق والحلم، فقد مر الحوار الدعوي، وفيه ذكر الموقف السيئ والشبه التي ألقاها رأس النفاق عبدالله بن أبيّ، ومع هذا تجاهلها ﷺ لئلا تتضخم، وتأخذ حجماً لا تستحقه، فإن الداعي ينبغي عليه الحذر، إذ أن الخصم إذا كان يحمل ضغينة وحسداً، فإن علاجه يطول، فالشبهة ليست منحصرة بسوق الأدلة والبراهين، وإنما القضية تحتاج إلى دفع طويل يتطلب وقتاً وجهداً، ولذا فإن المصلحة الدعوية تقتضي أن يتجاهلها في الوقت الآني لتبقى في قدرها الضئيل، فلا ينوّل هذا المشبوه ما ألقاه من خزعبلات وترهات.

بالإضافة إلى أن هذا المنافق لم يضمن شبهة براهين وأدلة بل حاول الطعن في شخص الداعي، من تخمير أنفه أولاً، ثم التوجه إلى محاولة حصر الدعوة لمن جاء يبحث عنها حتى لا يسعى لبثها الداعي في

(١) الأعراف - ١٨٨ - .

(٢) انظر ابن نجم الحنبلي . استخراج الجدل من القرآن الكريم . ٥٤ .

(٣) الأعراف - ١٩٩ - .

(٤) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . ٣٤٦ / ٧ .

متتديات وميادين الدعوة في كل مناسبة ومكان .

«وأما اليهود فقد تنوعت شبههم ، وإن أخذت تتوجه بقوة طرحها إذ هم أهل كتاب ، وعلم سابق يعرفونه كما يعرفون آبائهم ومن ذلك أنه جاء حبرة من اليهود ، فقال : إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على أصبع والأرضين على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله ، ثم قال النبي ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) (٢) .

وهذا موقف اتجاه أمر عيسى المعتقد ، وما كل سؤال يطرح عند العامة ولذا أثر عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - قوله في سبب نزول هذه الآية « تكلمت اليهود في صفة الرب فأنزل الله الآية » (٣) .

ومثل سؤالهم عن الروح ، وهو مشهور عنهم ، ونقلوا ذلك لقريش ، وكرروا السؤال في المدينة جاء في الحوار « عن عبدالله قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث بالمدينة ؛ وهو متكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه ، فسألوه عن الروح ، فقام متكئاً على العسيب ، وأنا خلفه ، فظننت أنه يوحى إليه فقال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

(١) الزمر - ٦٧ - .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ التوحيد . باب (كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) ٤٧٤ / ١٣ .

(٣) تفسير الجلالين ، ٤٧١ .

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾<sup>(١)</sup>، فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه<sup>(٢)</sup>.

وزبدة القول أنه ﷺ كان حريصاً على إزالة الشبه التي أثارها خصوم الدعوة بما يتناسب معها في المقام، ومهما كثرت وكبرت فإنه ثابت لا يتحول عن رفقته وحلمه، لأن المحاور إذا تضعف واستفزته شبهات الخصوم؛ فإن هذا يؤثر على أسلوب تعامله، وهذا يعطي الخصم دفعة وجرأة على الاستمرار في تحطيم الداعي.

---

(١) الإسراء - ٨٥ - .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ التوحيد . باب (قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المرسلين﴾ ، ١٣ / ٤٤٠ ، ٤٤١ .

المبحث الثاني  
موضوعات الحوار النبوي

---

## توطئة:

موضوع الحوار النبوي؛ هو الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق؛ وآداب.

فرسالة الإسلام الخالدة تشمل الحياة من مبدأها إلى منتهاها، بطولها وعرضها، وتتعرض لكل ما يشغل الإنسان في حياته كلها، في أمور دينه، وديناه، وفيما يخص علاقاته مع ربه، ومع نفسه، وأسرته، ومجتمعه، ودولته ومع كل ما يربطه به رابط.

والرسول الكريم ﷺ هو المبلغ، وهو القدوة والأسوة القولية والسلوكية، والعملية؛ لما جاء في موضوعات الدعوة.

فنصوص الكتاب والسنة تشمل كل ما يدعو إليه المسلم، ما فرطت في شيء.

جاء في القرآن من النصوص التي تدل على ذلك، قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، فأخبر الله تعالى بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره؛ إما تفصيلاً وإما إجمالاً، فلم يترك جل ذكره شيئاً هملاً<sup>(٢)</sup>.

وفي القرآن جاء ذكر ذلك في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا

(١) الأنعام- ٣٨ - .

(٢) انظر القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، (٦/ ٢٤٢٠) وابن عاشور، التحرير والتنوير، (٧/ ٢١٧) (مرجعان سابقان).

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ .

وموضع يفسر مهمة الرسول والموضوعات التي تناولتها الرسالة بقوله تعالى في ذلك ممنناً بنعمه العظيمة بإرسال الرسول الكريم ﷺ مبيناً مهمته: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١) ﴿٢﴾ فتشمل دعوته الأمر بالتوحيد ونبذ الشرك، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة وتزكيتها من كل ما يعترضها من أرجاس، ويزيد بتعليمكم بوسائل الوقاية من كل شر وفساد والدعوة إلى كل أمور الشريعة، ثم يزيد بتعليم كل ماسوى ذلك من التعاليم والمواضيع المفيدة لكم من غير ما ذكر من معرفة أموال الأمم وأحوال الآخرة، فتحصل من الإستجابة إليه كل خيرات الدنيا والآخرة (٣).

وشهد الصحابة الكرام؛ بأن الرسول الكريم ﷺ بلغها كلها بأمانة وبالوفاء والتمام، ولم يفرط أو يهمل أمراً مهماً دق، وفصل ما أجمل في القرآن؛ يقول أبو ذر - رضي الله عنه - : «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما

(١) النحل - ٤٤ .

(٢) البقرة - ١٥١ .

(٣) انظر: ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ، (١/ ٢٦٧) . والماوردي . النكت والعيون ، (١/ ٢٠٨) . والرازي . التفسير الكبير ، (٤ ، ١٣٠) . والقاسمي ، (٢/ ٣٠٩) ، وابن عاشور ، (٢/ ٤٩ ، ٥٠) . ومحمد رشيد رضا . المنار . (٢/ ٢٧) .

يقلب طائر جناحيه في السماء؛ إلا ذكر لنا منه علماً<sup>(١)</sup>.

وفي حوار يهودي جاحد صاحب كتاب؛ وبين سلمان الفارسي - رضي الله عنه - جاء فيه قول اليهودي محاوراً «أني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل إنه نهانا أن يستنجي أحدنا يمينه أو يستقبل القبلة ونهى عن الروث والعظام، وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار<sup>(٢)</sup>».

يلق النووي على ذلك قائلاً: ومراد سلمان - رضي الله عنه - أنه علمنا آدابها فنهانا عن كذا وكذا والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

والذي يفهم حقيقة من الحديث: أنه علمهم كل ما يهمهم من أمور الدين والدنيا؛ ويشير إلى ذلك تكرار المشرك قوله يعلمكم، وكأنه يقول: أنه يعلمكم وما يزال يعلمكم بكل شيء حتى الخراءة.

والذي يفيد الخبران السابقان؛ أن الرسول الكريم ﷺ شمل في من موضوعات دعوته كل شيء. فإذا كان تطرق بتفصيل أحوال الأجناس غير الإنسانية؛ فكيف بما يمس الإنسان وبخاصة المسلم في كل شؤونه وشجونته، ما يتعلق بالأولى وبالآخرى.

(١) المسند، ١٦٢/٥، حديث رقم (٢١٧٧٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي. ك/ الطهارة (آداب قضاء الحاجة) ج ٢ ص: ١٥٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٣ ص: ١٥٤.

وتأسيساً على ما ذكر؛ فإن البحث لا يتجه إلى التفصيل والإسهاب، ولكنه سوف يتطرق باختصار غير مخل لما ورد، في عناوين البحث، وبخاصة أن الموضوعات حددت بمبحث قسم بين عناوينها الرئيسية، وبما يحتاجه المدعو (المُحاوَر) وبما لا يسع الداعي (المحاوِر) جهله فإلى ذلك.



المطلب الأول  
مضوعات عقدية

---

## المطلب الأول: موضوعات عقدية:

### تعريف العقيدة:

### أولاً: في اللغة:

بالعودة إلى مادة «عقد» نجد معاني عديدة من بينها ويتناسب مع المقام هنا:

١ - إحكام الفصل .

٢ - الاشتداد والصلابة .

٣ - أوكد العهود، والإلزام .

٤ - واعتقد الأمر : صدقه وعقد عليه قلبه وضميره<sup>(١)</sup> .

وهذه المعاني لعلها تفسر وتكشف الأمر بخصوص تسمية العلماء والباحثين، ما يخص أمر التوحيد بالعقيدة، فمعنى التوحيد من وحدت الله إذا اعتقدته منفرد بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبهه<sup>(٢)</sup> .

### ثانياً: في الاصطلاح:

في اللغة أفادوا منها مفرقوها بأنها «التصديق بالشيء والجزم به دون شك

---

(١) انظر: المعجم الوسيط . مادة «عقد» . وابن منظور، لسان العرب، مادة: عقد .

(٢) انظر: ابن حجر . فتح الباري، (٣٤٤/١٣) .

أو ريبة»<sup>(١)</sup>، وهذا صحيح إذ أن أمور المعتقد وحقائق التوحيد وأصول الدين، لا مجال لاجتهادات البشر فيها، أو المراجعة أو التراجع في اعتقادها أو اعتقاد صحتها.

فالمراد بالعقيدة «مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع، والفترة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويشني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها إنه يصح أو يكون أبداً»<sup>(٢)</sup>.

وتوحيد العبادة «الألوهية» هو محل الخصومة، وحوار الأنبياء مع أقوامهم كان بسببه فما قيمة إنسان بلا توجه صحيح إلى الله وحده؟ في شعوره ومشاعره وخلجات نفسه مخلصاً فقله وعمله لله بلا ند أو شريك.

---

(١) السيد سابق. العقائد الإسلامية. (٨) (ط: ٣) ١٣٩٦هـ.

(٢) أبو بكر الجزائري. عقيدة المؤمن، (١٨). دار الكتب السلفية. القاهرة. ١٤٠٥هـ، بدون رقم للطبعة.

## العقيدة جوهر الرسالات السماوية:

ولذا فالعقيدة الصحيحة جوهر الرسالات السماوية كلها، وتمثل في توخيد الله عز وجل وعبادته وحده، ونبذ عبادة ما دونه والإيمان برسول الله وما أنزل عليهم، وما أخبروا به عن ربهم من غيب كالملائكة والجان والجنة والنار والإيمان باليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب.

والقرآن يعرض هذه القضية ويؤكد لها في مواضع كثيرة في مكِّي القرآن ومدنيه

وتتكرر الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده وبنفس اللغة على لسان رسوله بياناً لأهمية العقيدة وتأكيذاً لوحدة الهدف.

فكل رسول يبعث إلى قومه يبدأ حواراً بقضية الألوهية وتوحيد العبادة.

قالها نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(١)</sup>. وهود- عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كل رسول يبعث إلى قومه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

(١) الأعراف- ٥٩- .

(٢) الأعراف- ٦٥- .

(٣) الأعراف- ٧٣- .

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢﴾ .

### الحوار النبوي في الدعوة إلى توحيد الله:

وعن محمد ﷺ جاء في القرآن: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٣﴾ ، وخبر نزول هذه الآيات بعد حوار قوي بين الرسول ﷺ وبين صناديد مكة إذ جاءوا إلى أبي طالب وطلبوا منه أن ينصفهم من ابن أخيه، فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك . قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عم؛ كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؛ فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات . قال: تقولون لا إله إلا الله؛ وتخلعون ما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم . ثم قال: يا محمد إن تجعل الآلهة، إلهاً واحداً إن أمرك لعجب» ﴿٤﴾ .

قال ثم قال بعضهم لبعض إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم بشيء مما

(١) النحل - ٣٦ - .

(٢) الأنبياء - ٢٥ - .

(٣) ص (٤ ، ٥) .

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١ / ٢ ، ٣٢ .

تريدون فانطلقوا وأمضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا<sup>(١)</sup> .

ومثل ذلك نزول آيات سورة الكافرون ففيها مفاصلة الكافرين والتبرء مما يعبدون ، إذ دعاه بعض صناديد مكة بأن يعبد آلهتهم ويعبدون إلهه فنزلت<sup>(٢)</sup> .

والرسول ﷺ كان حريصاً على أمر العقيدة يبادر بالحوار والانكار والتقريب مع من يخطيء في أمرها ، ومن ذلك في حواره لمن قالوا : اجعل لنا ذات أنواط ، وغلظ عليهم في الإنكار مع أنهم جديدون في الإسلام .

وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل صلاح ؛ ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة ، وخسئت نفوسهم بأثار تلك العقائء الفاسدة ، خوفاً من لا شيء ، وطمعاً في غير شيء ، فإذا صلح الأصل (الإيمان بالله) صلح الباقي ؛ ولأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه<sup>(٣)</sup> .

فهذه النصوص وغيرها تفيد إفادة متواترة ظاهرة على إخلاصه ﷺ في توحيد العبادة وثباته عليه في كل صغيرة وكبيرة ، فقد جاء أن رجلاً قال : «يا محمد! يا سيدنا! وابن سيدنا! وخيرنا وابن خيرنا! فقال رسول الله ﷺ : «قولوا بقولكم ، ولا يستجركم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني

(١) ابن كثير . السيرة النبوية ، (٢/١٢٣ ، ١٢٤) .

(٢) انظر : ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٥٥/٢٠ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٧٩/١ .

(٣) انظر : ابن عاشور . التحرير والتنوير . ١٩٣/٣ .

الله عز وجل»<sup>(١)</sup>

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنت سيد قريش . فقال النبي ﷺ «السيادة لله» قال: أنت أفضلها فيها قولاً وأعظمها فيها خولاً، فقال رسول الله ﷺ «ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان» .

عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»<sup>(٢)</sup> .

وكل أمر بين ﷺ أنه يقدر الله وأمره فمرة قال «لا عدوى ولا هامة ولا صفر، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله ﷺ «فمن أعدى الأول»<sup>(٣)</sup> .

وأقام ﷺ مذبح يدعو إلى الله تعالى ويبين البراهين ويرشد إلى مافي فطرهم من معرفة علم التوحيد حتى ظهر الدين وتهدمت قواعد الكفر<sup>(٤)</sup> .

ولأنهم يعتقدون بتوحيد الربوبية، فإن تحريك الفطرة وإثارة مافي أعماقها، من أهم الأساليب المؤثرة، ومن ذلك ما جاء في استماع جبير بن

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم [١٠٩٧] ٣/٨٨ .

(٢) صحيح مسلم ومعه شرح النووي (٦/٣٩٧) .

(٣) البخاري مع الفتح ك/ الطب . باب (لاهامه) حديث رقم [٥٧٧٠] ص: ٤٩٣ .

(٤) الأبي . إكمال إكمال المعلم، (٩/٥٥) .

مطعم إلى رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بسورة الطور فلما بلغ هاتين الآيتين: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَأَيُّوقُنُونَ﴾ (٣٦) ﴿<sup>(١)</sup>، «كاد قبلي أن يطير»<sup>(٢)</sup>، كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، وذلك من قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ ﴿ قيل معناه ليسوا أشد خلقاً من خلق السموات والأرض لأنهما خلقنا من غير شيء، أي هل خلقوا باطلاً لا يؤمرون ولا ينهون؟ وقيل المعنى أم خلقوا من غير خالق؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم، وذلك في الفساد والبطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق، وإذا بكل الوجهان قامت عليهم الحجة بأن لهم خالقاً.

لقد تأمل المفسرون في هذه الآية تأملات شتى في «أم» هنا وأنها ليست بمعنى «بل» وإنما هي للاستفهام، ولم يكن المشركون ينكرون أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض، وأهم ليسوا بخالقين ولكنهم يغفلون ما يترتب على ذلك من توحيد الألوهية، وهو مقتضى الاعتراف بالخالق ونعمه<sup>(٣)</sup>.

وابن تيمية - رحمه الله - جمع الأقوال وحصرها في قوله

(١) الطور (٣٥-٣٦).

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ التفسير. سورة «الطور» ٤١٥.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣١١/٤، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧٤/١٧، والرازي، التفسير الكبير، ٢٢٣/٢٨.



تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فقال «من غير رب خلقهم؛ وقيل من غير مادة، وقيل من غير عاقبة وجزاء، والأول مراد قطعاً، فإن كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق»<sup>(١)</sup>.

ثم في قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم فليدعوا خلق السموات والأرض، وذلك لا يمكنهم فقامت الحجة، ثم قال ﴿بَلْ لَأُيُوقِنُونَ﴾ فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان وهو عدم اليقين الذي هو موهبة من الله ولا يحصل إلا بتوفيقه فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه أن يطير، ومال إلى الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وفي حوار آخر يخاطبهم ﷺ من خلال هذه الفطر الكامنة في أعماقهم، واعترفهم بالمنعم الخالق الرازق، فيقدم جابر بن سليم - رضي الله عنه - للمدينة يقول: «فرأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله، فسلم ثم قال: أنت رسول الله. فقال أنا رسول الله الذي إن أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراً وفلاة فضلت راحتك فدعوته ردها عليك»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى، (١٥١/١٣).

(٢) ابن حجر. فتح الباري، (٦٠٣/٨).

(٣) صحيح سنن أبي داود. المشكاة مع شرح الطيبي، (١٥٥٤/٥).

وهذا شبيهه ما في القرآن ؛ إذ وجه تعالى إلى محاورتهم بما يقرون به في أعماق أنفسهم من ربوبيته ؛ وأنهم وقت الشدة والضيق يتوجهون إلى القادر على كل شيء .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (٣٣) ﴿<sup>(١)</sup>

وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفِكُونَ ﴾ (٦١) ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦٢) ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

فهذه النصوص الكريمة وغيرها بينت أنهم مقرون معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض ، والشمس والقمر ، وتسخير الليل والنهار ، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم ، واختلافها واختلاف أرزاقهم ؛ وهو العليم بكل ما يعلم كلاً منهم وإنما العلة كونهم يشركون معه غيره .

فإذا كان الأمر كذلك ، فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما أنه الواحد في ملكه ؛ فليكن الواحد في عبادته ، وكثيراً ما يقرر تعالى مقام

(١) الروم - ٣٣ .

(٢) العنكبوت (٦١ - ٦٣) .

الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية . وقد كان المشركون يعترفون بذلك ؛ كما كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ؛ إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك<sup>(١)</sup> .

والقرآن المكي كان ينزل بالوعد والوعيد ، وبالترغيب والترهيب لأن هؤلاء قست قلوبهم بانحرافهم عن توحيد الله .

والرسول الكريم ﷺ لذا كان إذا حاورهم تلى القرآن الكريم على مسامعهم ، لأنه يعرف علتهم ودوائهم هو التذكير الدائم بهذه المعجزة الشاملة الدائمة التي نزلت عليه ، ففيها الفرقان ، وفيها الفصل الحق .

ففي السيرة الصحيحة أن قريشاً حينما انتخبت عتبة بن ربيعة وهو من رجالها المعدودين جاءه يحاوره فابتدأ بقوله : « فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتلكم حتى نسمع قولك ، إنا والله مارأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلئى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل ؛ إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً وإن كان إنما بك الباء فاختر أي نساء قريش شئت فتزوجك عشراً » .

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٣/٥٥٨) .

فقال رسول الله ﷺ «أفرغت؟» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمَّ﴾ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يُ﴾ (٢) كِتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًّا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ (٢١١)

فالرسول الكريم ﷺ يختار في حواره الآيات التي تشمل الرد على شبههم الكبيرة التي يتناولونها في منافساتهم ومنتدياتهم ويعرف أن الرد الإلهي كاف وشاف لما في صدور هؤلاء إذ هو الذي خلقهم ويعرف مايقوم عوجهم .

(١) فصلت (١ - ١٣).

(٢) ابن كثير. السيرة النبوية، (١/٥٠١، ٥٠٢). وقال الألباني - رحمه الله - «سنده حسن».

انظر: فقه السيرة. الغزالي، فقه السيرة، ١١٣.

والناظر لهذه الآيات يعرف أنها تضمنت أموراً عظيمة ودلائل باهرة؛  
تحسم الموقف مع هؤلاء الوثنيين .

أولاً: بيان موقف الكافرين وعنادهم .

ثانياً: التنويه بالقرآن، وأنه تنزيل من الله، وعجزهم عن معارضته؛  
وهم يتهمون الرسول ﷺ باختلافه، ففي هذه السورة الكريمة تقرّيع وتوبيخ  
لقريش في اعجاز القرآن<sup>(١)</sup> .

ثالثاً: بيان وإثبات لتوحيد العبادة، وهو المراد الأكبر من هذه المقدمات،  
فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا  
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ <sup>(٢)</sup> ، الذين لا يشهدون أن لا إله إلا  
الله <sup>(٣)</sup> ثم استدل على وحدانيته بخلق السموات والأرض، وقال  
تعالى: ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا  
ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ  
فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
﴿١٢﴾ <sup>(٤)</sup> فاستدل تعالى بخلق هذه المخلوقات العظيمة، بأنه مستحق

(١) انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير، (٢٤/٢٣٥). والقرطبي. الجامع لاحكام القرآن،  
(٣٣٨/١٦).

(٢) فصلت - ٦ - .

(٣) انظر: القرطبي. الجامع لاحكام القرآن، (١٦/٣٤٠).

(٤) فصلت (٩ - ١٢).

للعبادة وحده، فتعجب موبخاً لهم من إشراكهم معه غيره في العبادة، فكيف تتخذون معه أنداداً أي أضداداً وشركاء مما خلقه<sup>(١)</sup>، وهو يخالف معناها ومؤداها في أسلوب الحياة كلها.

### الحوار مع أهل الكتاب في أمر التوحيد:

ومع النصارى ومن أوضح ذلك ما جاء في خبر أبي سفيان - رضي الله عنه - بل إسلامه مع هرقل قيصر الروم فقد أخذ شكل المحاوره<sup>(٢)</sup>.

والخبر هو عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يخبر أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ عاد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيليا، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فقال، أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذبنى فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا دون

(١) انظر: القرطبي. الجامع لاحكام القرآن، (٣٤٢/١٦).

(٢) انظر: أبو زهرة. تاريخ الجدل، (٥٥).

نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم : فقلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون : قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مده لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمسكني كلمه أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ فقلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول أعبدوا الله وحده ولا تشرکوا به شيئاً ، وأتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتني بقول قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب

على الله . وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن  
ضعفاؤهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟  
فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد  
سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط  
بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا  
تغدر . وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا  
به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .  
فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه  
خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنني أعلم أنني أخلص لتحشمت لقائه ،  
ولو عنده لغسلت عن قدمه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به وحبسه إلى عظيم بصرى  
فدفعه إلى هرقل ، فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم  
الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،  
أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين  
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ



بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (١).

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كشبة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام (٢).

والوثنيون من العرب مع أميتهم وبعدهم عن الكتب السماوية إلا أنهم شهدوا على أهل الكتاب بانحرافهم في توحيد العبادة، وغرضهم أن يستشهدوا لانحرافهم، وبأنهم ليسوا لوحدهم كذلك، إذ أنهم ما سمعوا بهذا في الملة الآخرة، «والمقصود بذلك اليهود والنصارى؛ فاليهود أشركوا بعزير، والنصارى قالوا ثالث ثلاثة» (٣).

ولذا احتجوا فيما احتجوا به حينما بين ﷺ أنه لا أحد يعبد من دون الله فيه خير، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم وما يقول محمد فقالوا: يا محمد ألسنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟ فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقول، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا

(١) آل عمران - ٦٤ - .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٧) (١/٣٢، ٣٣، ٣٤) .

(٣) انظر: ابن الجوزي . زاد المسير في علم التفسير، (٧/١٠٤) .

ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ ﴿١﴾ .

وهذا قياس فاسد، من تشبيه الأنبياء المكرمين بالأصنام المعبودة غير العاقلة، اقتضى الرد عليه فقال الله تعالى مبيناً عبودية عيسى لله ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ .

وأنه لم يدع إلى عبادة نفسه بل دعا إلى عبادة الله وحده ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾<sup>(٢)</sup> .

وسمى القرآن الكريم احتجاجهم بالجدل ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ وهذا الجدل الذي سلكوه باطل؛ وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب، ومن لغتهم «ما» لما لا يعقل، فقوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> [الأنبياء: ٩٨]، إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح ولا عزيزاً، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى .

(١) الزخرف (٥٧-٦٠) .

(٢) الزخرف-٦٤ .

(٣) الأنبياء-٩٨ .

فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى بن مريم من المثل جدل باطل ، كما قال تعالى : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ ثم قال : ﴿ إن هو ﴾ أي عيسى ﴿ إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ أي بنبوتنا ﴿ وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل ﴾ أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى<sup>(١)</sup> .

وكان ﷺ في كل سعيه وكده في الدعوة إلى دين الله ؛ يعلن ابتداءً في متديات العرب ومواردهم ، بأن المضمون المحدد والمحور الذي يتضمنه حوارهِ في دعوتِهِ هو « لا إله إلا الله » .

فقد جاء بوضوح في الصحيح إنه يقول لكل المدعويين « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »<sup>(٢)</sup> ، يقولها ليرددونها سرّاً وجاهراً ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج<sup>(٣)</sup> .

فخالف بذلك ما كان العرب عليه من عبادة ، فأحدث ذلك حركة فكرية جدلية واسعة النطاق ، وأشغلتهم حقبة من الزمن طويلة ، وبمجرد أن نادى هذا النداء صارت الجزيرة كلها تتحدث في شأنه ، وتتجادل في أمره ، بين

(١) ابن كثير . السيرة النبوية ، ٢ / ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٤ / ٣٤١ .

(٣) انظر : ابن كثير . السيرة النبوية ، (١ / ٤٦٠) .

مفكر، وموافق ومنكر ومجادل .

وتجاور هذا الأثر الجدلي ربوع الجزيرة العربية إلى الروم والفرس والحبشة، كما حدث في حوار جعفر - رضي الله عنه - مع النجاشي<sup>(١)</sup>.

### موضوع إنكار بشرية الرسل:

كانت بشرية الرسل في كل عهد انطلقت فيه محل جدل وحوار واستغراب عند الكافرين .

وليس الأمر متوقف عند بعض المعاندين والجاحدين؛ بل إنهم بأعداد لا يحصيها إلا الله، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: أبو زهرة. تاريخ الجدل، (٤١، ٤٢).

(٢) إبراهيم (٩ - ١٢).

فرسل من الله أرسلوا وبحجج واضحات بينات قاطعات<sup>(١)</sup> ومع هذا كفروا بذلك كله وبحجة بشرية الرسل .

فقال الرسل ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ <sup>(٢)</sup> فوجه الرد في هذا النص الكريم ؛ أن الرسل سلموا بالدليل مع بقاء النزاع ؛ ببيان أن محل الاستدلال غير تام الإنتاج ؛ وهو كالقول بالموجب : لأن فيه أطماعاً للخصم بالموافقة ، ثم الكر على استدلاله المقصود بالإبطال لتبيين خطأه .

وقد جاء بيان غلطهم في الاستدلال والاستنتاج من الدليل في قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

والمعنى لئن تساوينا في البشرية ، فإن المماثلة فيها لا تقتضي المماثلة في زائد عليها ، إذ أن البشر كلهم عباد الله تعالى ، والله يمين على من يشاء من عباده بما يشاء من النعم التي لم يعطها غيره <sup>(٤)</sup> .

القرآن يثبت تجدد هذه الشبهة في الدعوة المحمدية وقد أثبت القرآن ذلك

(١) انظر : ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ، (٢ / ٦٩٠) .

(٢) إبراهيم - ١١ - .

(٣) انظر : د . عبدالوهاب الديلي . معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، (١ / ٣٢٨) .

(٤) انظر : الألويسي . روح المعاني . وابن عاشور التحرير والتنوير ، (١٣ / ٢٠١) .

في مواضع عدة منها قوله تعالى مبيناً الطلبات التعجيزية التي أقترحها كفار مكة، بعدها جاء قوله تعالى عن الصلة الكامنة وراء عدم إيمانهم وإيمان غيرهم: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًَا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وبحكمة القرآن جاء الرد متناسقاً، واضحاً مستغلاً وجه استغرابهم؛ بأن أكبر الأدلة على حكمة كون الرسل بشراً، ولذا بعد الطلبات التعجيزية؛ وفي خاتمتها جاء الرد على طلباتهم التعتية فصيحاً واضحاً، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّىٰ تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الإسراء - ٩٤ - .

(٢) الأنعام - ٨ - .

(٣) الإسراء (٩٥ - ٩٠) .

فالملائكة عالم خاص ، ولو كان منهم لعادت المشكلات والأعداء تتكرر وإن تغيرت وكان لها حينئذ وقع وواقع .

ولذا في موضع آخر يقول تعالى يرد على شبهتهم تلك ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ ﴾<sup>(١)</sup> .

ثم يوضح الجواب ؛ فيحججهم تعالى بأنه قادر على كل شيء وما أنزال الكتب واصطفاء الرسل مبشرين ومنذرين ؛ بمعجزه تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) الأنعام (٨-٩) .

(٢) الأنعام (٩١-٩٣) .

## وهذه الردود الكريمة تضمنت أموراً:

١ - إنَّ من أخص وألزم صفات الرسل بشريتهم، إذ فيها تكريم لعامة البشر كون الرسل منهم؛ وفيها الرحمة العامة والحكمة من الله؛ إذ أرسل لهم من جنسهم ليفهموا عنهم ويخاطبوا على قدر عقولهم.

ولذا ردت عامة الرسل وجملتهم بقولهم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(١)</sup> فالرسالة والنبوة فضل من الله، ففي ذلك حسد على ما وهبوا، ولذا في موضع آخر وفيما يخص كفار مكة وهم محل الدراسة، قال تعالى عن حقيقة نظرته لمقام النبوة والرسالة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - إذا كان النصارى أتخذوا عيسى - عليه السلام - إلهاً وهو بشر فكيف لو كان من الملائكة لزادت شبهتهم ولعلا صوتهم بالحجة، ولذا يضرب تعالى مثلاً بأن عيسى - عليه السلام - لا يتعدى كونه بشر ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣ - وأيضاً دليل آخر يبين أهمية بشرية الرسل لثلاث تكون هناك ميزة خلقية ربانية تضحى عذراً وذريعة لاتخاذهم أرباباً من دون الله، يقول تعالى ﴿مَا

(١) إبراهيم - ١١ - .

(٢) الزخرف - ٣١ - .

(٣) المائدة - ٧٥ - .



كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدُدُّونَ ﴿١﴾ ، فالنصوص السابقة حجج لأصناف المحاورين زمن الرسالة المحمدية من الوثنيين، والنصارى ، فكلاهما جادل الرسول ﷺ في قضية عسى - عليه السلام - فسورة آل عمران كما بحثه وذكره عدد من العلماء والمفسرين أن أولها نزل في محاوره نصارى نجران للرسول ﷺ (٢) .

وأيضاً أهل مكة جرى بينهم وبين الرسول الكريم ﷺ شيء بخصوص عيسى - عليه السلام - (٣) .

- ٤ - بينت النصوص أن الناس لو كانوا ملائكة يمشون في الأرض مطمئنين لنزل عليهم من شاكلتهم وجنسهم رسلاً من الملائكة .
- ٥ - يوجه القرآن الرسول الكريم ﷺ بأن يزيل أي أوهام وشبه بخصوص كونه رسول بأنه لا يحمل أي صفة من صفات الألوهية أو الامتيازات الربانية ، بل ببساطة فإنه بشر ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (٤) . وكذا سائر الرسل والأنبياء : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ (٥)

(١) انظر السيوطي الدر المنثور في التفسير المأثور ٢ / ١٤١ - ١٤٢ ، والواحدي أسباب نزول القرآن ٩٠ ، ٩١ .

(٢) آل عمران - ٧٩ - .

(٣) انظر : ص من هذا البحث .

(٤) الكهف - ١١٠ -

(٥) الأنبياء - ٧ - .

٦ - في محاورته ﷺ مع عتبة بن ربيعة أنه بعد فراغه من كلامه قرأ عليه ﷺ أول سورة فصلت ، فما تضمنته الآيات بيان مهمة الرسول ﷺ وأنه بشر : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، أي لست مغايراً للبشر مما يخفى عليهم شخصه كالملك ، ولا يعجم عليهم مراده بصوته كسائر الحيوانات<sup>(٢)</sup> .

### موضوع إنكار البعث والجزاء:

والحوار في البعث والجزاء من الموضوعات العقدية المهمة التي أثرت في العهد النبوي وبخاصة عند الوثنيين العرب ، ومن ذلك ما جاء في الخبر «أن أبي بن خلف جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم ، وهو يفتنه ويذروه في الهواء ، وهو يقول : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال رسول الله ﷺ : نعم يبيتك الله تعالى ، ثم يبعثك ، ثم يحشرك إلى النار ، ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾<sup>(٧٧)</sup> وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾<sup>(٧٨)</sup> قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٧٩)</sup> الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴾<sup>(٨٠)</sup> أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٨١)</sup> إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(٨٢)</sup> فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

(١) الكهف - ١١٠ - .

(٢) البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، (٦/٥٥٢) .

شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (٢٧١).

وفي البخاري أن خبَّاب بن الارت - رضي الله عنه - يقول: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده. فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ. فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم. قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَّوَلَدًا﴾ (٣)» (٤).

ففي الخبر الأول إنكار صريح للبعث وعن فكر مسبق مقصود إذ جاء بعظم بال معه تأكيداً لشبهته، واعتقاده ذلك، وفي الخبر الثاني، فيه حوار بين أحد الصحابة وأحد الكبراء من خصوم الدعوة المعاندين، وتبين من فحوى الحوار أنه يستبعد الإعادة.

ونصوص قرآنية وردت مجملة بيان حال بعضهم، واستبعاد الحشر بلا مبررات: ﴿وَقَالُوا أَنذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠) (٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنذَا كُنَّا عِظَامًا وَّرَفَاتًا أَنْنَا﴾

(١) يس (٧٧-٨٣).

(٢) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٦٧.

(٣) مريم - ٧٧ - .

(٤) البخاري مع الفتح ك/ التفسير. باب (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً) ٨/

٤٢٩.

(٥) السجدة - ١٠ - .

لَمَّبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾<sup>(١)</sup>، ومما جاء حكاية عن الأخلاء إذ يقول أحدهم للآخر: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَّبَعُوثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن جملة الآيات المثيلة لها يتضح أن المقام كان مقام محاورة ومناظرة منهم للداعي بأن ذلك يستحيل.

مما يدل أن هذه الشبهة قد بلغت في نفوسهم مبلغاً كبيراً أن آي القرآن الكريم قد تظاهرت ببراهين فطرية وعقلية تدحض هذا الإنحراف العقدي بأساليب عديدة.

فالقرآن الكريم يوجه الرسول الكريم ﷺ بأحسن الطرق لبحث هذه القضية وركز على منهجين رئيسين:

الأول: ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بالله تعالى.

الثاني: ما تقرره العقول السليمة المستقيمة المهتدية بالفطرة القويمية.

ولبعث النفوس وتحريك الفكر القويم، للإيمان بهذا الأصل الاعتقادي، جاء القرآن بأساليب متنوعة في هذه المسألة وهي:

أولاً: الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم ليكونوا شهداء على المنكرين في زمان هؤلاء وعبرة لمن بعدهم.

(١) الإسراء - ٤٩ - .

(٢) المؤمنون - ٨٢ - .

ومن ذلك ما حصل لبني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١) .

وقصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (٢) .

وسؤال إبراهيم - عليه السلام - عن كيفية إحياء الموتى وقصة أصحاب الكهف ، وعيسى عليه السلام وإحيائه الموتى بإذن الله وغير ذلك من الأدلة الماثرة في القرآن الكريم وهي من الأدلة المادية الحسية وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية وقد أخبر الله سبحانه رسله بصفة البعث وهذه أمور حاورهم فيها صلوات الله عليه إذ أوصت أحبار يهود المشركين بأن يسألوا الرسول ﷺ عن أمور من ضمنها تساءلهم عن أصحاب الكهف (٣) .

وفي ثنايا خبر الذي مرّ على قرية جاء قوله تعالى : ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ ، فقد أدخل الواو في قوله ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ﴾ دلالة على أنها شرط لفعل

(١) البقرة (٥٥-٥٦) .

(٢) البقرة - ٢٥٩ - .

(٣) انظر ابن كثير . السيرة النبوية ١ / ٤٨٤ .

بعده معناه ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ ، ودلالة على البعث بعد الموت جعلنا ذلك<sup>(١)</sup> .

ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى : ومن أوضح الأدلة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾<sup>(٢)</sup> .

فالأولى أن يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة وهو أسهل : ﴿ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً: خلق الله الأكوان الكبرى دليل على أن أمر البعث أيسر وأسهل ، فبعد شبهة أبي بن خلف ذكر القرآن بأنه ضرب المثل ونسي نفسه ، جاء ذكر ما هو أكبر من خلقك أيها الإنسان الضعيف ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٩٤ .

(٢) يس (٧٨-٧٩) .

(٣) ق- ١٥ .

(٤) يس (٨١-٨٣) .

رابعاً: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها، وهو كثير كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٧) (١).

خامساً: حوارهِ ﷺ مع أبي رزين العفيلي - رضي الله عنه - إذ يقول: «قلت يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ قال: أما مررت بوادٍ محل ثم مررت به خضراً؟ قال: بلى. قال: فكذلك النشور. أو قال: كذلك يحيي الله الموتى» (٢).

ومن الآيات التي تدل على إنكارهم للبعث، وأنهم يحاورون الرسول ﷺ في أمره ما جاء في قوله: ﴿وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩) ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ (٥٠) ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٥١) (٣).

فجملته ﴿قل كونوا حجارة﴾ غير معطوفة جرياً على طريقة المحاورات (٤)، فالمعنى: قل لهم يا محمد (٥): كونوا على جهة التعجيز حجارة أو حديداً في

(١) الأعراف - ٥٧ - .

(٢) مسند الطيالسي، ص: ١٤٧، وذكره ابن كثير في تفسيره، ١/١٠٧، ١٠٨.

(٣) الإسراء (٤٩ - ٥١).

(٤) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير، ١٥/١٢٥.

(٥) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٣/٦٣. والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٧٤.

الشدة والقوة؛ أو حتى أكبر من ذلك أو خلقاً مما يكبر في صدوركم  
«كالسماوات والأرض والجبال لعظمتها في النفوس»<sup>(١)</sup>.

### موضوع حقيقة الروح:

وموضوع الروح من الموضوعات العقدية العويصة، وبدأ الحديث بها  
وعنها في بواكير الحوارات النبوية، فقد أرسلت قريش ممثلة في صناديدها  
سفراء لها إلى يثرب وهما النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط<sup>(٢)</sup>،  
فكان من ضمن التساؤلات التعجيزية التي وجهوها له ﷺ السؤال عن  
الروح<sup>(٣)</sup>؟ وكذا اليهود بالمدينة كرروا مباشرة معه السؤال عن الروح؟.

فما الروح؟، إن الحديث عن الروح من الأمور الغيبية، والتي كانت  
مزلقاً للكثير من أصناف الناس المتكلمين والمتفلسفين حتى ضلوا وأضلوا  
وما وصلوا للتائج مسلمة يقينية عن حقيقة الروح وماهيتها، لأن العقول  
قاصرة عن بيان ذلك «فلا تعرف للروح كيفية معينة، ولا حقيقة مدركة،

(١) انظر القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٧٤ .

(٢) انظر ابن كثير . السيرة النبوية ، ١ / ٤٨٣ .

(٣) وفي ذلك لفتة إذ أن الحوار النبوي في العهد المكي حرك وأثار قضايا مهمة، واهتمام في  
مضامين الدعوة، يشير إلى ذلك هذا الفعل من قريش، فهذا ترقى وتطور في فعاليات  
المناظرات بينهم وبين الرسول الكريم ﷺ، فسؤال عن أمور غيبية، وشخصيات مضت لها  
ماض مؤثر ومواقف صالحة، فلا ريب أن في ذلك حركة فكرية فاعلة لدى المدعوين وانتقال  
إلى التفكير في أمر الدعوة، مما يدعو إلى النظرة التأملية الفاحصة لما يحمله الداعي من خبر .



غير أنها تذهب وتجيء، وتصعد وتهبط، وتدخل وتخرج، وهي حية عالمة قادرة سمیعة بصيرة»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك مما ذكر من صفاتها من خلال النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية<sup>(٢)</sup>. فقد اختلفوا اختلافاً كبيراً في ماهيتها فمنهم من قال إنها هي الدم، وقال قائل هي نفس الحيوان، وقال آخرون هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الإنسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطب والعلم والعلو والنقاء ألا ترى إنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات، وإذا خرج منه ذهب الكل<sup>(٣)</sup>، وقد أثر إن ابن عباس - رضي الله عنهما - الإمام في العلم والفقه وحبر هذه الأمة أنه كان لا يفسر الروح أي لا يعين المراد بالروح<sup>(٤)</sup>.

وعن ذلك جاء في الصحيح «قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن تيمية. الرسالة التدمرية ٣٧. مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (ط: ٢) ١٤٠٠هـ. الرياض.

(٢) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ٣٠٢/٩.

(٣) انظر أبي العلاء. المباركفوري. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ٥٧٦/٨.

(٤) انظر ابن حجر. فتح الباري ١٠٢/٨.

(٥) الإسراء - ٨٥ - .

وأيضاً في المدينة يكرر اليهود بحوار شفهي مع الرسول ﷺ هذا السؤال ليستأنفوا الحوار في أمر الروح «عن عبدالله قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ؛ في حرث بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم : لو سألتموه، فقال بعضهم لا تسألوه فإنه يسمعكم ماتكروهون، فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح . فقام النبي ﷺ ساعة، ورفع رأسه إلى السماء فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي، ثم قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) (٢).

وهذا يطرد على كثير من المسائل الغيبية، إذ يجيء الجواب من السماء مزيلاً الغشاوة في أمور الغيب، وملجماً لهم ببيان قصور علمهم عن أمور أوضح وأسهل من ذلك مما يدل بأن البشر قاصرون في علمهم، فيوجهون لما هو أوجه وأولى من الخوض فيما ينحسر وينكسر العقل البشري عنده وكان الرسول ﷺ يوجه الصحابة إلى الحرز المكين إذا تجاوزت الأفكار حدودها، يقول ﷺ «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء؟ فيقول الله عز وجل . فيقول : من خلق الأرض؟ فيقول : الله . فيقول : من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم بشيء من هذا فليقل أمنت بالله وبرسوله» (٣)، فالتهيئات فسيحة الجنبات، فلو ترك الإنسان لها العنان لعبثت به وذهبت به

(١) الإسراء - ٨٥ - .

(٢) صحيح سنن الترمذي باختصار السند ٦٩/٣ .

(٣) المسند مع الفتح ٤٦/١ .

كل مذهب، فهذا الرد الإلهي في أمر الروح من حكمه اختبار الخلق  
ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطروهم إلى رد العلم  
إليه<sup>(١)</sup>، فهي من جملة أمر الله وأن يكون المراد أن الله اختص بعلمه ولا  
سؤال لأحد عنه<sup>(٢)</sup>.

وهذا توجيه للمحاور بأن لا يستغرق في حديثه ويتعالى وأن يمك  
ويتأدب بأدب النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر ابن حجر . فتح الباري ٨ / ٤٠٣ .

(٢) انظر نفسه ٨ / ٤٠٣ .

(٣) انظر نفسه ٨ / ٤٠٣ .

**المطلب الثاني**  
**موضوعات تشريعية**

---

## المطلب الثاني: الموضوعات التشريعية:

### ١ - التعريف بالتشريع:

والشريعة في أصل الاستعمال اللغوي: مورد الماء الذي يقصد للشرب، ثم استعملها العرب في الطريقة المستقيمة، حيث أن مورد الماء سبيل الحياة والسلامة للأبدان وكذلك الشأن في الطريقة المستقيمة التي تهدي الناس إلى الخير ففيها حياة نفوسهم وقولعهم، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) (١) (٢).

فالشرع نهج الطريق الواضح<sup>(٣)</sup> فإذا محور الدلالات لهذه النقلة في اللغة تدل على غاية الوضوح والظهور والبيان.

وعند المفسرين يقول ابن كثير «الشرعة والشريعة ما ابتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه»<sup>(٤)</sup>.

في الاصطلاح يقول ابن تيمية<sup>(٥)</sup> «تنتظم كل العقائد والأعمال».

(١) الجاثية - ١٨ - .

(٢) انظر: مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي ١٣، مكتبة المعارف، الرياض. (ط: ٢) ١٤٧٧هـ.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن.

(٤) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، (٤٨: المائة).

(٥) مجموع الفتاوى ٣٠٦/١٩.

ويذكر بعضهم أنها «ما شرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية، ودون لها علم الفقه، أو بكيفية اعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية»<sup>(١)</sup>.

وابن تيمية يذكر أن الفقهاء المتأخرين في زمانه خصوا الشريعة بالأحكام الشرعية العملية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) التهانوي . كشف اصطلاحات الفنون ٣/٧٥٩ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٩/١٣٤ .

## التشريع في الحوار النبوي:

التشريع الإسلامي ناحية من النواحي الهامة التي انتظمتها رسالة الإسلام؛ والتي تمثل الناحية العملية من هذه الرسالة.

والتشريع في أمور الدين المحضة - كأحكام العبادات - لا يصدر إلا عن الوحي بشقيه (الكتاب والسنة)؛ فكانت مهمة الرسول ﷺ لا تتجاوز دائرة التبليغ والتبيين ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) ﴾ إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَىٰ ﴿ (٤) ﴾ (١) ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ (٤٤) ﴾ (٢) (٣).

أما ما يتصل بأمور الدنيا من التشريع؛ من قضائية، وسياسية، وحرية، واجتماعية، فقد أمر الرسول ﷺ بالمشاورة<sup>(٤)</sup>، وفتح المجال فيها لتداول الرأي ومراجعته، ومن الأدلة على ذلك ما جاء في حوار بين الرسول الكريم ﷺ وبين السعديين؛ إذ أراد ﷺ التخفيف من شدة الائتلاف ضد المسلمين، فأراد أن يهادن غطفان بغية انسحابهم فوعدهم بثلاث تمر المدينة، فطلبوا شطره، فعرض ﷺ ذلك على سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، فكان الحوار التالي:

قال ﷺ لهما: «إن عيينه قد سألني نصف تمر نخلكم على أن ينصرف

(١) النجم (٣-٤).

(٢) النحل - ٤٤ - .

(٣) انظر: السيد سابق، فقه السنة، (١١/١)، دار الكتاب العربي، (ط: ٢) ١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه، (١١/١).

وإني أعطيته الثلث وأبى إلا النصف فما تريان؟ . فقالا : يا رسول الله إن كنت أمرت بشيء فافعله، فقال رسول الله ﷺ: لو أمرت بشيء لم استأمر كما فيه، ولكن هذا رأيي أعرضه عليكما. قالوا: فإننا لا نرى أن نعطيهم إلا السيف. فقال رسول الله ﷺ: فنعم»<sup>(١)</sup>.

فواضح من هذا الحوار الكريم حدود الحوار في أمور الحرب والدنيا، فتأدب جم من الصحابة الكرام في مضامين حوارهم، والبدء بالتأكد من فتح المجال لهم ومشاورتهم ووقوفهم عند أوامر الشارع.

إذا فإن المشاورة والمراجعة ضبطت بضوابط الشرع ولذا وجه الشارع إلى النهي في البحث بما لم يقع من الحوادث، وكثرة التساؤلات التعنتية والتي لا يترتب عليها فائدة ظاهرة في دين أو دنيا، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحرص الشارع بأن يوجه المسلمين إلى نبذ الفرقة والخلاف في الدين، التي تبين أهمية الاجتماع والاتلاف، وتنهي عن التنازع والاختلاف.

(١) ابن هشام. السيرة النبوية، (٣/٢٨٩)، وأبو عبيد، الأموال، (٢٣٥). وأبي عبد الله محمد بن فرج المالكي، أفضية رسول الله ﷺ، (٢٣٨)، دار الكتاب اللبناني، (ط: ٢) ١٤٠٣هـ.

(٢) المائدة - ١٠١ - .



﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وغيره من النصوص .

ثم إذا حدث ذلك وتسلسل وعبر هذه الضوابط وزاد الخلاف وبلغ حده وتنازع الناس فمرد ذلك إلى الله وإلى الرسول ﷺ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فدللت الآية الكريمة؛ أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام؛ فحكمه إلى الله وحده لا إلى غيره، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لا نزاع فيه<sup>(٤)</sup> فالإشراك في حكمه كالإشراك في عبادته ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

وهذه حدود بينها الشارع لحكمة بالغة؛ ليسير الناس وفق ذلك فيسعدوا في الأولى والأخرى، ولا تتلاعب بهم الأدواء والأهواء، فترمي بهم إلى كل تهلكة .

(١) الأنفال - ٤٦ - .

(٢) النساء - ٥٩ - .

(٣) الشورى - ١٠٠ - .

(٤) انظر: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧/ ١٦٢).

(٥) الكهف - ٢٦ - .

(٦) انظر: المرجع السابق نفسه، (٧/ ١٦٢).

والحوارات النبوية الدعوية حددت درجات الأهمية والإلزام لكل شعيرة، فمن العهد المكي قد برزت مكانة الصلاة والزكاة.

فالصلاة من بداية الدعوة الكريمة؛ ولها مقامها ومكانتها إذ جاء في كتب السيرة ما كان من جبريل وتعليمه للرسول ﷺ الطهارة والصلاة<sup>(١)</sup>، وتناقلت الأخبار صلواته بخديجة وعلي - رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>، وفي القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾<sup>(٣)</sup> لماذا، ﴿إِنَّا سُنَّلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً ﴿٦﴾ إن لك في النهار سبْحًا طويلاً ﴿٧﴾ واذكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

فأمر الرسالة، ووقع الوحي، ومجئ جبريل - عليه السلام - هذه الأمور لم ير مثلها ﷺ، ولا يقدر على الثبات في هذه المواطن إلا المرسلون،

(١) انظر ابن كثير . السيرة النبوية، (١/٤٢٧).

(٢) انظر ابن كثير . السيرة النبوية، (١/٤٢٩).

(٣) المزمّل (١ - ٤).

(٤) المزمّل (٥ - ٨).

وورثتهم<sup>(١)</sup>، ولشدة ذلك كانت أول و أولى الوسائل وسيلة الصلاة ويتلازم معها القرآن، وهذا يفسر شيئاً من ارتباط قراءة القرآن في كل صلاة.

فبداية السورة أمر بالقيام بالعبادات المتعلقة به<sup>(٢)</sup>، وبتكوينه، وإعداده الروحي لتحمل أعباء الدعوة، وما يلاقيه الدعاة من عنت ومشقة، وألم وحزن على حال الناس.

إذ ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه السورة الكريمة بعد حوار ودعوة أكيدة دؤوبة مع كبار العناد في مكة فعاد حزينا متألماً مرتاعاً فنزلت هذه الآيات الكريمة<sup>(٣)</sup>، تحثه على الاستمرار وتدله على الوسيلة الفاعلة المعينة في حمل وتحمل أعباء الدعوة، والتجافي عن المضاجع ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقد اختار هذين النصين الإمام ابن كثير - رحمه الله - لمناسبتهما لمقام الدعوة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٩٧٧). وابن هشام، السيرة النبوية ١/ ٢٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه، (٩٧٧).

(٣) انظر: ابن كثير . تفسير القرآن العظيم، (٥٥٨/٤).

(٤) السجدة - ١٦ - .

(٥) الإسراء - ٧٩ - .

(٦) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٥٨/٤).

ومن أخبار الحوار في الصلاة ما جاء في خبر أبي سفيان - رضي الله عنه - قبل إسلامه مع هرقل ملك الروم جاء فيه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - «حدثني أبو سفيان في حديث هرقل فقال : يأمرنا - يعني محمد ﷺ - بالصلاة والصدق والعفاف»<sup>(١)</sup>، ففي هذا إشارة إلى فرضية الصلاة قبل الهجرة في مكة وقد شرعت<sup>(٢)</sup>.

الحاصل من مجموع ذلك تواتر الأخبار؛ التي تبين أهمية ومكانة شعيرة الصلاة في الدعوة.

والزكاة أيضاً جاء ذكرها وورودها في أول الحوارات النبوية في مكة وهذا واضح في حوارهِ ﷺ مع عتبة بن ربيعة إذ جاء وحاوره فلما فرغ قرأ عليه الصلاة والسلام أول سورة «فصلت» وجاء من الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾<sup>(٣)</sup> وعلى ما تردد في عبارات المفسرين؛ في مسألة وقت فرض الزكاة، وهل هم أهل زكاة أم لا؟ وكونهم يبخلون بزكاة أموالهم؟ فإن الثابت عند الجمهور من المفسرين وعلى رأسهم ابن جرير أن المعني بها

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الصلاة . باب (كيف فرضت الصلاة في الإسراء)، (١/٤٥٨).

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، (١/٤٦٠).

(٣) فصلت (٦ - ٧).

الزكاة؛ ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره<sup>(١)</sup>. وأضاف معللاً ومبيناً ليخرج من هذا الاختلاف في أمرها فقال «لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة؛ إذ كان مأموراً به في ابتداء البعثة لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وأما الزكاة ذات النصب والمقادير، فإنما بين أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعاً بين القولين<sup>(٣)</sup> وتابعه ابن عثيمين - حفظه الله - في ذلك وهو يذكر المراحل التي مر بها فرض الزكاة<sup>(٤)</sup>.

أما الصوم والحج، فقد تأخر ذكرها، ولمكانتهما فإنهما من أركان الإسلام الخمسة، ففي الحوارات النبوية اللاحقة جاء ذكرها جميعاً، ومن ذلك ما جاء في حوار دعوي «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ خمس صلوات في اليوم واليلة. فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا. إلا أن تطوع. قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان. قال: هل عليّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع. وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/١١٧).

(٢) الأنعام - ١٤١ - .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٤/١١٨).

(٤) انظر: زاد الداعية إلى الله، (١٨).

(٥) البخاري مع الفتح. ك/ الإيمان. باب (الزكاة من الإسلام)، (١/١٠٦).

وواضح في هذا الحوار أنه لم يذكر الحج، لتأخر فرضه عن ذلك أو أنه داخل في شرائع الإسلام إذ ذكره في رواية أخرى في كتاب الصوم جاء في ذلك «فأخبره ب شرائع الإسلام»<sup>(١)</sup>.

ففي ذلك إثبات لهذه الأمور التي هي أصول الشريعة وأكبرها وفي رواية أخرى عنه أنه جاء ذكر الحج جاء فيه «إن علينا حج البيت ممن أستطاع إليه سبيلاً؟ قال: صدق»<sup>(٢)</sup>.

وذكر المحدثون أن الرجل هو ضمام بن ثعلبة - رضي الله عنه - وخاصة إنه تكرر نفس الحوار في رواية أخرى مع اختلاف في اللفظ عند البخاري<sup>(٣)</sup>، فرجع رضي الله عنه إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام بشرائعه كما علمه الرسول فأسلم جميع قومه من رجال ونساء<sup>(٤)</sup>.

والذي يظهر من الحوار أن الرسول الكريم ﷺ كان يبعث سفرائه ورسله

---

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الصوم . باب (وجوب صوم رمضان)، (١٠٢/٤).

(٢) صحيح مسلم، ك/ الإيمان، باب (السؤال عن أركان الإيمان) حديث رقم [١٠٢] ص: ٦٨٢.

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (ما جاء في العلم، وقوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾)، (١٤٨/١).

(٤) انظر: ابن حجر . فتح الباري، (١٤٩/١). ومن اللافت للنظر أنه لم يذكر ركن الشهادة والدعوة إلى التوحيد هنا، وبصرف النظر عن الخوض في توجيهات أهل العلم بخصوص هذا الأمر، فإنه مما يدل على صحة تقسيم هذا البحث، بالبداية بالحديث عن أمور العقائد ثم ما يتعلق بالتشريع والأخلاق.

إلى الناس، يبلغون الدعوة، ويخبرون بشرائع الإسلام، ويتدرجون في تبليغها، كما في بعثه معاذاً - رضي الله عنه - إلى اليمن يقول ﷺ «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب؛ فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup>.

فهو بهذا رتب أولويات الدعوة إلى أصول الدين؛ فبعد الشهادتين الدعوة إلى الصلاة، ثم إلى الزكاة، وهذا من البداءة بالأهم فالأهم<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ من خلال النصوص النبوية، أن الشارع إذا تحدث عن الأركان لم يخل الشارع منه بشيء؛ كحديث ابن عمر «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري مع الفتح. ك/ الزكاة. باب (أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا)، (٣/٣٥٧).

(٢) انظر: ابن حجر. فتح الباري، (٣/٣٥٩).

(٣) البخاري مع الفتح ك/ الإيمان، باب (دعواؤكم إيمانكم)، (١/٤٩).

أما إذا كان الدعاء إلى الإسلام، اكتفى بالأركان الثلاثة؛ الشهادة، والصلاة، والزكاة؛ ولو كان بعد وجود فرض الصوم، والحج، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾<sup>(١)</sup> في موضعين من براءة مع أن نزولها بعد فرض الصوم والحج قطعاً؛ ومثل ذلك حديث ابن عمر أيضاً «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»<sup>(٢)</sup>.

ومن يتأكد ترتيب الأولويات بحسب موضوع الدعوة، وبحسب حاجة المدعو، فأركان الإسلام اعتقادي، وهو الشهادة وبدني وهو الصلاة، ومالي وهو الزكاة.

وقد اقتصر في الدعاء إلى الإسلام عليها لتفرع الركنين الأخيرين عنها؛ لأن الصوم بدني محض، والحج بدني مالي.

والأصل في الدعوة هي كلمة الإسلام، وهي شاقة على الكفار، لما فيها من هدم لمسلمات قائمة لديهم ولمخالفتها لما ألفوه وربوا عليه؛ والصلوات شاقة لتكررها خمس مرات في اليوم، والزكاة شاقة لما في جبلة الإنسان من حب المال.

---

(١) التوبة - ٥ - .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ الإيمان . باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)، (١/ ٧٥).



والحاصل أن الإنسان إذا أذعن لهذه الثلاثة وتقبلها؛ كان ما سواها أسهل عليه بالنسبة لها<sup>(١)</sup>.

وتبين مما سبق ارتباط الشريعة بالعقيدة، فالتوحيد هو الأساس والشريعة تبع له وثمره من ثمراته، والتوحيد أول وأساس كل عمل وكل فرع يتفرع من أمور الدين التي لا تعد شرائعه ويدل على ذلك قوله ﷺ «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمارة الأذى عن الطريق» الحديث<sup>(٢)</sup>، وصحة التوحيد شرط في قبول تلك العبادات، بل أن تلك الأعمال لا تسمى عبادة، إلا مع الإيمان. كما أن الصلاة لا تسمى صلاة؛ إلا مع الطهارة<sup>(٣)</sup>.

فهذه الأركان هي أصول الشريعة، والتي يدعى إليها ويبيع عليها، وما سواها فهي من فروع الدين يدعى إليها بحسب الحاجة. يقول ابن حجر معلقاً يبين علة الاهتمام بهذه الأصول وموقع غيرها «وكان ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة، لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة، لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: ابن حجر. فتح الباري، (٣/٣٦١).

(٢) صحيح مسلم. ك/ الإيمان. باب (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان).

(٣) الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٧/٢).

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري، (٢/١٨٨).

وهذه الأصول الشرعية هي الأسس واللبنات الأولى لبناء الدين حتى يتكامل، وبعد هذا يأت دور المعاملة، وهي تنبني على تكوين أصول الأخلاق الحميدة في الإنسان من الصدق والعدل وأداء الأمانة والعفة<sup>(١)</sup>، ولا يخفى مبلغ حاجة الفرد إليها ليقوم بالفرائض والواجبات، وليحسن التعامل مع الحق والخلق، ولإرتباطها الموضوعي بالموضوعات السابقة ففي الحوار المكتوب مع هرقل عظيم الروم حينما سأل محاوراً أبا سفيان ماذا يأمركم؟ فأجابه يقول: أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واركبوا ما يقول أبأؤكم، وبأمرنا بالصلاة والصدقة، والعفاف، والصلاة...<sup>(٢)</sup>، وغير خاف أن المعاملات لا تخرج عن هذا الأصل.

---

(١) انظر: د. أحمد إبراهيم، الأخلاق في الإسلام ١١٩، ود. محمد عبدالله دراز. دستور الأخلاق في القرآن ٨٨.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي، باب (٧)، (١/٣٢).

## خصائص التشريع في ضوء الحوار النبوي:

### أ - التدرج في التشريع:

جاء النبي (ﷺ) والعرب قد استحكمت فيهم عادات منها ما هو صالح للبقاء، ولا ضرر منه على تكوين الأمة، ومنها ما هو ضار يريد الشارع إبعادهم عنه فاقتضت حكمته أن يتدرج بهم شيئاً فشيئاً.

تقول أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده<sup>(٢)</sup>.

ففيه إشارة إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل؛ وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد؛ والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار؛ فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها» وذلك لما

(١) القمر - ٤٦ - .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ فضائل القرآن . باب (تأليف القرآن) ٣٩ / ٩ .

طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف<sup>(١)</sup>.

وفي قولها- رضي الله عنها- «لقد نزل بمكة . . إلخ أشارت بذلك إلى ما ظهر من الحكمة، فمن المعلوم أن سورتي البقرة والنساء أشتملتا على كثير من الأحكام<sup>(٢)</sup>.

وفي خبر معاذ- رضي الله عنه- إذ أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن داعياً ومحاوراً صنفاً من أبرز أصناف المدعويين وهم أهل الكتاب.

فهذا الحديث فيه توجيهات في أصول الحوار؛ ولا شك أنه يبين درجات الدعوة مع هؤلاء؛ إذا جادلوا في أمر الدعوة وموضوعها.

جاء فيه «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب؛ فإذا جئتهم فأدعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم؛ فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم؛ واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(٣)</sup>،

(١) ابن حجر. فتح الباري ٤٠/٩.

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٤٠/٩.

(٣) البخاري مع الفتح. ك/ الزكاة. باب (أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث

كانوا)، (٣٥٧/٣).

فابن حجر يبين علاقة هذه الوصية الجامعة الشاملة بالحوار مع أهل الكتاب إذ يقول : «هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة؛ فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان»، ثم في بقية الحديث ما يدل على أن الأمر أمر مجادلة ومحاورة فإنه يوصيه بأن لا ينتقل في دعوتهم من موضوع حتى يقرأ به، مما يلهم بيانه بأنهم سوف يحاورون ويتساءلون في أجزاء كل موضوع، فكانه يفهم منه أنه يوصي باستمرار الحوار معهم حتى يكتمل فهمهم وإقرارهم فيما يدعون إليه، فحينئذ يتم الانتقال بالحوار من موضوع لآخر.

#### ب- قلة التكاليف:

وبخاصة في بداية الدعوة، وفي عهداها المكي فقد جاء في خبر حوار عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - بعد إسلامه قال للرسول ﷺ: فأتبعك يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن الحق بقومك، فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني.

الشاهد أنه لم يثقل عليه من خلال الحوار بتعليمه بشتى شرائع الإسلام ولم يأمره بأن يبقى ويجاهد أعداء وخصوم الدعوة، وإنما أكتفى من ظاهر السياق بقبوله الدين ودخوله فيه.

وأيضاً الأنصار في دعوتهم ومبايعتهم التي تمت في حوار معه ﷺ فقد

جاء قولهم عن ذلك «كنا أثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء؛ وذلك قبل أن تفترض الحرب؛ على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزنّي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن نسيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر»<sup>(١)</sup>.

وكذا في حوارہ مع أبي ذر - رضي الله عنه - فبعد أن أسلم قال له «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري».

وفي خبر وفد ثقيف أنهم اشترطوا على الرسول ﷺ أن لا صدقة عليهم، ولا جهاد، قد ذكر الصحابي ناقل الحديث أنه سمع النبي ﷺ يقول: «سيتصدقون، ويجاهدون إذا أسلموا»<sup>(٢)</sup>.

### ج - التيسير وعدم الحرج:

فقد جاء في وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا أن لا يحشروا<sup>(٣)</sup>، ولا يعشروا<sup>(٤)</sup>، ولا

(١) ابن كثير. السيرة النبوية، (١٧٩/٢).

(٢) صحيح سنن أبي داود باختصار السند. ك/ الامارة والفيء والخراج. باب (ما جاء في خبر الطائف)، (٥٨٧/٢، ٥٨٨).

(٣) الحشر: الحشر في الجهاد والنفير له.

(٤) وقوله «ولا يعشروا» أي: لا يؤخذ عشر أموالهم.

يجبوا<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله ﷺ لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ولا خير في دين ليس فيه ركوع.

فهو ﷺ يحرص على هداية الناس وجذبهم إلى الإسلام بشتى السبل، وبعد ذلك يتمكن الإيمان من قلوبهم فيستجيبون، ويبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، ولذا في رواية أن ثقيف «اشتربت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها، ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»<sup>(٢)</sup>.

والصحابي الكريم سلمة بن صخر الأنصاري - رضي الله عنه - قال «كنت امرأة قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان ظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقاً من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت: انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرى، فقالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك.

(١) وقوله «أن لا يجبوا» معناه لا يثلوا وأصل التجبية أن يكب الإنسان على مقدمه ويرفع مؤخره.

(٢) صحيح سنن أبي داود باختصار السند. ك/ الأمانة والفيء والخراج. باب (ما جاء في خبر الطائف)، (٢/ ٥٨٧، ٥٨٨).

قال : فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال لي : أنت بذاك .  
فقلت : أنا بذاك . فقال : أنت بذاك . فقلت : أنا بذاك . قال : أنت بذاك .  
قلت : نعم ، ها أنا ذا فأمض في حكم الله عز وجل فإني صابر له . قال :  
اعتق رقبة . قال : فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت : لا والذي بعثك  
بالحق ما أصبحت أملك غيرها . قال : فصم شهرين متتابعين . قلت : يا  
رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟ قال : فتصدق . فقلت :  
والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحش مالنا عشاء ، قال : اذهب إلى  
صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك فاطعم عنك منها وسقا من  
ثمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك ، يقول - رضي الله  
عنه - مبيناً أثر هذا التيسير عليه « فرجعت إلى قومي فقلت : وجدت عندكم  
الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة قد أمر لي  
بصدقتم فادفعوها إلي ، فدفعوها إلي »<sup>(١)</sup> .

الحاصل أنه يفهم من هذه الحوارات الدعوية التربوية التعليمية أن الأصل  
في التشريع التيسير ورفع الحرج ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ  
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ولذا جاء  
في القاعدة الأصولية المشهورة في عدم القدر ، « لا ضرر ولا ضرار » .

(١) الترمذي ، ك/ التفسير ، باب (سورة المجادلة) وانظر : صحيح سنن الترمذي باختصار  
السند ، ك/ التفسير باب (٥٩) ٣/ ١١٣ ، ١٤٤ .

(٢) البقرة - ٢٨٦ .

(٣) الحج - ٧٨ .



## د/ الإسلام يجب ما قبله:

وقد جاءت حوارات متعددة بهذا الخصوص ، بين الرسول الكريم ﷺ وبين المدعويين ، من ذلك جاء في حوار دعوي لم يحدد فيه عدد أو تعيين لأشخاص المحاورين ، إذ يروي ابن عباس رضي الله عنهما «أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن، ولو تخبرنا لما عملنا كفارة ، فنزل قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾<sup>(١)</sup> ، ونزل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

وفي قصة إسلام عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أنه قال للرسول ﷺ «يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها من الذنوب، يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب؟»<sup>(٤)</sup> .

ففي هذا تشويق واستثلاف إذ الناس يخافون مما اقترفته أيديهم فيما سلف من أيامهم ، وهذا يطمئنهم ويقربهم إذ يتنافسون في الصالحات بلا خوف من الأعمال السيئة الماضية .

(١) الفرقان - ٧٦ - .

(٢) الزمر - ٥٣ - .

(٣) صحيح البخاري ، ك/ التفسير ، باب (قوله: قل يا عبادي الذين أسرفوا... ص:

٤٠٩ .

(٤) المسند (الموسوعة الحديث) ٢٩/ ٣٦٠ ، حديث رقم (١٧٨٢٧) وقال المحقق: (إسناده

صحيح على شرط مسلم).

**المطلب الثالث**  
**موضوعات أخلاقية**

---

## توطئة:

الأخلاق ملاك الأمر وقوامه، وهي مما بعث له ﷺ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(١)</sup> وقبل بعثه وفي حركة عمره المباركة، يتخلق بطيب الأخلاق، ويحب صالحها، ويثني على صاحبها.

أحب حلف الفضول وأذكره بعد حين؛ وقال فيه: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت؛ تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوماً»<sup>(٢)</sup>، اتجر بالمال وظهر فضله بالكمال، فتعلقت به أم المؤمنين، وبكرة المستجيبين، بزین سجایاه ابتداءً، فرأته فإذا محياه يستجيب ويشهد لخبایاه.

ونطقت بحق حينما جاءه أمر الحق؛ وفزع وجزع، فركض بكله، إلى خديجة الصديقة فقالت متذكرة أخلاقه العالية؛ وسيرته الطيبة: «والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف؛ وتعين على نوائب الحق»<sup>(٣)</sup>، ييقين كلا وتعني النفي والإبعاد<sup>(٤)</sup>، فهي بارة بقسمها بهذا النفي المؤبد؛ بأمر استقرائي، وصفته

(١) المسند ٢/ ٣٨١ حديث رقم (٨٩٣٩) وهو حديث (صحيح وإسناده قوي)، انظر: المسند، الموسوعة الحديثية) ١٤/ ٥١٣ حديث رقم (٨٩٥٢).

(٢) ابن كثير. السيرة النبوية ١/ ٢٥٨.

(٣) البخاري مع الفتح. ك/ بدء الوحي. باب (٣)، (١/ ٢٣).

(٤) انظر: ابن حجر. فتح الباري، (١/ ٢٤).

بأصول مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>.

فهو يحسن إلى الأقارب والأبعد؛ وبالبدن وبالمال، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به<sup>(٢)</sup>.

فالأخلاق الصالحة هي من الأهداف العظيمة لهذا الدين دعا بها جميع الرسل والأنبياء، إذ بصلاحها يصلح الإنسان ويستقيم.

فما الأخلاق؟ وكيف جاء الحديث عنها في الحوار النبوي؟.

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، (١/٢٤).

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه، (١/٢٤).

## تعريف الأخلاق:

### أ - في اللغة:

إن المتتبع لمادة «خلق» في مظانها اللغوية ليناله العجب من سعة مدلولاتها، وتنوع معانيها، مما يدفع إلى الإطالة والاستطراد، ولذا فالبحث سيتناول أهم المعاني الملازمة والمناسبة لمقام هذه الجزئية من البحث؛ من أهم معانيها:

١ - الدين والفطرة.

٢ - السجية والسليقة.

٣ - والخلقة هي الطبيعة<sup>(١)</sup>.

وهذه أبرز المعاني وأشملها.

والراغب الأصفهاني، يذكر الخلاصة في معاني هذه المادة والتفريق بينها وبين الخلق فيقول<sup>(٢)</sup>: «والخلق والخلق في الأصل واحد كالشرب والشرب والعدم والعدم؛ لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة»<sup>(١)</sup>.

إذن يفهم مما سلف أن حقيقة الخلق إنه لصورة الإنسان الباطنة؛ وهي نفسه وأوصافها، ومعانيها المختصة بها منزلة الخلق لصورته الظاهرة.

(١) انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة «خَلَقَ».

(٢) المفردات في غريب القرآن ١٥٨.

ولذا وصف ﷺ بأن خلقه كان القرآن<sup>(١)</sup> لأنه متمسك بآدابه، وأوامره، ونواهيها، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطف<sup>(٢)</sup>.

وتتردد بعض المعاني التي تفيد أن اللغويين أشاروا إلى إمكانية اكتساب الأخلاق إذ جاء قولهم الخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة وتخلق بخلق كذا استعمله من غير أن يكون مخلوقاً في فطرته<sup>(٣)</sup>.

### ب - في الاصطلاح:

الحقيقة أن تعريفات أهل الاصطلاح لا تتعدى ما فصله اللغويون، فابن حجر - رحمه الله - يختار تعريف الراغب ويسطره كما هو<sup>(٤)</sup> الزرقاني كذلك في شرحه لموطأ الإمام مالك كرر تعريفات اللغويين<sup>(٥)</sup>.

وذكر ابن حجر<sup>(٦)</sup> تعريفاً عزاه للقرطبي هو «أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره»<sup>(٥)</sup>.

ويعرفه أبو حامد الغزالي<sup>(٧)</sup> بأنه «عبارة عن هيئة في النفس راسخة؛ عنها

---

(١) صحيح مسلم ك/ صلاة المسافرين، باب (جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض) حديث رقم (١٧٣٩)، ص: ٧٩٥.

(٢) انظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة: «خلق».

(٣) انظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة: «خلق».

(٤) انظر: ابن حجر. فتح الباري، (١٠/٤٥٦).

(٥) انظر: الزرقاني. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤/٢٥٠). دار المعرفة. بيروت. ١٤١٩ هـ.

(٦) انظر: ابن حجر، (١٠/٤٥٦).

(٧) إحياء علوم الدين، (٣/٤٦).

تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية».

وتابع الغزالي في تعريفه عدد من الباحثين من المتقدمين والمتأخرين وإن  
تغايرت ألفاظهم.

فعند الجرجاني<sup>(١)</sup> «عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال  
بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية» ثم بين متى توصف بالحسن  
والقبح فقال «فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً  
وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال  
القييحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً»<sup>(٢)</sup>.

فالتعريف المناسب هو أن الخلق «صفة مستقرة في النفس - فطرية أو  
مكتسبة - ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) التعريفات ١٣٦ (مرجع سابق).

(٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني . الأخلاق الإسلامية وأسسها، (٧/١) . دار القلم .  
دمشق، (ط: ١) . ١٣٩٩ هـ .

## حقيقة الأخلاق:

من خلال النصوص والحوارات النبوية، يتبين أن الأخلاق هي الدين، وهي البر، ومن أفضل خصال الإيمان، فعائشة - رضي الله عنها - تسأل عن خلق الرسول ﷺ فتقول «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»<sup>(١)</sup>.

وحوارات نبوية تفسر للمطلع ذلك؛ وكيف يكون؟ إذ جاء أن صحابياً سأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

فالبر يجمع خصال حميدة من الصلة والصدق والعطف والمبرة وحسن الصحبة؛ وهذه يجمعها حسن الخلق<sup>(٢)</sup>.

فحسن الخلق هو ما اطمأنت إليه النفوس الشريفة الطاهرة من أوطار الذنوب ومساويء الأخلاق؛ المتحلية بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال واللطف في الأحوال والأفعال وحسن المعاملة مع الخالق والخلق<sup>(٣)</sup>.

ولذا عد في حوار آخر حسن الخلق من أفضل خصال الإيمان جاء في حوار دعوي عند إسلام عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - يقول يحاور الرسول الكريم ﷺ «من معك على هذا الأمر؟» قال: «حر وعبد» قلت: ما

(١) صحيح مسلم ك/ صلاة المسافرين، باب (جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض) حديث رقم (١٧٣٩)، ص: ٧٩٥.

(٢) الأبى شرح صحيح مسلم، (٨/٤٩٨).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه، (٨/٤٩٨).



الإسلام: قال: طيب الكلام، واطعام الطعام، قلت: ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة، قلت: أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده، قال: قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن، قال: قلت: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول قنوت. قال: قلت: أي الهجرة أفضل؟ قال: أن تهجر ما كره ريك. قال: فقلت: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهرق دمه، قال: قلت: أي الساعات أفضل؟ قال: جوف الليل الآخر<sup>(١)</sup>.

فواضح التركيز على أهمية وفضل حسن الخلق، فقد فصل ما يتعلق بالمسلم من أصول المعاملة القولية، وال فعلية، الظاهرة والباطنة ثم جمع ذلك بقوله بأن الخلق الحسن هو «أفضل الإيمان».

والعرب على ما تحمله وجبلت عليه من فضائل، كانت فيها فظاظة في الطبع، وجلافة في التعامل، وهذا التركيز مما يزيكها ويحليها بما يقوم أمرها، لتعد لعبء الدعوة الخيرة فتجذب المدعوين بأحسن الأخلاق، فذاك يعود إلى وبره بمعنى البر؛ فيزرع الأخلاق الفاضلة وهذا مما يحييهم بالإسلام.

وحوار آخر يبين كيف يركز الرسول الكريم ﷺ على هذا الأمر باعتباره أحوج ما يكون إليه المدعو.

(١) الطيبي شرح مشكاة المصابيح، (٢/٥٠٠).

«جاء الأعراب؛ ناس كثير من هاهنا وهاهنا؛ فسكت الناس لا يتكلمون وغيرهم؛ فقالوا: يا رسول الله! علينا حرج في كذا وكذا؛ في أشياء من أمور الدين لا بأس بها، فقال: يا عباد الله! وضع الله الحرج؛ إلا امرءً افترض امرأً ظلماً؛ فذاك الذي حرج وهلك».

قالوا: يا رسول الله انتداوي؟

فقال: «نعم يا عباد الله؛ تداووا؛ فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء، غير داء واحد».

قالوا: وما هو يا رسول الله؟

قال: «الهرم

قالوا: يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان، قال: «خلق حسن»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الألباني . صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري . باب (حسن الخلق إذا فقها) ١٢٣ . مكتبة  
الدليل للنشر والتوزيع الجليل (ط: ٣) ١٤١٧هـ .

## الأخلاق بين الفطر والاكْتساب:

تطراً تساؤلات مهمة في هذه الجزئية من أهمها وأكبرها: هل الأخلاق قديمة في الإنسان؟ أم هل هي مكتسبة؟ وإذا كانت مكتسبة فما الدليل؟ وكيف يمكن اكتسابها؟ .

وهذا السؤال قديم جديد فقد ذكر ذلك القاضي عياض وابن حجر<sup>(١)</sup>، حيث يرى البعض أن هذه الصفات تكون صلبة في العبد، ويستدلون بأدلة منها قول عمر (رضي الله عنه) «إن الشجاعة والجبين غرائز تكون في الرجال»<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرة<sup>(٣)</sup> أن عائشة رضي الله عنها دبرت أمة لها. فاشتكت عائشة - رضي الله عنها - فسأل بنو أخيها طبيباً من الزط فقال: إنكم تخبروني عن امرأة مسحورة. سحرتها أمة لها. فأخبرت عائشة. قالت: سحرتني. فقالت: نعم. فقالت: ولم؟ لاتنجين أبداً، ثم قالت: «بيعوها من شر العرب ملكة».

(١) انظر القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٧٧. وابن حجر. فتح الباري ٤٥٩/١٠.

(٢) ابن الجوزي. تاريخ عمر ٢٢١.

(٣) الألباني. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. باب (بيع الخادم من الأعراب)، (٨١، ٨٢).

جماعات بتأصل هذه الأخلاق فيهم، سواء سيئة أو حسنة .

وابن حجر يرى أن منها ما هو جبلي ومنها ما هو مكتسب، واستنبط ذلك بذكاء وفطنة من حديث أشج عبد القيس إذ وفد مع قومه إلى الرسول ﷺ فقال له ﷺ محاوراً: «إن فيك خلقين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يا رسول الله أنا اتخلق بهما أم الله جبلي عليهما؟ قال: بل جبلك الله عليهما، قال: الحمد لله الذي جبلي علي خلقين يحبهما الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

يقول ابن حجر (رضي الله عنه): «فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب»<sup>(٢)</sup>، والزرقاني يتابع ابن حجر على ذلك ثم قال: «وهذا هو الحق وهو جمع بين القولين لا ثالث»<sup>(٣)</sup>.  
والتحقيق في ذلك أن حال الإنسان مركب من أصول الدوافع المحمودة، ومن أصول الدوافع المذمومة، فإن مال إلى الأولى فهو من السعداء، وإن مال إلى الثانية، فهو من الأشقياء»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٣/٩٨١ .

(٢) ابن حجر . فتح الباري . ١٠/٤٥٩ .

(٣) الزرقاني . شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤/٢٥١ . دار المعارف . بيروت . ١٤٠٩ هـ .

(٤) انظر نور الدين القاري . شرح الشفا شمائل صاحب الإصطفاء ١/٥٤٦ . تحقيق حسنين مخلوف . مطبعة المدني . القاهرة . بدون رقم وتاريخ .

أما الاكتساب فإنه يبدأ بسن مبكرة، ويضعف ويشتد بحسب أهمية الصفة لدى الفرد، وتوفر دواعيها لديه، ويبرز هنا أثر الوراثة والتربية والبيئة بأقسامها الداخلية والخارجية (الطبيعية، والاجتماعية، والنفسية) سلباً وإيجاباً<sup>(١)</sup>.

فالإنسان ذو فطرة خيرة قديمة فيه ومهيأ لقبول الخير «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(٢)</sup>، وهذه الفطرة ما تركت هملاً بل أنزل الله الكتب وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ووهب الإنسان أدوات الفهم والإدراك ليدرك ذلك كله ويستقيم على أمر ربه .

والقرآن الكريم بين أن الحيوانات المتوحشة يمكن تغيير أخلاقها ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالجوارح هي الكواسب من سباع البهائم والطيور والكلب والفهد والنمر والعقاب، والصقر، وغيرها<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر د. محمد عثمان نجاتي . الحديث النبوي وعلم النفس ١٠٢، ١٠٣ . دار الشروق . ط : ١  
١٤٠٩ هـ . وعبدالرحمن بن محمد بن خلدون . مقدمة ابن خلدون . ٨٢ (المقدمة الثالثة) . مكتبة  
لبنان . ط : ٤ . ١٩٩٩ . وفخر الدين الرازي . الفراسة ٨٩، ٩٠ ، تحقيق مصطفى عاشور . مكتبة  
القرآن . ود . حسن إبراهيم عبدالعال . ٢٨٣ . عالم الكتب . الرياض ١٤٠٥ بدون رقم وتاريخ .

(٢) البخاري مع الفتح ، ك/ الجنائز، باب (إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟) حديث رقم [١٣٥٨] ص : ١٠٦ .

(٣) المائة - ٤ - .

(٤) انظر الزمخشري . الكشاف ١ / ٥٩٤ .

أما التكليل: فتأديب الجوارح وترويضها بالحيل وطرق التأديب  
والثقيف<sup>(١)</sup>.

فإذا كان هذا في البهائم ممكناً فكيف بالإنسان الذي هبأه مولاه ووهبه كل  
العوامل المساعدة لحب الخير وعمله وتجنب الشر وطرقه؟.

وزبدة القول في ذلك أن الأخلاق منها ما هو جبلة في العبد، وفيها ما  
هو مكتسب، ويتخلق بها ويقتدي بغيره فيها، وينشأ عليها، حتى تكون له  
كالغريزة<sup>(٢)</sup>.

والمحاور المسلم من أولى الناس باكتساب الأخلاق المحمودة، فإنه يقابل  
أصنافاً عدة، يتغايرون في كل شيء، وسيواجه شدة، فمتى تحلى بكريم  
الأخلاق في مواطن محاوراته وميادين دعوته، جذب الخلق لدعوته  
ولشخصه وهكذا كان قدوة المحاورين ﷺ.

## حاجة المحاور إلى حسن الأخلاق:

ولأهميتها في مجالات الدعوة؛ فإنه ﷺ يوصي بها سفراءه في الدعوة،  
وبخاصة في مقامات المحاورات والتعليم، ومن ذلك: أنه حين بعث معاذاً

(١) انظر المرجع السابق نفسه ٥٩٤/١.

(٢) انظر القاضي عياض بن موسى اليحصبي. إكمال المعلم بفوائد مسلم. ٢٨٥/٧. مكتبة

الرشد. الرياض. (ط: ١) ١٤١٩هـ.

- رضي الله عنه - إلى اليمن محاوراً معلماً قال - رضي الله عنه - مبيناً حرص الرسول الكريم ﷺ على حسن الخلق «آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ»<sup>(١)</sup>.

ومعاذ من علماء الصحابة ودعاتهم؛ إذ كان حريصاً أن يتعلم من الرسول ﷺ ما يفيد في مقامات الدعوة.

وفي رواية أخرى حينما بعثه إلى اليمن قال ﷺ له «يا معاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(٢)</sup>. فالداعية المحاور يقابل بشراً متنوعة طبائعهم، وعاداتهم ومداركهم ففي هذه الوصية الشاملة بيان منه ﷺ بأن يظهر لمحاوريه البشر والملاحظة والحلم، والاشفاق، والصبر على التعليم، والتودد للمدعوين بشتى أجناسهم<sup>(٣)</sup>.

ومما سبق يبدو من خلال الحوارات الدعوية، أصول الأخلاق والدعوة إليها، والحث على الإلتزام بها.

ففي بواكير الدعوة، تبرز مكانة الأخلاق في دعوته ﷺ قولاً وسلوكاً. وأبوذر - رضي الله عنه - في خبر إسلامه أنه أرسل أخاه إلى مكة

(١) الحديث في الموطأ (٩٠٢)، وانظر ابن عبد البر، الاستذكار ١١٥/٢٦.

(٢) ابن عبد البر. الإستذكار، (١١٥/٢٦).

(٣) انظر: الزرقاني. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، (٢٥١/٤).

يتكشف أمر الرسالة والرسول ﷺ فعاد بجملة جامعة في حقيقة ما يدعو إليه، هي قوله «رأيتَه يأمر بمكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>، في رواية يفسر دعوته تلك بجماع الخير إذ يقول «أين رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأنصار وفد تحاوروا معه ﷺ فيما يدعو إليه؛ فأجابهم «وأنا أدعوكم إلى عبادة الله عز وجل وشهادة ألا إله إلا الله؛ وأني رسول الله، وصلة الرحم؛ وترك العدوان وإن غضب الناس»<sup>(٣)</sup>؛ فما الرد والجواب في هذه الدعوة الكريمة، فقال: كبرائهم: «لو كان هذا الذي تدعو إليه باطلاً لما كان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق»<sup>(٤)</sup>.

وأكثم بن صيفي حكيم العرب وأحد رجالها المعدودين حينما أرسل وفداً محاوراً للرسول الكريم ﷺ في أمر الرسالة وموضوع دعوتها؛ عاد الوفد يخبرونه أن الرسول الكريم ﷺ تلا عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فقال أكثم متأثراً مؤيداً «أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن

(١) البخاري . ك/ المناقب، باب (قصة إسلام أبي ذر الغفاري) حديث رقم [٣٥٢٢] ص: ٢٨٧ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ المناقب، باب (قصة زمزم) حديث رقم [٥٣٢٢] ص: ٢٨٧، الفتح ٥٤٩/٦ .

(٣) الصالحى . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد . (٣/١٩٠) .

(٤) نفسه، (٣/١٩٠) .

(٥) النحل - ٩٠ - .



ملائمها؛ فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا فيه أذناً»<sup>(١)</sup>.

وجعفر - رضي الله عنه، حينما سأله النجاشي - رحمه الله - عن هذا الدين الذي دخلوه، فأجابه جعفر - رضي الله عنه «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نحن نعبد وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان»<sup>(٢)</sup>، فعبارته واضحة، وبراعة محاورته، بين - رضي الله عنه - أصول الأخلاق الطيبة وأضدادها السيئة، كأنه يقول بحواره إن العيب بالحياة الدنيا والفوضى الأخلاقية العارمة في شتى مناحي الحياة، هي سبب ضياعنا، ومن ثم أسرنا الخطي في تقبل هذا الدين القويم.

ومن اللافت أنه - رضي الله عنه - أجل الحديث عن تحديد كلمة التوحيد وأساس الدعوة، وكأنه أراد أن يقول وجماع هذا كله وأساسه، وشرط قبوله توحيد الله عز وجل.

وهذا يضاف إلى أدلة الربط بين أقسام الدين وأساسه. إذ هو سلسلة

---

(١) ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة، (١/١١٨).

(٢) المسند، (٣/٢٦٦) (الموسوعة الحديثية) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. وقال المحقق

«إسناده حسن».

مترابطة تجمعها كلها حلقة هي مفتاح السر، وموضع الأمان، وضابط كل  
جزء أو فرع، ألا وهو توحيد الله جل شأنه.

## الفصل الثاني

### صفات المحاور في الهدى النبوي

---

- المبحث الأول : العلم والفهم الدقيق .
- المبحث الثاني : البلاغة والبيان .
- المبحث الثالث : التجرد والأنصاف .
- المبحث الرابع : الحلم والأناة .

## المُدخل:

المحاور المسلم في مقام دعوة يقوم بتوجيه الدعوة إلى مدعوين، ويريد نقلهم من حالة هم عليها إلى حالة أخرى يريد لها لهم .

فالداعي يتفاعل مع مجموعة من العناصر، ومع المدعوين وهم بشر مثله، ومع مفاهيم دعوته، ومع مفاهيم أخرى قد تتناقض مع دعوته، ويريد نقلهم منها إلى مفاهيم جديدة، وهذه العناصر مجتمعة تحدد صفات المحاور الناجح، والمحاورة فيها ردم ومراجعة، وإن كانت محادثة؛ فإن فيها انفعالاً وانحلالاً وفيها حب انتصار .

ولذا قال الله عز وجل منبهاً نبيه الكريم لحقيقة ينبغي أن لا تغيب عن ذهنه أبداً أثناء المحاورة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup>، برفق ولين وحسن خطاب<sup>(٢)</sup>، فأمره الله تعالى بـلين الجانب<sup>(٣)</sup>، دون مخاشنة وتعنيف، بل إن بعض المفسرين يرى أن المراد بها أهل العناد والجحود ومع ذلك فإنهم يدعون بهذا الوصف الرائع<sup>(٤)</sup>.

وابن تيمية له لطيفة شريفة في هذا التوجيه الرباني المحكم إذ ما فرق بين قوله ﴿الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾، وقوله ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . .

(١) النحل - ١٢٥ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٧٨١ / ٢ .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ٧٨١ / ٢ .

(٤) انظر القرطبي . الجامع لاحكام القرآن . ٢٠٠ / ١٠ .

يقول: «لأن الجدل فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة»<sup>(١)</sup>.

فهي دعوة راشدة تؤدي إلى خير فينبغي أن يتصف الداعي بكل خير يقرب ولا يبعد؛ والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه يسر النفس<sup>(٢)</sup>.

فكيف بالأحسن إذًا؟

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، وفي القرآن ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو أحسن الطرق<sup>(٤)</sup>، فالمراد أن تدفع السيئة حيث اعترضتك، بالتي هي أحسن منها، وهي الحسنة؛ على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقاً<sup>(٥)</sup>، وهي واسعة الدلالة بلفظها؛ فلا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات<sup>(٦)</sup>.

وابن كثير يقول في ذلك «أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه»<sup>(٧)</sup>.

واستشهد بقول عمر - رضي الله عنه - : ما عاقبت من عصى الله فيك

(١) انظر ابن تيمية . الرد على المنطقيين . ٤٦٧ (مرجع سابق) .

(٢) انظر الراغب الاصفهاني . المفردات في غريب القرآن ، ٢٤٠ .

(٣) فصلت - ٣٤ - .

(٤) انظر الرازي . التفسير الكبير . ١١٠ / ٢٧ .

(٥) انظر القاسمي . محاسن التأويل . ٢٧٤ / ١٤ .

(٦) انظر الشوكاني . فتح القدير . ٥١٦ / ٤ .

(٧) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ١٢٩ / ٤ .

بمثل أن تطيع الله فيه<sup>(١)</sup>.

فهذه من صفات المحاور الداعي إلى الله، فالنص الذي يسبق هذا هو قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والبقاعي يؤكد ارتباط هذا الموضوع بالدعوة والداعي المحاور في هذا النص الكريم والأصل الدعوي الهام فيقول: «ولما كان التقدير لا أحد أحسن قولاً منه، بل هو المحسن، فلا يستوي هذا المحسن وغيره أصلاً، رداً عليهم أن حالهم أحسن من حال الدعوة إلى الله وكان القيام بتكميل الخلق يحتاج إلى جهاد للنفس عظيم من تحمل المشاق والصبر على الأذى وغير ذلك من جميع الأخلاق عطف عليه التفرقة بين عمليهما ترغيباً في الحسنات «ولا تستوي» أي وإن اجتهدت في التحرير والاعتبار «الحسنة» أي لا بالنسبة لأفراد جنسها ولا بالنسبة إلى عامليها عند وحدتها، لتفاوت الحسنات في أنفسها، والحسنة الواحدة باعتبار ثبات العاملين لها واجتهادهم فيها ولا بالنسبة إلى غيرها»<sup>(٣)</sup>.

وليعلم بحق أن هذه المرتبة عزيزة وثمينة، وقليل من يلقاها فإنه تعالى بعد بيان مرتبة الداعي، وأهمية تحليه بأحسن الأخلاق قال تعالى ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر المرجع السابق نفسه ١٢٩/٤.

(٢) فصلت - ٣٣ - .

(٣) البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . ٥٧٣ / ٦ (مرجع سابق).

(٤) فصلت - ٣٥ - .

وأهل هذه الوصية الذين يعملون بها هم الصابرون على ذلك؛ فإنه يشق على النفوس، وهو ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

الأمر الذي تدل عليه هذه الحقائق الجمالية السابقة أن الدعاة صنف خاص المفترض أن يتم اختيارهم بعناية فائقة فالدعوة عبء كريم عظيم لا يستطيع القيام به من لا يحمل صفاً ووصفاً معينين.

والقرآن الكريم يؤكد ذلك باختياره لرسله وقدوة المحاورين ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢٩ .

وفي هذا المقام يتذكر الباحث موقفاً كريماً رآه بنفسه وشاهده عن قرب ومتابعة، وهو لسماحة الشيخ الوالد عبدالعزيز بن باز (رحمه الله) فبعد انصرافه من مجلس علم في الجامع الكبير في الرياض أمسك به شاب يظهر من حاله وحالته أنه غاضب غيرة على أخ له لا يصلي مع الجماعة ويحاول أن يستفتي الشيخ بأمره لعله يأذن باستعمال العنف، فأحس الشيخ الفطن بحالة هذا الشاب فلم ينله ما يريد بل أكد تأكيداً متواصلاً، بأنه لا يتجاوز حالة الرفق واللين مع محاولة هذا الشاب أن يبين للشيخ بأنه حاول وكرر ولم يستجب والشيخ يرد بتصميم وحنان ولين وإن كان حاول ولا أرى أو أسمع بغير ما قلت واتعجب هل هذا الأخ الذي في البيت لا يدري عن حالة أخيه، كيف رفق الشيخ بهما؟. إذ أنه راعى الحالة الشعورية النفسية للسائل، وبهذا رحمة له لئلا يرتكب حماقة يندم عليها، وقد رحم الثاني بأن أنقذه وحال بين أخيه وبين أذيته إضافة لما في ذلك من التواصل في الوصل وعدم التقاطع في الرحم؛ وليعلم أن هذا الخبر تضمن حواراً ذو عناصر متنوعة في أشخاص المتحاورين، وفي طبائعهم، وفي مضامينهم، وفي الجماهير التي راقبت واستمعت لذلك.

يَمَكُرُونَ ﴿١﴾ ، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ  
بَصِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ ، ذلك أن أمر الدعوة ، والصبر على الأذى فيها لا يطيقه إلا  
أهل النفوس الكاملة الفاضلة وهم الرسل الكرام (عليهم السلام) أو  
الذين امتن الله عليهم ووقفوا لوراثة الأنبياء في القيام بوظيفة الدعوة ﴿٣﴾ .

وقد «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً» ﴿٤﴾ ، فحسن الخلق  
من صفات الأنبياء وورثتهم ، فهي معاملة الناس بالجميل منها ، والبشر  
والتودد لهم ، والاشفاق عليهم والاحتمال ، والحلم والصبر في المكاره ،  
وترك الاستطالة والكبر والمؤاخذة ، واستعمال الغضب والسلطة  
والغلظة ﴿٥﴾ .

فجانب من جوانب خلقه وتعامله ﷺ نجد فيه وقفات مؤثرات  
بليغات .

أعرابي يقدم بلا مقدمة وإذن فيجذب رداءة حتى أثر في صفحة عنقه  
ﷺ يشهد بذلك أنس - رضي الله عنه - خادم رسول الله ﷺ وبحضوره  
فيلتفت مبتسماً ويقوم بحاجته ﴿٦﴾ ، وامرأة هي أمة ، قيل إن في عقلها شيء

(١) الأنعام - ١٢٤ .

(٢) الحج - ٧٥ .

(٣) انظر د . سيد محمد الشنقيطي . وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ٩٩ . (مرجع سابق) .

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للقاضي عياض . ك/ الفضائل . باب (كان رسول الله ﷺ  
أحسن الناس خلقاً) ٢٧٥ / ٧ .

(٥) القاضي عياض اليحصبي . إكمال المعلم بفوائد مسلم . ٢٨٥ / ٧ .

(٦) البخاري مع الفتح . ك/ الأدب (التبسم والضحك) ، حديث رقم [٦٠٨٨] ص : ٥١٤ .



تأخذه بيده فيسلم نفسه لها فتذهب به حيث شاءت حتى تقضى حاجتها منه<sup>(١)</sup>، وخصوم الدعوة وما أنبأك بإفكهم ونكرهم وتكبرهم؟ .

يؤذونه في نفسه وماله وعرضه، ثم يعيد الكرة معهم وكأنهم لم يسيئوا إليه أبداً، ينادونه بأسوأ الألقاب، فيجيبهم بأحب الألقاب والأسماء إليهم، رأس النفاق يخمر أنفه من مرور الرسول ﷺ بدابته، ويقطع عليه حسن دعوته، والرسول الكريم ﷺ إذا كناه قال: «يا أبا الحباب»<sup>(٢)</sup>.

سفراء قريش يعرضون عليه السفاهة والفحش والتهم، ويستمع بأدب جم لا يقطع ولا يقطع من حديثهم شيئاً؛ ثم يبدأ جوابه وحواره بأحب مسمى لهم «افرغت يا أبا الوليد». يقول ذلك لعتبة بن ربيعة<sup>(٣)</sup>.

حوار الرسول ﷺ مع أبي جهل «وأبو جهل العدو الأول الفظ الغليظ الذي لا تعد مواقفه المعادية للرسول ﷺ وللرسالة، ومع ذلك إذا لقيه بادر يناديه بشفقة ورحمة «يا أبا الحكم»<sup>(٤)</sup>.

ومسيلمة الكذاب يتعالى وترفح أن يحضر مجلس الرسول ﷺ فيقول لبني قومه ليس هو بأقلكم مرتبة؛ بل يقوم ويذهب بنفسه إليه في الحال يرحب به ويدعوه إلى الله عز وجل<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الأدب، باب (الكبر) حديث رقم [٦٠٧٢]، ص: ٥١٣، الفتح ٤٨٩/١٠.

(٢) البخاري مع الفتح . ك/ التفسير . باب (١٥) ٢٣١/٨.

(٣) انظر ابن كثير . السيرة النبوية ١/ ٥٠٤.

(٤) انظر المرجع السابق نفسه ١/ ٥٠٧.

(٥) البخاري مع الفتح . ك/ المغازب . باب (وافد بن حنيفة . . .) ٨٩/٨ . وانظر ابن حجر .

فتح الباري ٨/ ٩٠.

فهذه الأخلاق تأصلت فيه وتلازمت مع دعوته وتحركه حتى ظهرت آثارها على خلقه .

عن عبدالله بن سلام قال . . أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة «جفل الناس إليه ، فكننت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستبنته ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : «أيها الناس ، افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(١)</sup> .

فهذا الصحابي الجليل (رضي الله عنه) تأمل سحنة الرسول الكريم ﷺ فحكّم بصدقه ، ثم أضاف إلى ذلك بأمره بمكارم الأخلاق ، وأمّهات الفضائل .

وابن حاتم - رضي الله عنه - يفتن لهذه الحقيقة السامية في شخص الرسول الكريم ﷺ ؛ فسار معه وفي الطريق تستوقفه امرأة فوقف لها يحدثها فالتحظ عدي ذلك وقال : والله ما هذا بملك<sup>(٢)</sup> .

فهذا المدعو جاء الملوك وعرفهم بأشخاصهم وأخلاقهم فأكد أنهم ليسوا كذلك .

فالرسول ﷺ يختلط بالناس في أسواقهم ، ويزورهم في منازلهم ، يودهم ويتودد لهم ، ويهتم لاهتمامهم يفرح بفرحهم ويحزن لحزنهم .

(١) الألباني . صحيح الترغيب والترهيب . ٢٥٣ . المكتب الإسلامي . بيروت . (ط : ٢) ١٤٠٦ هـ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦٤ / ٥ .

إذا هذه المناهج والأصول الأخلاقية قديمة وعادة مستديمة في شخص  
الرسول ﷺ .

وهذا يذكر بوصف أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - بصفاته التي  
عرف بها حتى من قبل النذارة والرسالة تقول تذكره بحقيقته وطبيعته  
التي هي من أكبر العوامل والأسباب التي تجذب الناس لدعوته ، وتعينه  
لتحمل المشاق ، وتهيئه لما حملة الله من كرامة ، تقول «والله لا يخزيك  
الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري  
الضيف ، وتعين على نواب الحق»<sup>(١)</sup> .

فهذه الأخلاق منهج حياته ﷺ ورباه ربه على أقومها وأفضلها ، ولا  
يحصي الحسن فيها كثرة ، وتلقى في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ  
عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فعلى في الآية للاستعلاء ، فدل اللفظ على أنه كان مستعلياً  
على هذه الأخلاق ، ومستولياً عليها ، لأنه لم يكن له هم سوى الله  
تعالى ، ويقول تعالى في أخلاقه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ  
الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٣) (٤)</sup> .

ثم تسأل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن خلقه فتجيب بعلم  
وشهادة عمل فتقول «فإن خلقه كان القرآن»<sup>(٥)</sup> .

(١) البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٣) / ١ / ٢٣ .

(٢) القلم - ٤ . .

(٣) الأعراف - ١٩٩ . .

(٤) انظر الصالحى ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ١٣ / ٧ ، وانظر ابن عبد البر ،

الإستذكار ، ١١٧ / ٢٦ .

(٥) صحيح مسلم ، ك/ صلاة المسافرين ، باب (جامع صلاة الليل . . .) حديث رقم

[١٧٣٩] ص : ٧٩٥ .

وهو ﷺ القدوة العملية لبيان ما جاء في القرآن من أخلاق فهو يتمثل أقومها قولاً، وسلوكاً وعملاً في عامة حياته وخاصته .

الحاصل أن الله أحسن تأديبه على أفضل وأجمل الخلال الخاصة والعامّة، الباطنة والظاهرة . فالإى التفصيل لأهم الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها كل داعية محاور وبخاصة في مجال النظر والمحاورات .

المبحث الأول  
العلم والفهم الدقيق

---

## توطئة:

المحاور المسلم يتحدث عن الإسلام وبالإسلام، وينافح عن دين الإسلام، فعلمه دين، وحواره نصرة للدين، فهو بالله يحاور وهذا الحوار مبتغاه وغايته رضا الله، والوصول للحق وهو في ثنايا ذلك يتذكر توجيه القرآن: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١١) ﴿<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨) ﴿<sup>(٢)</sup> ، فالحوار لا بد أن يكون بعلم حق، ولذا ذم تعالى من جادل بلا علم، يقول تعالى: ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى وكتاب منير ﴾<sup>(٣)</sup> ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٣٦) ﴿<sup>(٤)</sup> . ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٦) ﴿<sup>(٥)</sup> ففي الآية دليل على المنع من الجدل لمن لا علم له،

(١) البقرة- ١١١- والنمل- ٦٤ . .

(٢) الأنعام- ١٤٨ . .

(٣) الحج- ٨٠ . .

(٤) الإسراء- ٣٦ . .

(٥) آل عمران- ٦٦ . .

والحظر على من لا تحقيق عنده<sup>(١)</sup>.

ويتبته شيخ الإسلام ابن تيمية لأهمية ذلك فيرى أنهم ينهون عن  
المجادلة، إذا كان الناقل ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة خشية  
الإفساد<sup>(٢)</sup>.

وليلغ شأوه وبعده وحده فإن الله تعالى يعلمه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ  
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا جواب كريم على من جادل وحاوّر بلا علم مستقيم، فهم في غاية  
الجهل ولذا جاءهم الجواب الثمين العالي: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

فمن الله الحجة يهبها لمن يشاء من عباده، وأثنى على رسله وأنبيائه في  
مقام المحاوراة، فأبراهيم عليه السلام وبعد محاورة بليغة مع قومه حججهم  
وأفحمهم بها يثني المولى جلا وعلا عليه فيقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا  
إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فهو  
علا قومه بالبراهين القاطعة التي ساقها في محاجته معهم<sup>(٥)</sup>.

(١) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٠٨ .

(٢) انظر ابن تيمية . درء تعارض العقل والنقل . ٧ / ١٧٣ تحقيق / د . محمد رشاد سالم .  
مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٣) الأنعام - ١٤٩ - .

(٤) الأنعام - ٨٣ - .

(٥) انظر ابن سعدي . تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن ٢٦٢ .

ولذا وصف بهذه الصفة العاملة، وبيان عصمة إبراهيم عليه السلام عن الجهل بالله تعالى<sup>(١)</sup>.

وكما رفع إبراهيم عليه السلام بدرجاته في الدنيا والآخرة فكل من اقتدى به بهذا العلم يرتفع فوق العباد درجات، وبخاصة العالم العامل المعلم<sup>(٢)</sup>.

وكوكبة كريمة من الأنبياء عليهم السلام يعدهم تعالى بعد هذه الآية ثم يخاطب رسوله الكريم صلوات ربي عليه وأمته داخله في هذا الأمر، فيقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

فسياق الآيات يشعر أن الأنبياء آتاهم الله الحجة والقدرة على محاوراة أصناف المدعوين من أهمهم<sup>(٤)</sup>.

والرسول الكريم ﷺ اتبع أثر هذه النخبة من الأنبياء الكرام في أقوالهم وأفعالهم وسيرهم<sup>(٥)</sup> وجمع كل كمال فيهم، وأنزل تعالى من فضله عليه

(١) انظر أبو بكر بن العربي . أحكام القرآن . ٢ / ٢٦٢ .

(٢) انظر عبدالرحمن بن سعدي . تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام الرحمن ٢٦٢ .

(٣) الأنعام - ٨٩ ، ٩٠ .

(٤) انظر ابن الجوزي . زاد المسير في علم التفسير . ٣ / ٧٨ .

(٥) انظر ابن عطية . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٦ / ١٠٠ .



هذا القرآن الكريم، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين<sup>(١)</sup>.

فالحجة من الله لها منزلة رفيعة لا تتأتى لكل أحد، من حيث المكنة والقدرة على المحاجة البليغة فكل محاور عالم وليس كل عالم تتأتى له الحجة ويحضره الجواب، ويسرع إليه الفهم بمقطع الحجة، ومتى كانت هذه خصاله فهو أرفع العلماء وأنفعهم مجالسة ومذاكرة، والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم<sup>(٢)</sup>.

إذا فالحوار المتمكن المستنير هو صنعة الأنبياء وأداتهم وبه ظهروا على أممهم عند الدعوة<sup>(٣)</sup>.

والمكنة والقدرة على الحوار من أهم أساليب الداعي للوصول إلى الحق وإقناع المدعو بأن يعرفه ويعترف به ويقر.

والرسول ﷺ هو قدوة المحاورين المؤمنين الداعين إلى الله سبحانه وتعالى، وصفة العلم صفة لازمة للدعوة وهي ألزم للمحاور على وجه الخصوص.

فكيف تعلم ﷺ؟ ومتى بدأ؟ وبأي شيء بدأ؟ وما العلم الذي تلقاه؟ وما

(١) انظر ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن ٢٦٢ .

(٢) انظر القرطبي . ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله ٤٣٣ .

(٣) انظر ابن نجم الحنبلي . استخراج الجدل من القرآن الكريم ٥٢ - ٥٣ .

حقيقته؟ وما مواصفاته وسننه؟ وكيف علم المؤمنين؟ وما ثمرات هذا العلم .

### فما العلم؟:

يرى أهل العلم المحققون أن العلم معروف فلا يحتاج إلى تعريف، فالإمام البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> ابتداءً بذكر فضل العلم، وبين الإمام ابن العربي<sup>(٢)</sup> موافقة له وأنكر من حاول تعريفه وحمل عليه واتهمه، وواضح أن ابن حجر (رحمه الله) يوافقهم فلم يعرفه، إضافة إلى أنه نقل آراء أهل العلم الذين لم يعرفوا العلم بصيغة التأيد<sup>(٣)</sup>.

والإمام الغزالي رحمه الله لم يعرف العلم مع أنه تحدث بإسهاب عن تفاصيله، فضلاً، وأقساماً، وحكماً، وآداباً، والعلة في ذلك عندهم لأمرين<sup>(٤)</sup>:

**الأول:** أن العلم واضح لا يحتاج إلى بيان .

**الثاني:** أن تعريفه عسير .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ك/ العلم . باب (فضل العلم . .) ١٤٠/١ .

(٢) انظر عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي ١٠/١١٣، ١١٤ . وابن حجر . فتح الباري ١٤٠/١ .

(٣) انظر فتح الباري ١/١٤٠، ١٤١ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين ١/١٠ - ٣٩ .

وهذه الصعوبة بدعوى أنه من العلوم الأولية البديهية، إذ المحاولة لتحديد تعريف جامع لها، يلزم فيه ظهور مصطلحات فيها من الغموض والصعوبة مما يجعل فهمه أسهل وأيسر تصوراً وإدراكاً من ذلك<sup>(١)</sup>.

وهذا يفسر تجنب كثير من العلماء المحققين أن يتعرضوا لوضع حد معلوم يفسر معنى هذا المصطلح، وإن تحدثوا إنما يتطرقون إلى تحديد ضوابط وشروط بها يصبح القول أو الشيء علماً حقيقياً صادقاً<sup>(٢)</sup>.

وعلم الكتاب والسنة، هو الحق والعدل وبه يتوافق المعلوم ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً، وهكذا علمه ﷺ، إذ علمه ربه، ورباه على عينه، وملاً قلبه حكماً وحكمة، والدعوة إلى الإسلام تشترط ابتداء العلم والدليل والبرهان لكل لفظة يتفوه بها الداعي في طريق دعوته والمحاوّر أشد حوجاً وعازة للعلم: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: د. محمد الخرعان. (العلم، أصوله ومصادره ومناهجه)، ص: ١٣، دار الوطن للنشر. (ط: ١) ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه، ١٣، ١٤.

(٣) البقرة- ١١١ - .

## علاقة الدعوة بالعلم:

إن علاقة الدعوة بالعلم علاقة وطيدة ، فلا دعوة بلا علم ، ولا علم ينفع بلا حركة مباركة ، تنشر النور فتملأ الصدور بكل خير .

وارتباطهما يكاد يكون ارتباطاً كلياً لا فكاك لأحدهما عن الآخر ، ويفسر هذا الارتباط أن أول ما نزل من القرآن : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾<sup>(١)</sup> ثم ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وذلك ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

إذن العلم هو الدعوة [فأي شيء تقرأ وبأي تقرأ] ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

لقد أمر ﷺ بالتحدث بالنعمة في سورة «الضحى» وذكره بمجامعها في «ألم نشرح» . فانتج ذلك إقراره بما أمره به في ختمها من تخصيصه بالرغبة إليه ، وفي التين دل على أنه أهل لذلك لتمام قدرته الذي يلزم أنه لا قدرة لغيره إلا به . فأرشد إلى هذه السورة فقال بادئاً بالتعريف الأصلي «اقرأ» .

فالمعنى أوجد القراءة لما لا مقروء غيره وهو القرآن الجامع لكل خير .

(١) العلق - ١ - .

(٢) المدثر - ٢ - .

(٣) إبراهيم - ١ - .

(٤) العلق (١ - ٥) .

وأوضح أنه لا يقدر على ذلك إلا بعون الله الذي أدبه ورباه على أحسن وجه<sup>(١)</sup>.

فذلك الرب الكريم الذي خلق الإنسان وصوره وعدله وركبه في أحسن صورة وزاد الإكرام بأن علم بالقلم ، علم ما لم يعلم فكيف لا يعلمك أنت ما لم تكن تعلم ، وهو الكريم الأكرم القادر على التعليم بغير القلم كما علم بالقلم<sup>(٢)</sup>.

أذا «اقرأ» يا محمد القرآن<sup>(٣)</sup> «باسم ربك» هو التعرض لعنوان الربوبية المثبتة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً<sup>(٤)</sup>.

فمما سبق تتبين الحقائق التالية :

أولاً : أنه لا بد أن تعلم .

ثانياً : أنه لا بد أن تعلم يقيناً أن الذي يعلمك هو الله ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً : أنه يعلم اسم ربه الذي خلق ، فالله هو الخالق والإنسان مخلوق .

(١) انظر البقاعي . نظم الدر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٢) انظر محمد الراوي حديث القرآن عن القرآن ٥١١ . مكتبة العبيكان (ط : ١) ١٤١٥ هـ .

(٣) انظر الفخر الرازي . ١٤ / ٣٢ .

(٤) انظر أبي السعود ٩ / ١٧٧ .

(٥) النساء - ١١٣ - .

رابعاً: أن الخالق أكرم المخلوق بأنه علمه فالخلق رباني ، والعلم رباني ،  
فكما أن الخلق يقيني ، فالعلم يقيني<sup>(١)</sup> .

وهذا المحاور العالم الذي ترقى في درجات العلم حري به أن يؤثر وينشر  
علمه ، ويكثر المقبلون على دعوته وهكذا كان قدوة المحاورين ﷺ فهو  
حريص على أن يتعلم ، ويتيقن أن الله علمه ويعلمه .

ولذا جاء بعد «علم الإنسان ما لم يعلم» بدل اشتمال من علم بالقلم أي  
علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله ،  
ويعلمه تعالى من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٧٨/٩ .

## التكوين العلمي للمحاور الكرم عليه السلام

تبين النصوص أن الله جل وعلا اعتنى بالرسول عليه السلام ورباه على عينه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾<sup>(١)</sup>، وابن كثير<sup>(٢)</sup> يفسر هذه العناية وهذا الهدى بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

فعلمه ربه بما أوحى إليه: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

فيذكره جل وعلا بأعظم النعم وهي علم الكتاب والسنة ومعهما أسرار الشريعة الزائدة، على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه.

وتفسر السنة وتفصل كيفية هذه العناية ففي الحديث الطويل الخاص بقصة الإسراء يقول عليه السلام في أوله يبين كيف شق بطنه «فتزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتليء حكمة وإيماناً

(١) الضحى - ٦، ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٧٦/٤.

(٣) الشورى - ٥٢.

(٤) النساء - ١١٣.

فأفرغه في صدري ثم أطبقه»<sup>(١)</sup>، ففي ذلك تهيئة ربانية كريمة من اذهاب  
الرجس عنه، وتعبته حكمة وإيماناً.

---

(١) البخاري مع الفتح، ك/ الصلاة، باب (كيف فرضت الصلوات في الإسراء)،  
٤٥٨/١، ٤٥٩.



## حقيقة علمه ﷺ

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) .<sup>(١)</sup>

فهو تعالى يمتن عليه بالعلم ويذكره هذه النعمة العظيمة، وهي علم الكتاب وعلم السنة<sup>(٢)</sup>.

وإضافة لذلك معرفة أسرار الشريعة الزائدة، على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه<sup>(٣)</sup>، «وعلمك ما لم تكن تعلم» وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيح بين ﷺ سعة علمه لقوله: «بينما أنا نائم، أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظافيري ثم أعطيت فضلي يعني عمر. قالوا: فما أولته به يا رسول الله؟ قال: العلم»<sup>(٥)</sup>.

ثم لم يزل يوحى الله إليه، ويعلمه، ويكمله، حتى ارتقى مقاماً من

(١) النساء - ١١٣ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ١/٧٣٦ .

(٣) انظر ابن سعدي، تيسر الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٩٢ .

(٤) نفسه ١٩٢ .

(٥) البخاري مع الفتح . ك/ التعبير باب (اللين) ١٢/٣٩٣ .

العلم، يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها<sup>(١)</sup> لأن الذي علمه وتولاه ربه جل وعلا .

وتعليمه يبدأ من قلبه: ﴿ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ ﴾<sup>(٢)</sup>، فالقرآن هو الذي نزل على قلبه بأمر الله<sup>(٣)</sup> .

والفرق كبير بين تعليم الرب وبين تعليم الخلق ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ سُنِّقِرُوكَ فَلَا تَنْسَى ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي موضع آخر يترقى التفصيل بهذا الفرق، يقول الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾<sup>(٥)</sup> إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾<sup>(٥)</sup>، فالقرآن ينزل به جبريل عليه السلام يقرئه فتجمعه بصدرك وحتى جريانه بلسانك، وأيضاً بيانه بتفهيمه لك<sup>(٦)</sup> . وهذه خصيصة للرسول ﷺ وقد برأه جل وعلا من الهوى وظلماته ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

(١) ابن سعدي . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن .

(٢) البقرة - ٩٧ . .

(٣) تفسير الجلالين ١٥ .

(٤) الأعلى - ٦ . .

(٥) القيامة (١٦ - ١٩) .

(٦) انظر المرجع السابق ٥٧٧، وانظر: صحيح البخاري ك/ التوحيد، باب (قوله تعالى

﴿ لا تحرك به لسانك ﴾) حديث رقم (٧٥٢٤)، ص: ٦٢٨ .

﴿٣﴾ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُوحَى ﴿٤﴾ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿١﴾ .

والمتدبر للقرآن والدارس للسنة الصحيحة بتفهم ودراية وعمق يعلم بحق أنهما يتضمنان الأحوال الماضية، والأخبار المستقبلية، وأحكام العهد الحاضر، فإذا النبي ﷺ تلقى تعليمه من الله تعالى الذي يعلم ما كان وما يكون، وما سوف يكون، ومالم يكن لو كان كيف يكون .

وأمين السر حذيفة - رضي الله عنه - يثبت ذلك في علمه ﷺ فيقول «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ماترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»<sup>(٢)</sup> . وذكر مسلم في ذلك باباً كاملاً عنونه (باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة)<sup>(٣)</sup>

والصحاباة الكرام بفطرتهم العليمة يسألونه عن حدود علمه، فهذا صحابي يسأل الرسول ﷺ عن أمور الدين يتعلم منه ويتنور ثم بعد أن تم سئله وما يقومه قال: هل بقي من العلم شيء لا تعلمه . قال: قد علمني الله عز وجل خيراً، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٣٤﴾<sup>(٥)(٤)</sup> .

(١) النجم (٣-٥) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الفتن، باب (إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة) حديث

رقم [٧٢٦٣] ص: ١١٧٩ .

(٣) المرجع نفسه والمدرک نفسه .

(٤) لقمان - ٣٤ - .

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل مع الفتح الرباني ٧٥/١ .

والسنة وحي يقول ﷺ: «أوتيت القرآن ومثله معه» .

ويقول ﷺ: «مامن الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما قبله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup> .

فالعلم الصحيح الذي ينبغي أن يتلقى بالاقبال والقبول من هذين الوحيين لا سواهما .

فحقيقة العلم في القرآن وفهمه «عن أبي بن كعب، قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال : قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قال : فضرب في صدري وقال : والله ليهنك العلم أبا المنذر»<sup>(٢)</sup> .

فهذا هو العلم الحقيقي وهي منقبة لهذا الصحابي الكريم ودليل على كثرة علمه<sup>(٣)</sup> وأن حقيقة العلم الذي ينبغي أن يتحصله المحاور أساساً هو القرآن، وما اشتمل عليه .

---

وقد رواه أحمد واللفظ له ورجاله كلهم ثقات . الفتح الرباني ١ / ٧٥ .

(١) البخاري مع الفتح . ك / فضائل القرآن . باب (كيف نزل الوحي) ٣ / ٩ .

(٢) صحيح مسلم ومعه شرح النووي . ك / صلاة المسافرين . باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي) ٦ / ٣٣٤ .

(٣) انظر النووي . شرح صحيح مسلم ٦ / ٣٣٤ .

وهو أعلمهم بالله يقول ﷺ: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»<sup>(١)</sup>، وهذا يترتب عليه بأنه أعلمهم بكتاب الله، وكان يحكم بين الناس به قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبر أن رجلين احتكما إليه فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله»<sup>(٣)</sup> «ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطعة معاهد. إلا أن يستغني عنها صاحبها. ومن نزل يقوم فعليهم أن يقروه. فإن لم يكن يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه»<sup>(٤)</sup>.

وأهل السنة كل من ربط بين مقاصد القرآن ومقاصد السنة الصحيحة للرسول ﷺ في كل قول أو سلوك أو عمل كائناً من كان، فهذا هو المقياس الصحيح لكل عقيدة صحيحة وعلم نافع وعمل صالح<sup>(٥)</sup>.

وربط ﷺ علمه بالتقوى والخشية إذ يقول: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»<sup>(٦)</sup>.

(١) البخاري مع الفتح، ك/ الإيمان باب (١٣)، ٧٠/١.

(٢) النساء - ١٠٥ - .

(٣) البخاري مع الفتح، ك/ الحدود، باب (من أمر غير الإمام بإقامة الحد غائباً عنه) ١٦٠/١٢.

(٤) صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٣ - ص ٨٧١.

(٥) انظر: محمد العفيفي، مقدمة في تفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم، ص: ٥، منشورات ذات السلاسل.

(٦) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ الأدب، باب (من لم يواجه الناس بالعتاب)، ٥١٣/١٠.

فهو أعلمهم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله ولذا فهو أشدهم خشية له ،  
وإنما تنقص الخشية والتقوى بحسب نقص المعرفة بالله .

فالخشية أكبر ثمرات العلم ، وهذا مما يدعو المحاور ؛ بأن يكون ذا أثر بليغ  
في محاوراته .

فالعلم الحق مع الخشية الصادقة تجعل المؤمن مستتيراً في قوله وفي عمله  
وفي مدخله ومخرجه ، ومصيره إلى النور ويوم القيامة<sup>(١)</sup> . إلى الجنة ، يقول  
تعالى : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذا عين المراد ولبه ، فالعلم الذي يورث صاحبه خشية الله كائناً ما كان  
نوعه يؤهل صاحبه لأن يكون في زمرة العلماء<sup>(٣)</sup> ، والسلف لذا يرون أن  
العلم ليس بكثرة الرواية ، ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم  
به العبد الحق ، ويميز بينه وبين الباطل<sup>(٤)</sup> .

يقول الإمام مسروق (رحمه الله) : «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله  
تعالى ، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله»<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . ٣/ ٣٨٩ وابن تيمية مجموع الفتاوى . ١٥ / ٧١  
(مرجعان سابقان) .

(٢) الشورى - ٥٢ - .

(٣) انظر د . سيد الشنقيطي . العلاقة بين العلماء والناس ٣٨ .

(٤) انظر ابن رجب ، بيان فضل علم السلف على علم الخلف . (٥٧ - ٥٨) .

(٥) الذهبي . سير أعلام النبلاء ٦٨/٤ .

وقال رجل للشعبي (رحمه الله): افتني أيها العالم . فقال : العالم من يخاف الله<sup>(١)</sup> .

والمحاور الذي يقتدي بالرسول ﷺ لا بد أن يكون عالماً ربانياً وأكثر من غيره التزاماً بهذه الثمرة، إذ أنها ترفعه وتسعفه أشد ما يكون بحاجة لها وقت النزال وتناول الحجج والبراهين، فيتمكن من المحاوره بحق ورشد .

### العلم بدين المدعو وبتقاليده

فالمحاور الكريم ﷺ لتمكنه في العلم وسعة علمه وتنوعه يحاورهم بما يعرفون، بل يفوقهم في معرفة ما يدنون به ومن ذلك وهو كثير محاورته الحكيمة مع عدي بن حاتم رضي الله عنه جاء فيها ساعة رآه :

قال ﷺ : «يا عدي بن حاتم أسلم تسلم» ثلاثاً . قال : قلت : إني على دين . قال : أنا أعلم بدينك منك . فقلت : أنت أعلم بديني مني؟! قال : نعم . ألسنت من الركوسية وأنت تأكل مربع قومك؟ قلت : بلى . قال : «فإن هذا لا يحل لك في دينك» .

فما النتيجة التي آلت إليها هذه الثقة وهذا العلم المكين؟ يقول عدي : فلم

(١) الدارمي . سنن الدارمي ١ / ٨١ .

يعد أن قالها فتواضعت لها<sup>(١)</sup>.

ومع وفد عبدالقيس بعد بيان ودعوة وتعليم جاء فيه: «ونهاهم عن أربع: الحنتم والرباء والنقير والمزفت»<sup>(٢)</sup>.

ففي رواية أخرى فقال له قائلنا: يا رسول الله، وما يدريك ما الزباء والحنتم والنقير والمزفت<sup>(٣)</sup>.

ومعاذ حينما بعثه صلوات ربي عليه إلى اليمن قال له: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(٤)</sup>.

فهو عالم بما يدينون به هناك، وليستفد المحاور ويجمع همته لما سوف يواجهه منهم، ومحاورتهم تختلف عن محاوره غيرهم من أهل الأوثان

(١) المسند. الموسوعة الحديثة ٣٠/١٩٦، ١٩٧.

(٢) البخاري مع الفتح. ك/ الإيمان. باب (أداء الخمس والإيمان).

(٣) الموسوعة الحديثة مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩ ص: ٢٦٣.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح/ ك/ الزكاة. باب (أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا) ٣/٣٥٧.



ومع ذلك أول ما يدعوهم ويحاورهم به توحيد الله فهم أهل انحراف بالتوحيد والقرآن بين ضلالتهم فالرسول ﷺ أعلم بما يدينون به وبما في نحلهم من خرافات وأباطيل<sup>(١)</sup>.

### الفهم الدقيق:

والرسول الكريم ﷺ كان مع سعة علمه ذو فهم دقيق ومنتقن في جميع أقواله وأفعاله .

فليس كل عالم ذا فهم دقيق، وفي القرآن ما يدل على ذلك، يقول تعالى في قصة داود وسليمان عليهما السلام ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾<sup>(٢)</sup>، فجمعهما في الحكم والعلم، وميز سليمان (عليه السلام) بالفهم، وهو علم خاص زاد على العام بفصل الخصومة<sup>(٣)</sup>.

والعلم يحتاج إلى فهم ودقة؛ يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ابن حجر. فتح الباري ٣/٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) الأنبياء - ٧٩ .

(٣) ابن حجر. فتح الباري . ١٣/١٤٨ .

(٤) آل عمران - ٧٩ .

فالحكم المراد به العلم والفهم ، لأنه قد يعلم ولا يفهم وهذا واضح في السنة إذ يقول الرسول ﷺ : «ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»<sup>(١)</sup> .

فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث ما يدل على أهمية الفهم وصلته بالعلم<sup>(٣)</sup> ، فابن عمر رضي الله عنهما يقول : «كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار فقال : إن من الشجرة شجرة مثلها كمثل المسلم ، فأردت أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم فسكت . فقال النبي ﷺ : هي النخلة»<sup>(٤)</sup> .

فلا يكفي المحاور في مجال حواراته أن يحفظ العلم ، بل يزيد بدقة فهمه ويتعدى ذلك إلى الغوص في مراميه وإن كانت غير ظاهرة<sup>(٥)</sup> .

وأبوبكر - رضي الله عنه - يستمع إلى الرسول ﷺ يقول : «إن عبداً خيره الله» فبكى أبو بكر وقال : فدينك بأبائنا فتعجب الناس ، وكان أبوبكر فهم من المقام أن النبي ﷺ هو

(١) البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (قول النبي ﷺ : «رب مبلغ أوعى من سامع») ١٥٨/١ .

(٢) ابن حجر . فتح الباري ١٦٥/١ .

(٣) البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (الفهم في العلم) ١٦٥/١ .

(٤) البخاري مع الفتح . ك/ العلم . باب (الفهم في العلم) ١٦٥/١ .

(٥) انظر ابن حجر . فتح الباري . ١٧٠/١ .

المخير . فمن ثم قال أبو سعيد : فكان أبو بكر أعلمنا به .

وقدوة المحاورين ﷺ وصحابته كانوا من أكثر الناس فهماً  
ووعياً لما يحيط بهم ، فالمحاور يحتاج إلى الفهم والفتنة دائماً ، وخاصة  
أن أغلب من يتصدر لمقام الجدل من عنده علم ودراية .

فهذا سلمان رضي الله عنه يتحاور مع يهودي فقال اليهودي : إنني أرى  
صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراء . فقال : أجل إنه نهانا أن يستنجي  
أحدنا . يمينه أو يستقبل القبلة ، ونهى عن الروث والعظام ، وقال : لا  
يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار<sup>(١)</sup> .

فالصحابي الكريم بحواره فطن وفهم فاستثمر ذلك وبنى  
رده على كلمة من مشرك أراد بها مسبة فحولها إلى شهادة عظيمة  
يحجج بها .

### ومن الفهم الدقيق:

الزهد بالدنيا وفهم حقيقتها فالقرآن يربط بين العلم السليم وبين أسلوب  
الحياة ككل ، فيرتبط الإنسان بربه في عباداته وفي علاقاته وفي معاملاته .

ومن هذه الحقائق ، أن يفهم غايته الحقيقية فيسعى لها بجد وكد ولا  
تواني ، وهي نيل رضا ربه والفوز بذلك فأصل علم الأنبياء وعملهم هو

(١) صحيح مسلم بشرح النووي . ك/ الطهارة . باب (آداب قضاء الحاجة) ٣/ ١٥٢ .

العلم بالله والعمل لله، وليس العلم ما اختزنته العقول، بكثرة الدراسة والقراءة والحفظ، فقد سمع أحد الصحابة رضوان عليهم الرسول ﷺ يقول: «ذاك أوان ذهاب العلم» قال للرسول الكريم محاوراً وكيف يذهب العلم؟ ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبنائنا أبنائهم إلى يوم القيامة؟ قال الرسول الكريم ﷺ: «ثكلتك أمك زياد، إن كنت لأراك من أفاقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والأنجيل لا يعلمون بشيء مما فيهما»<sup>(١)</sup>، وفي القرآن تأكيد لذلك ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد شبه من يقرأ ولا يطبق ويسعى وفق ما علم من حق وقيس شؤونه دقها وجلها بمقياس الشارع فهو وأهل الكتاب سواء، وفي ذلك دلالة على الحرص بأن يكون العلم هادياً لأحسن الأعمال والنوايا وقد جاء في القرآن بيان لحقيقة العلم السليم وتوجيه رباني لنظرة العلماء للدنيا وزينتها، إذ جاء في خبر قارون الغني المقروء بما أوتي من أبهة الدنيا وأموالها، يقول تعالى حكاية عن ذلك: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ

(١) صحيح ابن ماجه باختصار السند . ك/ الفتن . باب (ذهاب القرآن والعلم) حديث رقم

. ٤٤٨ ، ٢ / ٢٧٧ .

(٢) الجمعة - ٥ - .

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ (١).

فأهل العلم والدين قالوا للذين تمنوا هذا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعمة، لأن الثواب يتضمن منافع عظيمة وخالصة عن شوائب المضار ودائمة (٢).

ونظر أهل العلم بعيد المدى، إذ عرفوا حقيقة هذا الدين واستدلوا على أن العمل للآخرة هو الحقيقة التي تبقى وترقى، وأما هذه الدنيا فما هي إلا دار للعمل الصالح لا تتجاوز ذلك، ولا تستقر في القلوب.

فالعلم بالله واليوم الآخر يقودان إلى كل خير، وبدونهما يبقى العلم قشوراً لا يؤثر في حياة الإنسان ولا ترفعها، وقيمة كل علم مرهونة بأثره في النفس، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ (٣).

ولا يفلح قلب تعلق بالدنيا وأهلها، وإنما العلم دليل، فمن لم يدله علمه على الزهد في الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم، ولو علم ما علم، فإنما ذلك ظاهر من العلم، والعلم النافع وراء ذلك (٤).

(١) القصص (٧٩، ٨٠).

(٢) انظر الرازي. التفسير الكبير ١٦/٢٥.

(٣) هود (١٥ - ١٦).

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٧/١٢.

فالتمخض للشغل بأمر الدنيا يحدث الإعراض عن الفكر في الآخرة، والعمل لها، والنظر في العاقبة، وانصرفاً عن عبادة الله وحده<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى في حقيقة علم هؤلاء الدنيويون ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٢٩)</sup> ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿<sup>(٣٠)</sup>﴾<sup>(٢)</sup>.

والمحاور بحاجة إلى أن يستحضر الدليل، وهذا من متطلبات الانتفاع بالعلم، ومن أدلة الفهم الدقيق: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

والرسول ﷺ كان حاضر الدليل، فحواراته على كثرتها يشاهد فيها براعته في الاستدلال وفي القياس من أشهر ذلك ما جاء في أصل من أصول الحوار وهو حوار مع الرجل الذي جاءه وقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود؛ ففهم تعريضه ثم رد عليه فقال: «ألك من إبل؟». قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم. قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعله عرقاً نزعته. فقال رسول الله ﷺ: وهذا الغلام لعل عرقاً نزعته<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦٥/١٩.

(٢) النجم (٢٩-٣٠).

(٣) البقرة-١١١.

(٤) يونس-٦٨.

(٥) البخاري مع الفتح. ك/ الطلاق. باب (إذا عرض ينفي الولد) ٤٤٢/٩.

وموضع الشاهد استحضاره الدليل بقدره فائقة واختياره بحسب فهم  
المحاور، وبحسب الموضوع المطروح، ومن مشاهداته في بيته وعمله.

ففي الحديث ضرب المثل، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل،  
واستدل به لصحة العمل بالقياس واعتبره العلماء أصلاً في قياس الشبه<sup>(١)</sup>.

وهذا غاية في حسن الاستدلال وفي حقيقة الجدال كما وصفه القرطبي  
في ذلك، فقال: «هذا حقيقة الجدال ونهاية في تبين الاستدلال»<sup>(٢)</sup>،  
فجوابه ودليله كان حاضراً مع إصابة المعنى، وإيجاز اللفظ وبلوغ الحجة.

ولذا يقول صلوات ربي عليه: «بعثت بجوامع الكلم»<sup>(٣)</sup> فهو المبين لأمته  
ما أنزل، فأوضح كل الأمور المهمة وخص بجوامع الكلمة، فرمما جمع  
أشتات الحكم والعلوم في كلمة أو شطر كلمة<sup>(٤)</sup>.

بل إنه ﷺ يلقن المحاورين الحجة ويذكرهم بها كما فعل في حوارهم مع  
الأنصار فبعد أن أدلى بحججه، وقال بأدلته الملزمة المضممة حتى قالوا  
مذعنين نادمين: «الله ورسول آمن»، فقال: لو شئتم قلت: جئتنا كذا

(١) ابن حجر. فتح الباري. ٤٤٤/٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/٤.

(٣) البخاري مع الفتح. ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة. باب (بعثت بجوامع الكلمة) ٢٤٧/١٣.

(٤) انظر ابن رجب الحنبلي. جامع العلوم والحكم ١٣. مكتبة العبيكان. الرياض. ١٤١٨ هـ

بدون رقم.

وكذا<sup>(١)</sup>.

فهو ينفي ويثبت ولكن بدليل ولا دليل إلا ما يثبت بالعلم، سواء بالنسبة  
لنفي الأشياء أو الأحكام وإثباتها وسواء كانا متعلقين بأمور الدين أو الدنيا.

وهذه من أهم القواعد التي ينبغي أن يتنبه لها المجادل فيما يتعلق به، وبما  
يتعلق بمحاوره فلا يقول إلا بعلم ولا يقبل إلا بعلم<sup>(٢)</sup>.

فالمحاور قد يفاجأ من المحاورين بطلب الدليل، أو بإيراد ما يعارض  
دعوى المحاور، وهذا يحتاج إلى ذهن متقد حاضر في كل أمر.

---

(١) صحيح البخاري . ك/ المغازي، باب (غزوة الطائف في شوال سنة ثمان)، رقم الحديث

[٤٣٣] ص : ٣٥٤ .

(٢) انظر د . عبدالله بن ضيف الله الرحيلي . قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد

الشبهات . ٥٣ . دار المسلم . الرياض (ط : ١) . ١٤١٤ هـ .



المبحث الثاني  
البلاغة والبيان

---

## البلاغة:

بالعودة إلى أصل هذه المادة في كتب اللغة يرى المطلع أنها متعددة المعاني والدلائل ، وتتركز المعاني المرادة في هذا المبحث حول معنيين :

١ - الوصول إلى الشيء المراد حتى نهايته .

٢ - الفصاحة وحسن البيان<sup>(١)</sup> .

والمعاني الخاصة بكلمة والبيان تدور حول هذه المعاني فهي تدل على :

١ - الوصل ، وما بين به الشيء من الدلالة وغيرها .

٢ - الفصاحة واللسن وعلوم الكلام مع عدم الرجح<sup>(٢)</sup> .

٣ - بعد الشيء وانكشافه مع الوضوح التام<sup>(٣)</sup> فيلاحظ تقارب معانيها

ووضوح الدلالات المذكورة على ما يراد إيضاحه في هذا المبحث فيمكن الخلوص مما سبق أنها تتمحور حول ثلاثة عناصر هي :

١ - الوسيلة الموصلة إلى نهاية المراد .

٢ - الربط المحكم للكلام .

٣ - الفصاحة وحسن الكلام .

---

(١) انظر : ابن منظور، لسان العرب، مادة: بلغ .

(٢) انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة ، بين .

(٣) انظر : المعجم الوسيط ، مادة : بين

وما أحوج المحاور وأعوزه لذلك، حيث إنه يهدف إلى بلوغ الغاية في التأثير في نفس المحاورين، بأمثل قول وأحسنه، ولذا في القرآن: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣) ﴿<sup>(١)</sup> انصحهم بكلام بليغ يتغلغل في نفوسهم<sup>(٢)</sup> .

وذا يكشف ربط القرآن البلاغ والندارة بالبيان: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٩٢) ﴿<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٨٤) ﴿<sup>(٤)</sup> .

### في الإصطلاح:

ومفهومها عند المحققين من المتقدمين لا يتعدى ما ذكر فابن رجب يرى إن البلاغة هي:

«التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها»<sup>(٥)</sup> .

والقرطبي<sup>(٦)</sup> يرى إنها «إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة من

(١) النساء - ٦٣ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٦٩١ / ١ وابن عاشور . التحرير والتنوير ١٠٨ / ٥ .

(٣) المائدة - ٩٢ - .

(٤) الأعراف - ١٨٤ - .

(٥) ابن رجب الحنبلي . جامع العلوم والحكم ٨٦ . مكتبة العبيكان . ١٤١٨ هـ بدون رقم .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٣٢٧ .

فقد حصرها بالإيجاز مع الصواب من الأخطاء اللغوية وهذا فيه إشارة لمناسبة هذه الصفة لمقامات المحاورات والمناظرات، ولذا في موضع آخر قال البلاغة هي «أن تقول فلا نبطيء وأن نصيب ولا نخطيء»<sup>(٣)</sup>. وهذا القول بعد فعل إذ تفنن ببلاغة وقوة بيانه قال عن هذه الميزة فيه فأجاب بذلك الجواب.

فالبلاغة والبيان غايتها قوة الأداء مع الصحة، وسمو التعبير مع الدقة فهذه القوة هي التي تجعل اللفظة المفردة في الذهن ذات مغزى ومعنى تام<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر فتح الباري ٩/٢٠٢.

(٢) الجاحظ. البيان والتنوير ١/ وابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة ٢/١٧٠.

(٣) المرجع السابق نفسه ٢/١٧٠.

(٤) انظر مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ١/١٦، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ للطبعة).

## أهمية البلاغة والبيان في الدعوة إلى الله:

إن عرض الدعوة والقضايا الإيمانية وتوضيح التشريعات الربانية، هذه التكاليف المتعددة مهمة شاقة، تتطلب بياناً واضحاً، وعرضاً بياناً.

لهذا ينبغي أن يكون المحاور في غاية البلاغة والبيان، ومثلاً عالياً في الفصاحة وأن يمتاز عن غيره؛ حتى يظهر فضله ويعرف مكانه.

والمحاور يحتاج إلى فصاحة اللسان، وحسن البيان، فمجاله يقوم على التفاعل وجمال العرض، وتلوين الأسلوب وتنويعه ووضوح التعبير، وسلامة التفكير.

والتفكير السليم لا بد أن تنقله عبارات سليمة واضحة، وبذا تكون هذه الصفة من الشروط الواجب توافرها بالمحاور.

فالبلاغة والبيان من أهم الوسائل الناجحة الفاعلة للإقناع وإلزام الحجة وبلاغها وهذا أكده القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

فعرض اللسان البيان ليفهم عنهم ما يبلغون<sup>(٢)</sup>، واللسان العربي من أفصح الألسن وأعذبها، ولذا أرسل ﷺ إلى الخلق كافة بلسان واحد، لأن

(١) إبراهيم - ٤ - .

(٢) انظر ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٦٨٨/٢ .

المقصود جمع الخلق على الحق، فجمعهم على لسان واحد أنسب ما يكون لذلك<sup>(١)</sup>.

وهذا موسى عليه السلام يقرر موضع البلاغة والبيان في مجال الحوار إذ يقول تعالى عنه: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهو ذاهب لمجادلة ومحاورة فرعون وملأه فيحتاج إلى الفصاحة وحسن البيان فهو يعلم بفصاحة لسان أخيه وبيانه<sup>(٣)</sup>، ومعنى تصديقه إياه أن يكون سبباً في تصديق فرعون وملئه إياه ببيانه عن الأدلة التي يلقاها موسى في مقام مجادلة فرعون<sup>(٤)</sup>، ولذا في موضع آخر قال ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾<sup>(٥)</sup> «في المحاجة على ما أحب»<sup>(٦)</sup>.

فالقصد من الإنطلاق هنا فصاحة اللسان وبيانه في الكلام «أي ينحبس لساني فلا يبين عن إرادة المحاجة والاستدلال وعطفه عليّ» يضيق صدري»  
ينبيء بأنه أراد بضيق الصدر تكاثر خواطر الاستدلال في نفسه على الذين

(١) انظر البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/١٦٨ .

(٢) القصص - ٣٤ - .

(٣) انظر ابن الجوزي . زاد المسير في علم التفسير ٦/٢٢١ .

(٤) ابن عاشور . التحرير والتنوير ٢٠/١١٦ .

(٥) الشعراء - ١٣ - .

(٦) القرطبي . الجامع لاحكام القرآن ١٤/٩٢ .

كذبوه ليقنعهم بصدقه حتى يحس كأن صدره قد امتلأ والشأن أن ذلك ينقص شيئاً بعد شيء بمقدار ما يفصح عنه صاحبه من البلاغة إلى السامعين، فإذا كانت في لسانه حبسة وعي بقيت الخواطر متجلجلة في صدره»<sup>(١)</sup>.

ولذا انتهز هذه فرعون، فقال محتجاً بحبسة في منطق موسى عليه السلام ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾<sup>(٢)</sup> (٣٢٢).

وقالوا: البيان بصر، والعي عمى، كما إن العلم بصر والجهل عمى، والبيان من نتاج العلم، والعي من نتاج الجهل<sup>(٤)</sup>.

يقول تعالى في خلقه للإنسان: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾<sup>(٥)</sup> (٨) ولساناً وشفَتين<sup>(٦)</sup> (٩) وهديتاه النجدين<sup>(٧)</sup> (١٠)، إذ يمن سبحانه بما وهبه من آلات النطق وهي اللسان والشفتان ومفتاح الصدر ورغبات القلب.

(١) ابن عاشور. التحريز والتنوير ١٩/١٠٦.

(٢) الزخرف - ٥٢ - .

(٣) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ٢٥/٢٣٠.

(٤) انظر الجاحظ. البيان والتبيين. ١/٧٧ دار الجيل بيروت. بدون رقم وتاريخ.

(٥) سورة البلد (٨-١٠).

ثم جاء بيان أهمية البيان فقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>(١)</sup>.  
فيمنَّ بقوة النطق التي هي من لطائف صنعة التحدث في الإنسان مما يميزه  
ويعلي مقامه عن سائر المخلوقات<sup>(٢)</sup>؛ فجعل قوله ﴿علمه البيان﴾ تفسيراً  
لقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ لم يفصل بينهما بفاصل؛ ففيه تنبيه بأن البيان من  
أخص خصائص الإنسان<sup>(٣)</sup>.

فيتضح مما سبق أن البلاغة والبيان إذا كانت من أهم الصفات للداعية،  
فهي للمحاور ألزم وأهم وهذا الذي استبان وتأكد من خبر موسى عليه  
السلام وهو من أولي العزم من الرسل، إذ فزع من مقام حوار لا يفصح  
فيه، وعدّها مسبه ونقصاً فيه.

### البلاغة والبيان في الهدي النبوي:

لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، والرسول الكريم ﷺ من أنسب  
العرب وأبينهم، ولأن أمتة ذات فصاحة وبلاغة، كانت معجزته القرآن  
المعجز في بلاغته وفصاحته، وكانت من أخص صفات الرسول ﷺ  
الفصاحة لتكون له المكانة الجليلة في نفوس قومه<sup>(٤)</sup>.

وأثنى القرآن على اللسان العربي في مواضع عدة مثل قوله تعالى:  
﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾<sup>(٥)</sup>، عربي واضح بين فصيح، يشتمل

(١) سورة الرحمن (٣-٤).

(٢) انظر: عبدالعزيز سيد الأهل، من الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، ص: ١٢١. القاهرة  
١٤٠٠، (بدون رقم للطبعة) ولم تذكر دار للنشر.

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه. ص: ١٢١.

(٤) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ٢٣١/٢٥.

(٥) الأحقاف- ١٢ - .



على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين<sup>(١)</sup>، ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ  
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ٩٧ ﴿<sup>(٢)</sup>.

فلغته أفصح اللغات، وأنفذها في نفوس السامعين وأحب اللغات  
للناس، فإنها أبلغ وأشرف وأفصح من غيرها من اللغات.

وأدمج لفظ «لساناً» للدلالة على أن المراد عربية ألفاظه لا عربية أخلاقه  
وتعاليمه<sup>(٣)</sup>.

وغلب إطلاق اللسان على اللغة لأنه أشرف ما يستعمل فيه اللسان هو  
الكلام قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٤٤ ﴿<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا  
بِلِسَانِكَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥٨ ﴿<sup>(٦)</sup>.

والعرب من أكثر الأمم معرفة لقدر البيان، وإدراكاً لخطره بل وإحساساً  
بأثره، واستجابة له، فكم من بيت شعر رفع وضيعاً رفيعاً، فصناعة الكلام  
تجد بين العرب سوقاً نافعة، وأخبار أسواقهم الأدبية، وتفاجرهم بالبيان،  
واحتكامهم إلى النقاد، أوضح من أن يشار إليها<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ٣/٤.

(٢) مريم - ٩٧ - .

(٣) انظر المرجع السابق نفسه ٢٥/٢٦.

(٤) إبراهيم - ٤ - .

(٥) سورة مريم - ٩٧ - .

(٦) الدخان - ٥٨ - .

(٧) انظر د. عبدالغني بركة. أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً ٦٣ (مرجع سابق).

فعرفوا قيمة البيان وخطره، فيتلمسون أسباب التفاوت بين كلام وكلام، ويتبعون الفرق بين بليغ وبليغ<sup>(١)</sup> وفي الخبر «قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس يعني لبيانهما فقال رسول الله ﷺ إن من البيان لسحراً» وابن حجر يرى إنه شبهة بالسحر لأنه صرف الشيء عن حقيقة، والمراد هنا تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين وهو بحسب قصده<sup>(٢)</sup>.

والبيان والبلاغة لهما الأثر البالغ لما استعملا له؛ ولذا يقول ﷺ «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك»<sup>(٣)</sup>.

والبلاغة والبيان، تعتمد تخير الألفاظ المؤثرة في الأفهام لتقرير حجة الله في نفوس وعقول المدعويين، ورغبة في حسن استجابتهم.

وأما فصاحته وبلاغته ﷺ فهي بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان وقلة تكلف<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح سنن أبي داود باختصار السند. ك/ الأدب. باب (ما جاء في التسرف في الكلام) ٩٤٥/٣.

(٢) انظر ابن حجر. فتح الباري ٢٠٢/٩.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح. ك/ المظالم. باب (إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه) ٥/١٠٧.

(٤) انظر القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ١٦٧/١.

ومع ذلك لا يتكلف وينهى عن التكلف والتشدد جاء في الحديث «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»<sup>(١)</sup>.

وجاء في القرآن شهادة له ﷺ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والترمذي يعنون هذا الباب ما جاء في الفصاحة والبيان إذ إنه ﷺ يحد حدوداً لها فلا يعني من البيان والبلاغة أن الإنسان يتعرب بها ويتشدد ويفخر فهي منضبطة بأداب السلام.

فبلاغته وإبانته ﷺ تكون باختصار الحديث يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السامة علينا» فبلاغته من بلاغة القرآن وقوة بيانه «أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(٣)</sup>، وهذه المواعظ مؤثرة تبلغ مداها؛ فعن العرباض بن صارية ظل: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة زرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . . .»<sup>(٤)</sup>، ويقول أحد المتأثرين من الصحابة - رضي الله عنهم - نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا

(١) صحيح سنن الترمذي باختصار السند. ك/ الأدب. باب (ما جاء في الفصاحة والبيان)

حديث رقم [٢٨٥٣] ٢/ ٣٧٥.

(٢) ص - ٨٦ - .

(٣) البخاري، رقم [٦٨].

(٤) أبو داود، حديث رقم [٤٦٠٧].

بالنار والجنة حتى كأننا رأينا العين...»<sup>(١)</sup>.

فقد أوتي جوامع الكلم « بعثت بجوامع الكلم ». <sup>(٢)</sup> وفي رواية « أعطيت مفاتيح الكلم ». <sup>(٣)</sup>

وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى إن أصحابه كثيراً ما يسألونه عن شرح كلامه، وتفسير قوله. <sup>(٤)</sup>

وحتى الجن شهدت بفصاحته فعمر رضي الله عنه في قصة إسلامه يذكر أنه سمع صارخاً يقول « يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول : لا إله إلا الله. »<sup>(٥)</sup> ويقول ﷺ : « أنا أعربكم أنا قرشي واستعرضت في بني سعد بن بكره ». <sup>(٦)</sup>

ومن تأمل حديثه وسيره ، علم ذلك وتحققه ، وقصص وفود الناس عليه بعد الفتح لأكبر دليل وأوضحه ، إذ يحاور كل وفد بلسانهم، ويزيد عليهم

(١) مسلم رقم الحديث ( ٢٧٥٠ )

(٢) البخاري مع الفتح ك / الاعتصام بالكتاب باب ( بعثت بجوامع الكلم ١٣ / ٢٤٧ )

(٣) البخاري مع الفتح ك / التعبير . باب ( رؤيا الليل ) ١٢ / ٣٩٠

(٤) انظر القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١ / ١٧٦

(٥) البخاري مع الفتح . ك / مناقب الانصاب . باب ( إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ) ٧ / ١٧٧

(٦) ابن كثير . السيرة النبوية ١ / ٢٣٢ .

بلاغة وبياناً.

فهو أبلغ العرب قاطبة وأفصحهم وكان حديثه عوناً وتبعاً للقرآن في نشر اللغة العربية وفي حفظها وبقائها، وشاعت ألفاظ ومصطلحات، لم تكن تستخدم من قبل<sup>(١)</sup>.

ويبدأ أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغى إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار البلاغ في المعنى الذي يريد<sup>(٢)</sup>.

فالداعي لا يكفي أن يعلم ما يقول. بل يجب أن يقوله كما ينبغي ويستعين بكل أساليب القول وفنونه، من تصوير وتمثيل، وقصص، وترغيب وترهيب، والرسول الكريم ﷺ استخدم كل ذلك وزيادة ليصل لنفوس السامعين.

---

(١) انظر د. شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ٤٠ دار المعارف. القاهرة (ط: ١٦) بدون تاريخ.

(٢) انظر الرافي. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ٢٦٩، ٢٧٠. دار الفكر العربي. مصر ١٤١٦ هـ بدون رقم.

ولذا أكرمه - جل وعلا - بمعجزة القرآن الكريم ، وهي المثل الأعلى لكل بلاغة وبليغ وهي جزء مما حواه هذا الذكر الحكيم .

فهو يبين لامته ما أنزل ، فأوضح كل الأمور المهمة وخص بجوامع الكلم ، فرمما جمع أشتات الحكم والعلوم في كلمة أو شطر كلمة .

ومما يؤكد ذلك رسائله الحوارية لملوك وعظماء زمانه ، ومنها رسالته الجامعة ، البليغة لهرقل عظيم الروم جاء فيها : «أما بعد فإنني ادعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»<sup>(١)</sup> .

فهذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب قد أشتملت على الأمر بقوله : «أسلم» والترغيب بقوله فإن توليت والترهيب بقوله : «فإن عليك» والدلالة بقوله : «يا أهل الكتاب» ، وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى<sup>(٢)</sup> .

يقول ﷺ : «أنا محمد النبي الأمين» - قال ذلك ثلاث مرات - «ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه»<sup>(٣)</sup> .

وألفت أسفار عديدة في جمع كلمه وحكمه وأمثاله ﷺ ، وقصصه بما فيها من شخصيات ومؤثرات .

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك/ بدء الوحي . باب (٧) ١/ ٣٢ .

(٢) ابن حجر . فتح الباري ١/ ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) المسند ٢/ ١٧٢ - ٢١٢ .

ومن متطلبات ولوازم البلاغة والبيان معرفة لغة المدعو، ومفاهيمه  
البيانية، فاللغة هي من أسس الحوار، ومن أهم ركائزه التي يقوم عليها ولذا  
أرسل الله كل رسول بلسان قومه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ  
لَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، فاللغة أداة الإنسان الرئيسة في التفكير، واكتساب المعرفة،  
وتحصيل العلوم، وبها يتمكن الإنسان من تناول جميع المفاهيم في تفكيره  
بطريقة واضحة<sup>(٢)</sup>.

وقد حرص الرسول ﷺ أن يكون محتاطاً في مخاطبته لجميع أصناف  
الناس زمان رسالته، والقدرة على مخاطبتهم بلغاتهم، لسلامة وصول  
العلم، وسلامة فهم مراميه، وليحتاط من حدوث خلل في مرور الدعوة بما  
له علاقة بالدعوة.

ومن الأدلة على ذلك: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني  
رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية، وفي رواية أن أتعلم لغة يهود<sup>(٣)</sup>.  
فلماذا حرص الرسول ﷺ على تعلم لغة المحاورين؟

(١) إبراهيم - ٤ - .

(٢) انظر د. محمد عثمان نجاتي. القرآن وعلم النفس ١٤٧ .

(٣) مشكاة المصابيح مع شرح الطيبي: ٣٠٤٩/١٠ .

إنه صلى الله عليه وسلم يخشى من التحريف؛ فلا يصل قوله كما يريد فقد جاء قوله صلى الله عليه وسلم «لا آمن يهود على كتاب»<sup>١</sup>.  
فقد تبين من قوله صلى الله عليه وسلم أنه مما تتم به البلاغة معرفة لغات المدعويين، ومن المعلوم أن من أصناف المخاورين أهل الكتاب؛ والإسلام دين يشجع الحوار مع الآخر، ويشجع الآخر أن يدافع عن آرائه، وما يخطر عليه، وتجهيز مألديه من دليل، والمخاور مطالب بالجدور والإحتياط والتثبت، حتى لا تختلط الحقيقة بالخيال، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة لغة المدعو.

فمن الأخبار والنصوص السابقة يتبين أن أسلوب حديثه صلى الله عليه وسلم جاء على لغة التخاطب المعتاده عند العرب. في خطابه وقصصه، وأمثله، ويعالج من خلالها جزئيات المشكلات وأمهاتها، ويجيب عن كل التساؤلات ويحاول ويناقش بلغة واضحة سهلة لمن يخاطبه ويتوجه إليه كلامه، مع سمو في التعبير، وأدب في الحديث، وجمع المعاني الدقيقة والكثيره في جمل مختصره.

وهو مع هذا يتحدث بلسان عربي، كما هي آلسنة العرب التي الفوها ولكنه يسمو ويرتفع بياناً وبلاغةً على كل لسان.

**والبيان النبوي يرتكز على ثلاثة أمور:**

١ - المعنى الذي يصدر عنه، والله سبحانه وتعالى بين المصدر الذي ينهل منه الداعي « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون »<sup>(٢)</sup>.

١ - التبريزي، مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٦٥٩) / ٣ / ١٣٢٠، تحقيق الالباني، وقال في الحديث (إسناده صحيح).

(٢) - النحل - ٤٤ -



٢- الكلمة الهادية المؤثرة الجميلة المباني « قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » (٣).

وهكذا كان صلى الله عليه في اختياره لأطيب وأهدى الكلمات .

٣- الجانب النبوي الإنساني في إختيار المعني والمبني لما يقول ؛ فقد يكون المعني

جيداً والكلمة بليغة ولكنها لاتبلغ مداها في النفوس لعائق من ضعف إخلاص أو

تكبر.. الخ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد إجتمعت فيه جميع عوامل

التأثير. (١)

(٣) النساء - ٦٣ -

(١) انظر د. حسن عيسى عبدالظاهر . فصول في الدعوة والثقافة الاسلامية ص ٤٨-٤٩ ، دار القلم، الكويت

(ط: ١) ١٤٠١ هـ ، ود. عبدالعزيز عتيق ، علم ( المعاني ، البيان ، البديع ) ص ١٠ ، ١١ ، دار النهضة العربية

بيروت ، ب : ت

**المبحث الثالث**  
**التجرد والإنصاف**

---

## المطلب الأول: التجرد:

### توطئة:

الدعوة من الله، وينبغي أن تكون لله في كل كلمة أو حركة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) ﴿١﴾.

فما أتته في حياتي وما يجريه الله علي يقدر علي في مماتي الجميع لله رب العالمين.

فالرسول ﷺ بعد مجادلته لقوم غاية المجادلة في الحق، وأبان لهم طريقه بكل السبل، وبين أصول الدين المأمور بتبليغها لمن يدعوهم، بعد ذلك بين قصده وباعثه، وتجرده، فيعلن تمسكه بما يدعوهم إليه واعتصام به قولاً وعملاً وإيماناً وتسليماً باعتباره الدين الذي يقوم به وبذلك يهدم كل رياء وشرك، وكل عمل لا يراد به وجه الله، فيبقى التوحيد خالصاً لله (٢).

فالدعوة من بدأها إلى متنهاها تعتمد التجرد التام والإخلاص الصادق لله عز وجل.

فكل نبي يبدأ حواراً مع قومه قائلاً: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩) ﴿٣﴾.

قالها نوح - عليه السلام - وكل إخوته من الرسل عليهم السلام تبعوه بها

(١) الأنعام - ١٦٢ - .

(٢) انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير ١/٨، ١٩٧. وتفسير القرآن الحكيم ٨/٢٣٨، ٢٣٩.

(٣) الشعراء - ١٠٩ - .

وفي ختام محاورته - عليه السلام - مع قومه : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٧٢) ﴿<sup>(١)</sup> .  
وبعدها جاء قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وبعد ذكر أسماء مجموعة كريمة من الأنبياء والرسل يقول تعالى منبهاً رسوله الكريم ﷺ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال بعد ذلك : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

فالمراد بذلك إنه لما أمره بالافتداء بهدي الأنبياء (عليهم السلام) المتقدمين وكان من جملة هداهم ترك طلب الأجر في إيصال الدين وإبلاغ الشريعة ، فلا أطلب مالاً ولا جعلاً «إن هو» يعني القرآن ﴿إلا ذكري للعالمين﴾<sup>(٥)</sup> .

ومن أوضح الأدلة وأصدقها على سلامة الدعوة وصحتها تجرد الداعي لها ولذا فإن مؤمن سورة «يس» أثناء محاورته لقومه يدلل بوضوح على صدقهم : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> .

وعن محمد ﷺ جاء في القرآن توجيه وتوصية والتزام بها : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾<sup>(٧)</sup> وفي محاوراتهم يعرضون عليه

(١) يونس - ٧٢ -

(٢) يونس - ٧٣ -

(٣) الأنعام - ٩٠ -

(٤) الأنعام - ٩٠ -

(٥) انظر الرازي . التفسير الكبير ٥٩ / ١٣ .

(٦) يس - ٢١ -

(٧) الشورى - ٢٣ -

المال والجاه والسيادة والملك<sup>(١)</sup> .

وفي أول النص السابق: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٢)</sup> .

كأنه قيل: ماذا تطلب على هذه البشارة، فأمر بالجواب بقوله «قل» أي لمن توهم فيك ماجرت به عادة المبشرين<sup>(٣)</sup> .

وهذا ما فعله سحرة فرعون قبل توبتهم وأوبتهم الصادقة إلى ربهم فأول ما جاء بهم فرعون قالوا: ﴿أَتِنَّا لَنَا لِأَجْرٍ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup> .

وبعد إيمانهم وإخلاصهم قالوا لفرعون حين تهددهم وتوعددهم بكل مرهب: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

فمن أول ما بدأ بالندارة والمجادلات المريرة، وهو ﷺ يبين بوضوح إنه لا يريد جزاء ولا شكوراً إلا من ربه «فتضمنت الآية أن النبي ﷺ منزّه عن أن يتطلب من الناس جزاء على تبليغ الهدى إليهم فإن النبوة أعظم مرتبة في تعليم الحق وهي تعرف مرتبة الحكمة والحكماء تنزهوا عن أخذ الأجر على

(١) انظر ابن هشام السيرة النبوية. والذهبي تاريخ الإسلام (السيرة النبوية). وابن كثير. السيرة النبوية ٥٠٤/١ .

(٢) الشورى - ٢٣ .

(٣) البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٦٢٣ .

(٤) الشعراء - ٤١ .

(٥) الشورى - ٥٠ .

تعليم الحكمة، فإن الحكمة خير كثير والخير الكثير لا تقابله أعراض الدنيا  
ولذلك أمر الله رسله بالتنزه عن طلب جزاء عن التبليغ»<sup>(١)</sup>.

فشعار كل رسول أن يعلن بوضوح عدم طلب الأجر لدعوته، وفي هذا  
مغزى عميق؛ فالمحاور المسلم لا بد أن يتجرد لدعوته ويخلص لها ويضحى  
في سبيلها؛ فإذا كانت الدعوة مصدراً للرزق أو لمنافسة الآخرين في أي  
غرض دنيوي؛ أثر تأثيراً سيئاً على قبول دعوته.

«ومن أخلص لله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فلينها، وفي الألسن  
الذرية فقيدها وفي أيدي السلطة فعقلها»<sup>(٢)</sup>.

فمقام الدعوة الجل عن أن يوصف أهلها بأعراض الدنيا فهذه النصوص  
تؤكد وترشد إلى مكانة هذا الدين وهذا العلم الذي ينقلونه ويؤثرون به فلا  
ينبغي أن يجعلوه عرضة للمعارضة.

وهي آفة خطيرة إذا عرفت من الداعي بعامة، إذ فيها الحيلولة بينه وبين  
حسن التأثير، على ما فيها من اساءة للدعاة بعامة يتعدى شخصه، يقول  
الإمام وهب «كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم؛ فكانوا  
لا يلتفتون إليها، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم، فأصبح أهل  
العلم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير ٨٤/٢٥.

(٢) تنبيه الغافلين - ٥٦ - .

زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر كان سهماً يسدده أعداء الحق في كل زمان لنحور الدعاة والمصلحين ، وكل ناصح يظنونه طامع بهم ، وهذا بينه القرآن الكريم حكاية عن قوم نوح (عليه السلام) إذ قال الملائة في أول عنصر حوار أطلقوه، يقول تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>. يتهمونه بحب الشرف ، وبأن يكون متبوعاً<sup>(٣)</sup>.

و فرعون وملاه يتهمون موسى عليه السلام حول ذلك فقد جاء عنهم معرض حوار أثير قولهم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهي تهمة بأنهم يريدون الرئاسة والملك ، فكل إناء بما فيه ينضح فهم يبحثون عن المادة فيتخيلون إن الدعاة ينازعونهم في سيادتهم ، وزعامتهم ، و ثرائهم . وجاء عن محمد إن تسألهم خرجاً فخارج ربك خير وهو خير الرازقين<sup>(٥)</sup>

والشيخ ابن حميد - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٤٩/٤.

(٢) المؤمنون - ٢٤ - .

(٣) تفسير الجلالين ٣٤٣ .

(٤) يونس - ٧٨ - .

(٥) المؤمنون - ٧٢ - .

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾، يرى إنه من دلائلها إنه ينبغي الرفق بالمحاور على وجه يظهر منه إن القصد إثبات الحق وإزهاق الباطل، وأن لا عرض للداعي سواه<sup>(٢)</sup>.

فليحذر المحاور المسلم أن يحول بينه وبين إخلاصه عرض ومرض من الأدواء، من حب شرف، أو إتباع هوى، أو نصرة نفس أو قريب، أو متابعة لرأي نابع، أو متبوه، وإخلاصه بذكره دائماً بأنه يرغب في نصرة الحق سواء ظهر على يديه أو يدي غيره؛ وقد اشتهر عن الإمام الشافعي قوله: «وما ناظرني أحد فباليت أظهرت الحجة على لسانه أو لساني»<sup>(٣)</sup>.

ويتعدى ذلك بأنه يحب ويتمنى لخصمه أن يوفق ويسدد ويعان وفوق ذلك يدعو له برعاية الله وحفظه.

ووضع الغزالي - رحمه الله - معياراً يعرف به الداعي مقدار إخلاصه إذ يرى إن الداعي إذا رأى غيره يقوم بالدعوة، وإصلاح الناس واستجابة الناس لغيره فيكون ذلك أحب من استجابتهم له<sup>(٤)</sup>، وهذا ما يؤديه حملة أقوال الشافعي - رحمه الله - إذ أثر عنه قوله بودي إنه انتشر علمي ومانسب إلي شيء منه<sup>(٥)</sup>.

(١) النحل - ١٢٥ - .

(٢) انظر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد . الدعوة إلى الله (وجوبها، فضلها، أخلاق الدعوة) ٣٣ . دار طويق . الرياض . (ط: ١) ١٤١٤ هـ .

(٣) الذهبي . سير أعلام النبلاء . ١٠ /

(٤) نقلاً عن د . صالح بن حميد . مفهوم الحكمة في الدعوة ١٣٠ .

(٥) انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٧٦ / ١٠ .



فالإخلاص ليس نقول باللسان وحركة باطلة، بل هو قلب حي نابض  
يطير فرحاً إذا انتشر نور الحق وكثر عباد الله ولا يهم إن كان على يديه أو  
يدي غيره .

أما إذا كان يستاء إذا انتشر الحق بيد غيره من أهل العلم والدعوة فإنه متبع  
هوى نفسه وداع لها لبروزها .

## أبرز مظاهر التجرد في حياة المحاور الكريم ﷺ

**أولاً: قوة الإيمان بالفكرة التي يحملها فكلما صدق الداعية المحاور في إيمانه بفكرته وموضوع ولب دعوته، كلما بذل ما في وسعه لنشرها، ورسول الله ﷺ حين بدأ بالندارة تحذاه أشداء قومه، فحاربوه وما جاء به بكل حيلة ووسيلة، وأنفقوا الأموال الطائلة في حربه، وسلطوا السفهاء عليه، واتهموه بكل سوء، فأقرب الناس له وقف ضده وحاربه فكتب السيرة تذكر أن عمه أبا لهب يتابعه في سعيه الدعوي يحذر الناس منه، ويشتمه، ويرجمه.**

الشاهد أن الإخلاص يدفع إلى الثبات على المبدأ حتى يتلذذ الداعي بما يصيبه في ذات الله.

وقوة الإيمان بالفكرة تدعو إلى الثبات على الإيمان بها وبيان ذلك بوضوح للخصوم فهذا المأل يجتمعون بأبي طالب يشكون الرسول ﷺ وبأنه يؤذيهم في ناديهم.

فناداه أبو طالب وطلب منه أن يكف عن دعوته وأذيتهم فقال ﷺ بعد أن حلق ببصره إلى السماء: «ترون هذه الشمس . قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة» وفي رواية والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من

نار»<sup>(١)</sup> وأحد الصحابة يروي أشد ما لقيه الرسول ﷺ من مشركي قريش قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رضي الله عنه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم»<sup>(٢)</sup>.

فهذا التجرد وهذا الإخلاص، يدفع المحاور للصبر حتى تؤتي كلماته ثمارها، ويقدم فكرته بقوة واضحة، لا تلجج فيها، ولا تردد، ولا تلكأ. ولذا فإن الصحابة الكرام كانوا يشاهدون ويمعون الرسول الكريم ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: «صبحكم ومساكم»<sup>(٣)</sup>.

الشاهد إن إيمانه العميق بما يدعو إليه صلوات ربي عليه وظهرت آثاره على وجهه وفي ثنايا كلامه وفي نبرات صوته.

---

(١) المطالب العالية ٤٢٧٨ ورواه أبو يعلى وإسناده صحيح والطبراني في الأوسط الكبير، وقال الهيثمي في المجمع ١٥/٦ ورواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. انظر إبراهيم العلي. صحيح السيرة النبوية ص ٥٧.  
(٢) البخاري مع الفتح، ك/ التفسير، باب (سورة المؤمن، ٨/٥٥٣، ٥٥٤).  
(٣) صحيح مسلم ومعه شرح النووي. ك/ الجمعة. باب (رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها) ٦/٣٩٢.

فكلما أخلص المحاور لله ، كلما كان أدمى وأبلغ في الإجابة .  
وبعض السلف يرون أن الذي تحدث بحديث لا يريد به وجه الله زالت  
عنه القلوب كما يزال الماء عن الصفا .  
فكلما إزداد إيمانه بهذه الفكرة ، كلما ظهرت في سلوكه ، وعمله ،  
وأقواله ، وكل شؤونه .

ويؤكد ﷺ هذه الفكرة في أحاديث دعوية تتضمن حوارات موجهة ،  
ومن ذلك قصة الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود ، فقد ضرب أروع الأمثال  
في الإخلاص للفكرة التي آمن بها ونقلها بكل ما يملك ثم جاد بنفسه  
وروحه في سبيل انتشار هذه الفكرة المستقيمة فقد قال للملك بعد أن عجز  
عن قتله : أجمع الناس في صعيد واحد واصلبنى على جذع وخذ سهماً  
من كنانتي وقل قبل أن ترمي به : «بسم الله رب الغلام ، ثم ارمني فإنك إذا  
فعلت ذلك قتلتني»<sup>(١)</sup> .

فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام .  
فهذا الإخلاص والتجرد نصر به الغلام وهزم الملك وقوته وأتباعه  
وانتشرت فكرة الحق وارتكس الباطل وبهرجه .

---

(١) صحيح مسلم ومعه شرح النووي ك/ الزهد . باب (قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب  
والغلام) ٣٣١ / ١٨ .

## استقامة الحوار:

والتجرد، وصدق الإخلاص واتباع الحق والسعي للوصول إليه، والحرص على الالتزام به، هو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا إلتواء، ويحول دون الانسياق وراء الهوى، وهكذا كان ﷺ في حواراته.

فهذا ضماد رضي الله عنه سمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمداً مجنون، فقال: لو إني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. قال: فلقيه، فقال: يا محمد! إني أرقى من هذه الريح: وإن الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد، قال: فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناموس البحر قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال رسول الله ﷺ: وعلى قومك، قال: وعلى قومي»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم ومعه شرح النووي ك/ الجمعة. باب (رفع الصوت في الخطبة ومايقول فيها) ٦/

## المطلب الثاني: الإنصاف:

ويدل في اللغة على:

١ - أحد جزئي الكمال .

٢ - العدل .

٣ - إعطاء الحق، فأنصف إذا أخذ الحق وأعطى الحق<sup>(١)</sup> .

٤ - استواء المحاسن .

٥ - الإنصاف في المعاملة، العدالة وذلك أن لا يأخذ من صاحبه إلا

مثل ما يعطيه<sup>(٢)</sup> .

فما تؤديه هذه المعاني يدل على أن المراد بالإنصاف هو تحري المساواة والمماثلة بين الخصمين، وعدم تعدي أحدهما على الآخر بقول أو فعل أو بسلوك .

والقرآن يحث على هذه الفضيلة، ويوجه إليها وحتى لو كانت تمس أقرب الناس، يقول تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، يأمر الله

(١) انظر ابن منظور . لسان العرب . مادة: «نصف» ود إبراهيم أنيس وآخرون . المعجم الوسيط . مادة «نصف» .

(٢) انظر الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن ٤٩٥ . مادة: «نصف» .

(٣) الأنعام - ١٥٢ - .

تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد،  
والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال<sup>(١)</sup> ويقول  
تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ  
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا  
تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

لأن العواطف والمشاعر والانفعالات المختلفة تتدخل هنا، وهي  
عرضة للجموع والتغلب والتأثير، ولأنه من طبيعة الناس الاستعداد  
للجور والظلم في هذا المجال، لأن النفس تحب الانتصار، فالعدل صفة  
قيمة كريمة، تحتاج لترويض النفس وتقويمها لتستقيم عليه.

ويؤكد مقام هذه الصفة ما ورد في ذم وتحريم الظلم والوعيد الشديد  
عليه، فقد ذكره القرآن في مئات من الآيات أسوأ الذكر وأسوأ العواقب  
في الدنيا والآخرة.

والعدل في القرآن عبر عنه بثلاث كلمات هي: العدل، والقسط،  
والميزان.

والعدل المطلوب من المحاور أصعب من العدل في الأمور المادية والتي  
يسهل ضبطها، إذ أن العدل المطلوب منه في الأمور العقلية والمعنوية  
والتي يصعب ضبطها وتحتاج إلى معاناة ومشقة.

فعدلهم مع المحاورين بأن لا يحملوهم على التعصب للباطل،  
فيرشدونهم بحوار هادي موزون عادل إلى ما ينفعهم في دنياهم

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥٥.

(٢) المائدة - ٨ - .

وأخراهم ، وهذا يتطلب منهم أن يتعرفوا إلى الحاجات العقلية والنفسية والدينية والتي يحتاجون إليها ليستقيم أمرهم ، وتبلغ المحاوراة أثرها الطيب فيهم ، وقدوتهم ﷺ كان المثل الرائع في عدله في سلمه وحربه وفي إقامته وسفره وفي كل شؤون حياته ، وفي دعوته كان يحرص على العدل ، وينصف الخصوم من نفسه ومن ذلك مقام المحاورات .

فهو يتخلق بأخلاق القرآن الكريم ، ويمارسها على أرض الواقع .

فالقرآن يوجهه إلى التبليغ بالإنصاف في محاوراته مع خصومه بأرقى وأدق أمر وهو موضوع الفكرة التي يحاورهم على أساسها ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

فأنتم مقرون بربوبيته فلم لا تقرون بألوهيته ، وإذا كان الله هو الخالق والرازق فقد تقررت الحجة بأن الذي ينبغي أن يعبد هو الله ، بعد هذه الحجة الظاهرة التي لا تعارض يقول تعالى ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، فهذا في غاية الإنصاف .

يقول ابن كثير هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال ، بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى<sup>(٢)</sup> .

(١) سبأ - ٢٤ - .

(٢) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٣ / ٧١٠ .



فلم يواجههم بما يغضبهم ، فلو قال أحد المتناظرين للآخر أنت مخطئ وأنا مصيب يغضبه وحينئذ لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض ، وأما إذا قال بأن أحدنا لا يشك أنه مخطئ ، والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق ، فنجتهد ونبصر أينما على الخطأ ليحترز فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب<sup>(١)</sup> .

ومن تمام العدل والإنصاف ، قبول الحق من الخصم ، والتفريق بين الفكرة وصاحبها ، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة ، والأدلة الجيدة ، وهذا له الأثر الإيجابي في قبول الحق ، ويضفي على المحاورة روح الموضوعية<sup>(٢)</sup> .

يقول أحد السلف : «معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي قالوا : وما هي ؟ . قال : أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ ، واحفظ نفسي لا تتجاهل عليه ، فبلغ ذلك الإمام أحمد فقال : سبحان الله ما كان أعقله من رجل» .

والرسول ﷺ يحقق هذا الإنصاف في حواراته ومواقفه ؛ فالصحابي الكريم حاطب بن أبي بلتعة - رضي الله عنه - يصدر منه تصرفاً خطيراً ونزل القرآن في بيانه ، فلم يتعجل الرسول الكريم ﷺ جاء فيه : «من

(١) انظر الرازي . التفسير الكبير ٢٥ / ٢٢٢ .

(٢) انظر عبدالعزيز الجليل . رسالة «وإذا قلتم فاعدلوا» ٤٢ . وأصول الحوار ٤٢ . جمع الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا؟ قال : يا رسول الله ، لا تعجل علي ؛ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش - يقول : كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها وكان معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ : أما إنه صدقكم ، وفي هذا غاية الإنصاف ، والعدل النبوي فهذا أمر يتعلق بمصير الأمة ، ويترتب على هذا التصرف كبير الأثر ، ومن ثم فإن الرسول الكريم ﷺ تأنى فلم يحكم على الصحابي ، فأحضره واستفهم منه في غاية الهدوء ، ولم يروعه ، أو يأمر بإحضاره بقوة ، أو سجنه ، أو ما شابه ذلك ، ولأن ذلك قد يؤثر على حجة المحاور ، مما يعجزه بالقول بحرية تامة .

وزبدة ذلك أنه هيا له الجو السليم لحوار عادل بين فيه ما يريد بلا مؤثرات .

ومما يلفت النظر أيضاً ، أن ما قاله الصحابي ليس على كل الأحوال يتضمن أدلة قاطعة قوية تدفعه لفعل ذلك ومما يؤكد هذا قول عمر بعد أن سمع - رضي الله عنه - حجته كما سمعها الرسول الكريم ﷺ «دعني اضرب عنق هذا المنافق»<sup>(١)</sup> .

فكلاهما استمع ، ولكن موقف الرسول الكريم ﷺ برز بوضوح وبغاية

(١) البخاري مع الفتح . ك/ المغازي . باب (غزوة الفتح . .) ٥١٩/٧ .

## الإِنصاف .

يقول ابن حجر «إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذره به ، لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق . وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحق القتل ، لكنه لم يجزم بذلك ، فلذلك استأذن في قتله»<sup>(١)</sup> .

فالمراد أن إنصاف الرسول ﷺ جعله يتأنى في معاقبة هذا الصحابي ؛ ليعطيه الفرصة في بيان حجته وما لديه ، وإلا فهو فهم خطورة ذلك إذ جاء في رواية إنه قال لعمر بعد سماعه لرأيه «وما يدريك لهل الله عز وجل اطلع على أو من بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup> .

وفي خبر آخر يشبه ذلك أن رسول الله ﷺ ذهب بيت الصحابي عتبان بن مالك رضي الله عنه ليصلي به فاجتمع رجال من قومه فسأل عن شخص تغيب يقال له مالك بن الدخيش أو الدخي ، فقال بعضهم : ذلك متأفف لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله<sup>(٣)</sup> .

فهذا رجل غاب عن مجلس الرسول الكريم ﷺ وشهد عليه بني قومه وأقرب الناس إليه ، ومع ذلك يدافع عنه صلوات ربي عليه ويقول فيه خيراً وينهى عن مسبته .

(١) ابن حجر . فتح الباري ٨ / ٦٣٤ .

(٢) البخاري مع الفتح . ك / التفسير . باب (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) ٨ / ٦٣٣ .

(٣) البخاري مع الفتح . ك / الصلاة . باب (المساجد في البيوت) ، ١ / ٥١٩ .

فالشاهد إن صفة العدل والإنصاف لا تفارق الرسول ﷺ في كل شؤونه، ومعاملاته الجارية مع شتى أصناف المدعويين وفي كل الأحوال، بل إن حياته ﷺ كلها صوراً لأمثل صور العدل ومنتهى الإنصاف من بدايتها إلى نهايتها.

والحديث الآن ينتقل للاستدلال من خلال الحوارات النبوية على صور من عدله وإنصافه للمحاورين بشتى أصنافهم، ومن ذلك ما جرى مع عتبة بن ربيعة وحواره للرسول ﷺ فقد جاء وعرض حديثه بتهجم واتهام لشخص الرسول الكريم ﷺ ووصفه بأقبح الوصف من ذلك وصفه بأنه شؤم على قومه، وبأنه يشتم الآباء ويعيبهم، وبأنه فضحهم عند العرب، وبأنه طامع يريد المال، وبأنه يريد بما جاء به النساء وكثرتهن<sup>(١)</sup>.

وبعد ذلك يقول الرسول الكريم ﷺ «أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم»<sup>(٢)</sup>.

فالشاهد إنه أعطاه الفرصة الكافية ليتحدث بما شاء وبعد ذلك لا يزال يمنحه مزيداً من الوقت ليتحدث ويستقرنه على سوء ما تحدث به واستفتح به حواراً.

فمن جميل عدله وإنصافه أنه استمع إليه استماعاً حسناً، ولم يقطع

(١) انظر نص المحاور في ابن كثير. السيرة النبوية ١/٥٠١.

(٢) المرجع السابق نفسه ١/٥٠٤، ٥٠٢ حديث حسن انظر محمد الصوياني. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة. ٩٥. (ط: ١) ١٤١٢هـ، بدون ذكر دار النشر.

حديثه ، ثم زاد بأن سأله إن كان فرغ مما يريد قوله .

وفي ذلك عبرة للمحاورين بأن يستأنوا بالمدعويين إلى أن يدلوا بدلوهم فلا يكثرُوا مقاطعتهم .

فمن العدل والإنصاف أن يماثلك خصمك بكل فرصة ، فإذا تناولت موضوعك يطرح فيه حرية ، وهدوء ، ووقت كافي ، فإنه أيضاً من حق الطرف الآخر أن تسنح له الفرصة الكافية في كل ذلك .

ومما يدل على ذلك محاورته ﷺ مع عتبة ، حيث لم يحكم عليه ، أو يقاطعه ، أو يعنف عليه ، فهذا شأنه .

وإن كان في حوارهِ ما يحرك الغضب ويهيجه ، ومع ذلك لم يلتفت صلوات ربي عليه لبواعث الغضب ، ولذا نهى أن يحكم القاضي وهو غضبان إذ يقول ﷺ « لا يقضين حكم بين أنين وهو غضبان »<sup>(١)</sup> ، فالغضب قد يتجاوز بالمحاور عن حد العدل إلى الجور ، ولذا يمتنع الغاضب من الحكم الصواب وفيه النهي عن الحكم حالة الغضب لما يحصل بسببه من التغير الذي يختل به النظر فلا يحصل استيفاء احكم على الوجه الأمثل<sup>(٢)</sup> .

(١) البخاري مع الفتح . ك/ الأحكام . باب (هل يقضي القاضي وهو غضبان) ١٣٦/١٣ .

(٢) ابن حجر . فتح الباري ١٣٧/١٣ .

والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يبين بثقة لمحاوريه وخصومه فيقول : « وأرجو أن لا أورد الحق إذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق . . . . مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية . ص : ٢٥٢ .

فالغضب يستولي على النفس فتصعب مقاومته ، والحوار والحكم فيه ينبغي أن يكون في حالة استقامة الفكر ، وهدوءه والغضب يغير ذلك .  
وكان في وصفه ﷺ أنه لا يقول في الغضب إلا كما يقول في الرضا<sup>(١)</sup> .

وفي الحديبية حين حاور ﷺ سهيل بن عمرو ونادى الكاتب فقال :  
اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل : «أما الرحمن فوالله ما أدري ماهي ولكن اكتب «باسمك اللهم كما كنت تكتب» فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال النبي ﷺ : اكتب «باسمك اللهم»<sup>(٢)</sup> .

فالإنصاف تجلئ في أعظم صوره في حوار النبي ﷺ مع سهيل بن عمرو ، ومن أبرز سمات الإنصاف في هذا الحوار :

١ - قبل بدء الحوار وحين سمع باسم مندوب قريش بأنه سهيل بن عمرو قال ﷺ : قد سهل لكم من أمركم ، وفي هذا وصف المحاور باتصاف بما فيه من فضائل .

٢ - إن المحاور القدوة ﷺ بين رجاله وفي محل قوة ، ومع هذا حين اعترض سهيل على كتابة «بسم الله الرحمن الرحيم» قبل ذلك الرسول

(١) انظر ابن حجر . فتح الباري ١٣ / ١٣٨ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك / الشروط . باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) ٥ / ٣٣١ .

ﷺ وأثبت ما قاله سهيل مع استغراب الصحابة - رضي الله عنهم - .

٣- أنكر الرسالة للرسول ﷺ في حوارهِ وأبى أن تثبت بالكتاب وقال بحرية وجرأة «والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد بن عبدالله» فأمر الرسول ﷺ الكاتب أن يكتب محمد بن عبدالله»<sup>(١)</sup>.

فيلاحظ أن الرسول ﷺ لم يستغل مقامه، وحضور جنوده، ولا كاتبه، في جميع حوارهِ، ثم حينما حكم بينه وبين خصمه بعدالة تامة، وقد زاد أن طلب عدة أمور فرفضها خصمه رفضاً قطعياً لا تردد فيه، وأجاز ذلك كله له وزاده، ومن اعجب ذلك إنه طلب لنفسه ولقومه طلباً فيه محاباة وفيه اجحاف ومع ذلك تنازل معه الرسول ﷺ ووافقهُ، .

فمما سبق يتبين بوضوح مبلغ إنصاف المحاور الكريم ﷺ لمحاوريهِ، وإتاحة الفرصة لهم كاملة، بأن يبينوا ما يريدون من عرض وطلب ورد.

ومع صنف آخر هم أهل الكتاب وفي حديث يتضمن حواراً دعويّاً هاماً جاء فيه أن أحد الصحابة (رضي الله عنه) قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد! فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ «اينفعك شيء إن خدمتك؟» فقال: اسمع بأذني. فنكث رسول الله

(١) المرجع السابق والمدرک نفسه ٣٣١ / ٥ .

ﷺ بوعد معه ، فقال : « سل »<sup>(١)</sup> .

والشاهد إنه لم يعنف هذا اليهودي حينما لم يصفه بمقام النبوة والرسالة ، وزاد بأن أقر تسميته المجردة ، وفي هذا إنصاف متناه يفيد في جذب المحاورين لهذا الدين ، والتفكير بروية ، بهذه الدعوة ، التي ينقلها هذا الإنسان الكريم .

ومما يؤكد مبلغ أثر هذا الإنصاف والعدل أنه في نهاية الخبر قال اليهودي « لقد صدقت ، وإنك لنبي »<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد هذا الإنصاف إن الرسول الكريم في محاوراته الشفهية والمكتوبة ، كان يراعي أصحاب المقامات الكبيرة ويستألفهم في وصفهم بما يتناسب مع المقام وبلا تعدي .

ومن ذلك ما جاء في رسالته ﷺ لهرقل فقد جاء فيها « من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم »<sup>(٣)</sup> ، يقول ابن حجر<sup>(٤)</sup> « فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة ، لأنه معزول بحكم الإسلام ، ولكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف » .

فمن الحوارات السابقة برز الإنصاف في مظاهر عديدة من أهمها :

(١) صحيح مسلم ومعه شرح النووي . ك / الحيض . باب (بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن

الولد مخلوق من مائهما) ٢١٧ / ٣ .

(٢) نفس الخبر والمدرك نفسه السابق .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح . ك / بدء الوحي . باب (٧) ١ / ٣٢ .

(٤) فتح الباري ١ / ٣٨ .



- ١ - قبول الحق إذا ظهر على لسان الخصم .
- ٢ - وصف المدعو (المحاوّر) بما فيه من خلق حسن .
- ٣ - إعطاء الخصم الفرصة في الكلام والرد وعدم انتقاصه .
- ٤ - قبول الحق إذا ظهر على لسان الخصم .
- ٥ - تهيئة الجو السليم للخصم وبلا مؤثرات تخيفه أو تعيقه .